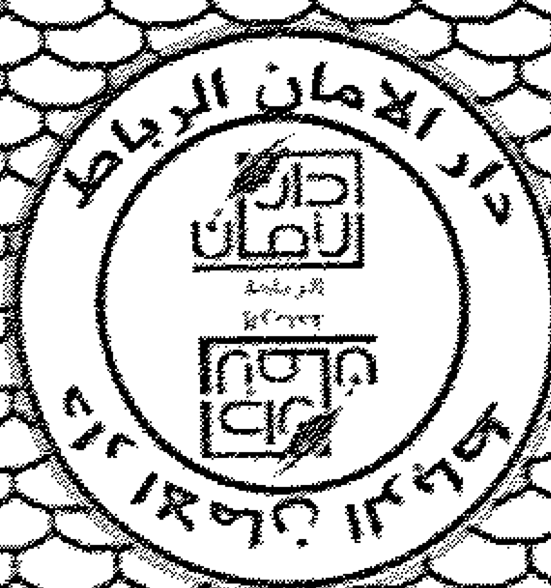
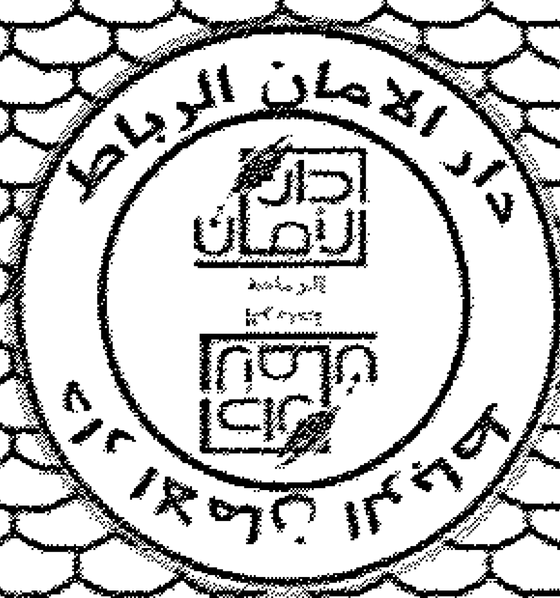

دار الامان الرباط


دار الامان الرباط

حصاد القلم
وحسن اختيار الكلام

الجـزء الأول

إعــداد :

وجمع واختيار

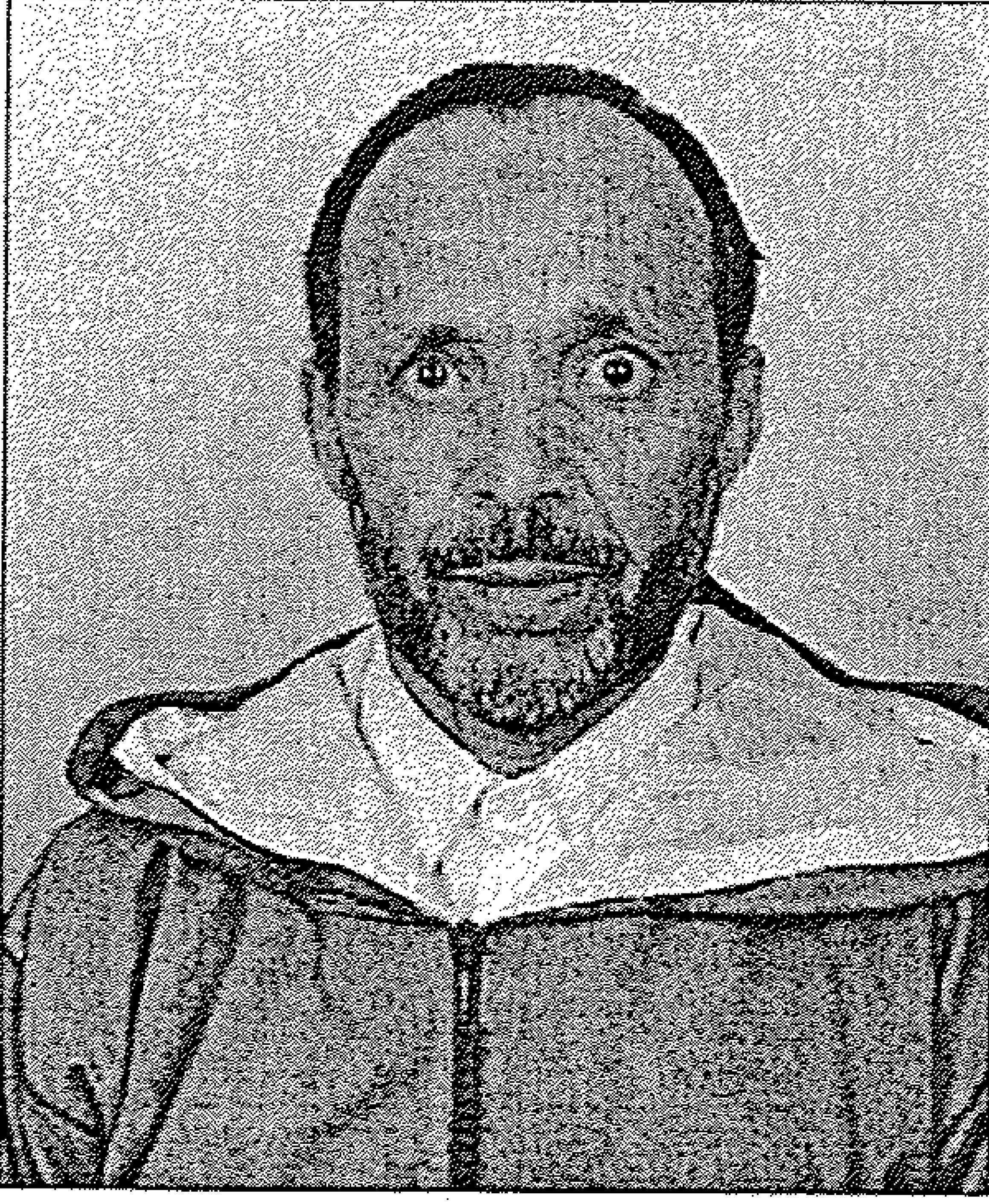
محمد بن عمر بن علي العزوزي الجزنائي

كان الله له، وغفر له لوالديه وللمسلمين أجمعين

آمـين

الكتاب : حصاد القلم وحسن اختيار الكلام
إعداد وجمع واختيار : محمد بن عمر بن علي العزوزي الجزنائي
التوزيع : دار الأمان
العنوان : 4، زنقة المامونية - الرباط
الهاتف : 76 32 72 37 05 – الفاكس : 55 00 20 37 05
البريد الإلكتروني : E-mail : libdarelamane@yahoo.fr

الطبعة الأولى : 1432 هـ - 2012 م
الايداع القانوني : 2012 MO 2458
ردمك : 978-9954-561-31-7



الحمد لله

صورة حديثة إنها في نهاية المطاف فبعد عمر مديد طفولة وشباب، كهولة ثم شيخوخة وقد مر كلمح البصر شمل رحلات وجولات وسفر قطعت فيها الفيافي والقفار تعرفت أثناءها على فئات من الناس من مختلف الطبقات، ورحم الله الشاعر الذي عبر قائلا :

(ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب)



صورة جمعتني مع هؤلاء العلماء في مؤتمر خطباء الجمعة الذي دعا إليه الملك الحسن الثاني في النصف الأول من سنة 1985م، والذي عقد بقصر المؤتمرات (أو مركز الصناعة التقليدية) بفاس.

إلى يميني الدكتور عبد القادر العافية، وهو من مدينة شفشاون.

والى يمينه العلامة المؤرخ سيدي محمد المنوني، وهو من مدينة مكناس.

والى يمينه كذلك الدكتور سيدي عبد السلام الهراس. أما الذي عن يساري، فهو من منطقة ورزازات في الجنوب المغربي.



صورة حصلت عليها من عند سيدي محمد الطاهري رحمه الله، (أيام مرافقتي له) قيل إنها عمامة رسول الله ﷺ ولعلها تكون حقيقة أو هي قريبة من الحقيقة، فلنتبرك بها، وننال من بركتها إن شاء الله، ونبينا ﷺ، أحق من يتبرك به، وأحق من ترجى شفاعته، كونه نبي الرحمة.



صورة ثانية قيل إنها لقدم سيدنا محمد الشريف الطاهر المنيف.

- هي بدورها -

نتبرك بها، فإن كانت حقيقة فإنها آثار من آثاره ﷺ، وإن كان غير ذلك، (فلله الأمر من قبل ومن بعد) وفي الحديث الذي صدر به الإمام البخاري كتابه الصحيح : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى).

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

(رب يسر واعن لأنك أنت القوي المعين)
لا إله غيرك ولا معبود سواك (يالله)

توطئة :

اللهم صل على سيدنا محمد وآله، صلاة تخرجنا بها من ظلمات الوهم وتكرمنا بنور الفهم، وتوضح ما أشكل حتى يفهم، إنك تعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب.

اللهم إني أستودعك جميع ما أقرؤه حتى ترده علي في وقت احتياجي إليه.

هذه الصلاة خاصة، من نظم وإنشاء سيدي محمد (فتحا) ابن الفقيه، ترجمته في شجرة النور الزكية صفحة 334 رقم الترجمة 1309، وهو فرع فاس عند صاحب الشجرة، قال : كان من أرسخ المحققين في علم الطريقة، وذكر أنه له تاليف في سر النقطة، وآخر سماه : (شمس القلوب في معرفة علام الغيوب).

وقال : توفي صاحب الترجمة عام 1136 هـ أي في عهد المولى اسماعيل العلوي الذي توفي بعده بثلاثة أعوام أي 1139 هـ، قبره في عقبة ابن صوال قريبا من حي الرصيف، باب السلسلة، فاس.

هذه الصلاة وهذا الدعاء أقرأها لنا وحفظناها من الفقيه المقرئ المتخصص في القراءات السبع سيدي محمد بن جلون، المتوفى رحمه الله سنة 1958م، كان يقرئ لنا القرآن الكريم، وبعض قراءات السبع الآنفة الذكر في مدرسة المقرئين، التي أنشأتها وزارة التربية والتعليم في بداية عهد الاستقلال بأمر من جلالة الملك المغفور له سيدي محمد الخامس رحمه الله، كما ذكر لي ذلك شفويا سيدي محمد الفاسي، أول وزير للتربية والتعليم في عهد الحكومة الأولى التي كان يرأسها السيد امبارك البكاي، والتي أنشئت بتاريخ 7 دجنبر 1955م.

ومدرسة المقرئين[1] تأسست في فاتح اكتوبر 1956م، وأغلقت في نهاية شهر يونيه 1959م.

وضمت ثلاثة أفواج، الفوج الأول قضى فيها 3 سنوات، فاتح أكتوبر 1956 إلى 30 يونيه 1959م.

الفوج الثاني قضى فيها سنتين من فاتح اكتوبر 1957 إلى 30 يونيه 1959م.

الفوج الثالث قضى فيها سنة واحدة فقط من فاتح أكتوبر 1958 إلى 30 يونيه 1959م.

وعندما قررت وزارة التربية والتعليم حذفها ألحق كل من كان فيها من الأفواج الثلاثة بميدان التربية والتعليم، والكل عمل بجد وإخلاص، وأدى الواجب المنوط به، والى هذا الوقت، (فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا). صدق الله العظيم. الأحزاب الآتية 23.

---

(1) كتاب سيصدر قريبا بعنوان : (مدرسة المقرئين الفتاة المدللة أو المعلمة التاريخية).

المقدمة :

كتاب حصاد القلم، أختير له هذا الاسم ليوافق الاسم المسمى، فالكتاب سيجمع بعض ما حصده القلم عبر الأزمان والقرون، والشهور والسنون، لأن كلمة الحصاد دالة على قطع ما نضج من الزرع بعد يبسه ونضجه، لقوله تعالى : ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ الأنعام 141.

ولفظة حصد فعل ثلاثي من باب ضرب ونصر، فمضارعه جاز فيه الكسر والضم، تقول : حصد يحصد بالكسر، ويحصد بالضم، لأنه خال من الأسباب العشرة التي منها أربعة توجب الكسر، وأربعة منها توجب الضم، واثنان منها توجب الفتح، يراجع ذلك في مادة الصرف عند قول ابن مالك في لاميته:

(.............................. كسر العين مضارع يلي فعلا
ذا الواو فاء أو الياء عينا أو كأتى كذا المضاعف لازما كحن طلا)

وفي قوله :

(.............................. والمضارع من فعلت إن جعلا
عينا له الواو أو لاما يجاء به مضموم عين وهذا الحكم قد بذلا
لما يدل على فخر وليس له داعي لزوم انكسار العين نحو قلا)[1]

وقد مر الأول عند قول ابن مالك :

وضم عين معداه ....

واثنان الباقيان من العشرة اللذين فيهما الفتح في قوله :

وفتح ما حرف حلق غير أوله عن الكسائي في ذا النوع قد حصلا)

(1) بابه رمى وعدا.

ووردت لفظة الحصاد في القرآن الكريم ست مرات:

وردت بصيغة الماضي في قوله تعالى : ﴿فما حصدتم فذروه في سنبله﴾ يوسف 47.

ووردت بصيغة المصدر : ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾ الأنعام 141.

وورد مصدرا بصيغة (فعيل) للمبالغة أربع مرات، ينظر كتاب تصريف الأسماء، تأليف : محمد طنطاوي، مطبعة وادي الملوك 1375هـ 1955م والآيات الأربع هن :

1 - ﴿أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس﴾ يونس 24.

2 - ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد﴾ سورة هود 100.

3 - ﴿فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين﴾ الأنبياء 15.

4 - ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾ ق 9.

والمراد بلفظة الحصيد الزرع المحصود، وجمع حصيد (حصائد) ففي الحديث قال ﷺ لمعاذ : ﴿ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم﴾ رواه الإمام أحمد في مسنده الجزء 5 ص : 231 و236 و237، وسنن الإمام الترمذي بشرح عارضة الأحوذي ج 5 ص : 303 رقم 2624، وسنن ابن ماجه الجزء 2 ص : 1315 رقم الحديث 3973، كتاب الفتن. «المقدمة».

أما القلم فهو آلـة الكتابـة، وقد أقسم الله به في قوله تعـالى : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، ن والقلم وما يسطرون﴾ بعد أن ذكر في الآيات الخمس الأولى من سورة العلق اللائي افتتح الله بهن نزول القرآن الكريم (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾(1-5).

وقد ألغز أحدهم قائلا :

(وأهيف مذبوح على صدر غيره يتـرجم عن ذي منطق وهـو أبكم
تـراه قصـيرا كلما طـال عـمـره ويضحـي بـليغـا وهـو لا يتكلم)

وقد قصد الشاعر بنظمه قلم اليراع، فإنه كل مرة ينقص منه، فيقصر شيئا فشيئا، وقد ورد في ترجمة عبد الرحمن بن الجوزي أنه لما توفي عام 598هـ، سخن له الماء الذي غسل به ببقايا أقلام اليراع التي كان يكتب بها تآليفه التي يقال إنها بلغت نحو ستمائة (600) مؤلف.

كتاب : حصاد القلم

هذا كتاب عزمت على إخراجه، وصممت العزم على إبرازه إلى الوجود بعد أن جمعت مواده من مختلف الكتب، أو مما دونته وكتبته من علماء وفقهاء وأساتذة، الذين يسر الله اتصالي بهم طيلة حياتي المديدة، وقد سلكت منذ صباي طريقة خاصة في جمع مواد هذا الكتاب، ألا وهي المختارات والنقايات من أمهات الكتب التي سبق لي أن طالعتها، ونقبت عن ما فيها من العلوم المختلفة، والحكم والنوادر التي يتعذر جمعها، لأن شعاري في هذا الميدان قول أحد الشعراء :

(العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الواثقة)

للتعليق على لفظة في هذا البيت، ألا وهي لفظة : (الواثقة) فهي لا تفيد المعنى المطلوب، فالواثقة اسم فاعل، من وثق يثق واثق، والمطلوب من الناظم أن يقول : (الموثقة) وهي من أوثق يوثق فالشيء (موثق)، لقوله تعالى : ﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾ الفجر 26.

ولي في هذا الميدان رصيد كبير، وهو عبارة عن دفاتر صغيرة وكبيرة وجذاذات أي أوراق كثيرة دونت عليها هذه المختارات، وقد سلكت كذلك أمرا آخر، وهو ينسب للإمام الغزالي رحمه الله، قال : (ما سمعت شيئا إلا دونته وكتبته، وما كتبت شيئا إلا حفظته، وما حفظت شيئا ونسيته، ونفس القول ينسب للإمام الشاطبي رحمه الله.

وصدق من قال : (حفظ سطرين أفضل من حمل وقرين، - تتمته- والمذاكرة بين اثنين، أفضل من هاتين).

وكتابي هذا الذي هو : (حصاد القلم) مواده على منوال عدد من الكتب التي ألفها أصحابها وجمعوها من مؤلفات أخرى، اختاروها وانتقوها لأهميتها، أذكر منهم :

1 - بهاء الدين العاملي

بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد بن عزالدين الحارثي الهمداني العاملي، ولادته عام : 953 هـ ووفاته : 1031 هـ، هذا العالم له عدد من المؤلفات، أشهرها : كتاب (المخلاة) وهي ما يجعل فيه الخلى، والخلى مقصور، الرطب من الحشيش، وهي أيضا العلافة، أو القفة، وعندنا باللغة الأمازيغية، (إسياس) يوضع فيها الشعير أو غيره، ويعلق في رؤوس الدواب، البغال أو الحمير أو الخيول، لتأكل طعامها، ولا يطلق سراحها لترعى وحدها.

وكتاب المخلاة الذي بين يدي، طبع في مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية 1377هـ/ 1957م.

وقد طبع معه كتابان آخران، أحدهما : (أسرار البلاغة) لنفس المؤلف بهاء الدين العاملي، والثاني: (سكردان السلطان) لابن أبي حجلة أحمد ابن يحيى التلمساني، مجموع صفحات الكتب الثلاثة 474 صفحة.

وإن ما يشتمل عليه كتاب المخلاة من المواضع في مختلف العلوم والفنون لشيئ يجعل العقول حائرة، لأنه ينتقل بك من شعر وأدب، إلى حكم وأمثال، إلى أدعية وابتهالات، إلى قصص ونوادر، إلى ألغاز ومناظرات، إلى مدح وهجاء، إلى تاريخ وأخبار، وهلم جرا.

يتبين مما ذكر أن هذا العالم كان مشاركا، له في كل ميدان من ميادين العلم له باع طويل، واطلاع واسع.

2 – **الكتاب الثاني** : (الكشكول)، للمؤلف نفسه، وهو من مجلدين، عدد صفحات المجلد الأول 510 صفحات، وعدد صفحات المجلد الثاني 536 صفحة، مجموعهما : 1046 صفحة، طبعة درا إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي بمصر، يناير سنة 1961م، حققه وقدمه للطبع الشيخ أحمد الزاوي المولود 1890م والمتوفى يوم 05/03/1986 م وهو مفتي الجمهورية الليبية في عهد الثورة، وهذا العالم له عدد من المؤلفات، بعضها تأليف وبعضها تحقيق، أشهرها : (ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير، وأساس البلاغة)، وهو عمل جد جليل في أربع مجلدات ضخام، بعد أن كان صاحب القاموس المحيط الفيروزبادي، جعل ترتيبه جد معقدة، الفصل كذا، وباب كذا، مثلا : فصل الباء،باب الهمزة، باء وفصل الجيم باب الهمزة، جاء ترجمة هذا العالم الشيخ أحمد الطاهر الزاوي في مجلة : (التاريخ العربي) العدد 25 صفحة 211-233، بقلم الأستاذ محمد احمد الطوير، وهو عدد شتاء 2002 تصدرها جمعية المؤرخين العرب، مقرها مدينة الرباط، وتحت نفقة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أمير دولة الإمارات.

وكتاب الكشكول فيه من نوادر العلوم ما تفرق في غيره من الكتب، وكلمة (كشكول) كلمة فارسية، تطلق على ما يسمى بالعربية: الحقيبة، التي يستعملها المسافر والصوفي في سفرهما، يحملان فيها من حوائجهما ما يحتاجان إليه، مثل السكين والمقص والملعقة، والإبرة والخيط، فكلا الكتابين : المخلاة، والكشكول جمع فيهما من العلوم والنوادر من مختلف العلوم والفنون ما تفرق في غيرهما.

3 – كتاب الجراب

كتاب الجراب : (الجامع لأشتات العلوم والأدب)، والجراب ينطق به العوام (أقراب) لسيدي عبد الصمد بن سيدي التهامي بن المدني كنون، وهو والد سيدي عبد الله كنون، رحمهم الله جميعا.

والجراب فيه مختارات أدبية وشعرية، وفقهية ولغوية، انتقاها المؤلف واستخرجها من أمهات الكتب، والكتاب من الحجم المتوسط، تبلغ عدد صفحاته: 255 صفحة، ويظهر أنه اعتمد رحمه الله حفظه، فلا يشير إلى الكتاب أو الصفحة، وإنما ينسب ذلك لقائله فقط، فكتاب الجراب جدير بأن يقتنيه الرجل المثقف، ويعكف على مطالعته والاستفادة منه.

4 – قصص العرب

كتاب : (قصص العرب) لثلاثة من المؤلفين المعاصرين : محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، والكتاب من أربع مجلدات، مجموع صفحات الأجزاء الأربعة : 1875 صفحة، الطبعة الرابعة 1382هـ/1963م، وقد جمع فيه من المختارات والنوادر ما تفرق في أمهات الكتب، وخصوصا الكتب الأدبية، فكتاب قصص العرب متعة وتسلية للقارئ الباحث، ويعجبك فيه أنهم يشيرون إلى الكتاب، والى الصفحة التي أخذوا منها، كتاب قصص العرب أشبه ببستان فيه من كل لون وشكل كما وصف الله أهل الجنة: ﴿........ **وفاكهة مما يتخيرون**﴾ الواقعة : 20.

5 – مواقف حاسمة

كتاب : (مواقف حاسمة للعلماء في الإسلام)، ألفه عالمان مصريان هما : علي شحاته، وأحمد رجب عبد المجيد، بدون تاريخ، مكتوب على الصفحة الأولى بعد عنوان الكتاب واسم المؤلفين : (دار الفكر) وبدءا من صفحة 3 البسملة وتقديم إلى صفحة 29، مقدمة مفيدة جدا في حال المسلمين، وما يتعرضون له من مكائد الأعداء، وما يجب على المسلمين عامة أن يقوموا به، وما هو الطريق الذي يتعين عليهم أن يسلكوه كي يصلوا إلى شاطئ النجاة.

ثم شرع المؤلفان في تصنيف كتابهما الذي تبلغ عدد صفحاته 194 صفحة، وعدد المواقف المختارة 55 موقفا، الأولى : (كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين)، وآخرها : (ردود حاسمة)، والكتاب بصفة عامة يشمل كثيرا من شجاعة العلماء ومواقفهم الصلبة، أمام الملوك والأمراء والحكام، - وهو الواجب عليهم – والمثل يقول : (العامة تطيع الامراء، والأمراء يطيعون العلماء)، وفي رواية : (تخدم) بدل تطيع، وصدق الله العظيم : ﴿....**وأولوا العلم قائما بالقسط...**﴾ آل عمران : 18.

6 – الإسلام بين العلماء والحكام

كتاب : (الإسلام بين العلماء والحكام)، لمؤلفه : الشهيد السيد عبد العزيز بدري رحمه الله، وهو من أرض العراق الشقيق، قلت : الشهيد لأنه مات تحت التعذيب، أخبرني بذلك رجلان كلاهما دكتور، أحدهما دكتور في الأدب، والثاني دكتور في علم الاجتماع، جمعتني بهما الصدفة في مدينة فاس عند أحد الأصدقاء.

والكتاب من منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة 1966م، عدد صفحات الكتاب 254 صفحة، وهو قريب من الكتاب السابق : (مواقف حاسمة للعلماء) في نهجه وطريقة تأليفه، والمثير للانتباه ما أثبته من محنة السلف الصالح، من أئمة المسلمين وعلمائهم، بدءا بسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وجعفر لصادق، والأئمة الأربعة أبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، ومحمد بن ادريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، وأخيرا بعبد القادر بن الشيخ محيي الدين الجزائري، والمجاهد عمر المختار قاتل الطليان بليبيا، وعبد الكريم الخطابي بالمغرب، وعبد الرحمان المهدي بالسودان، وعزالدين القسام بفلسطين، وآخرين كثيرين، فالكتاب فاكهة طرية، وأكلة شهية للمثقف العربي الذي يرغب في كسب وتحصيل المعلومات المختلفة من حياة أمة الإسلام، ومن رجالاتها المخلصين الذين لا يخلو منهم لا زمان ولا مكان.

7 – الشذارات

كتاب : (الشذرات، والتقاط الفوائد وغرر العوائد) للعلامة المحقق الرباني سيدي محمد بن ادريس الراضي السناني المالكي، والكتاب من جزأين اثنين في مجلد واحد، الجزء الاول من 191 صفحة، والثاني من 295 صفحة، وقد بلغت عدد الشذرات في الجزء الأول 420 شذرة، وفي الجزء الثاني 190 شذرة، ومن صفحة 194 جاء باستطرادات بلغ مجموعها 47 استطرادا، ثم أتم هذا الجزء بـ 5 شذرات ليكون المجموع في هذا الجزء : 195 شذرة.

وجل ما تعرض إليه سيدي محمد الراضي السناني في مؤلفه: المسائل اللغوية، والمسائل الفقهية، وكرامات الاولياء، وقد ختم رحمه الله كتابه بقصة مثيرة عن سيدي أحمد الخضر، كما تعرض لجزئية فريدة ألا وهي الصلاة في المنطاد الذي يحوم في الهواء، فهو يجعل الصلاة فيه باطلة، لكونه ليس ثابتا.

وحاصل القول، فكتاب الشذرات، كتاب غني بالفوائد العلمية في مختلف الفنون، رحم الله هذا الفقيه، فإنه توفي رحمه الله عام 1384هـ سنة 1964م، بأزمور مولاي بوشعيب السارية قرب مدينة الجديدة في بلاد قبائل دكالة.

وأذكر أن شيخي سيدي محمد بن سيدي محمد بن سيدي عبد السلام الطاهري الصقلي الحسيني درس عليه، وكان يجله ويذكره دائما، وكتاب الشذرات كاد سيدي محمد الطاهري أن يستظهره، فهو كان يحفظ ما بداخله، رحم الله الجميع رحمة واسعة.

8 – مجاني الأدب في حدائق العرب

كتاب : (مجاني الأدب في حدائق العرب)، للأب لويس شيخو اليسوعي، مسيحي لبناني ولد سنة 1859م، وتوفي سنة 1927م في بيروت بلبنان، اعتنى باللغة العربية وبآدابها، وأسس مجلة: (الشرق) سنة 1898م، عاشت مدة 25 سنة، له عدد

من المؤلفات، أشهرها : (مجاني الأدب في حدائق العرب) ست مجلدات من الحجم المتوسط، المطبعة الكاثوليكية بيروت، وقد رتبه ترتيبا عجيبا، بحيث نسق المواضع بعضها إلى بعض، وجعل لكل مادة عنوانا خاصا، والكتاب موسوعة أدبية كبيرة، لا يستغني عنه من يشتغل بهذا الفن من الأدب العربي، فكتاب مجاني الأدب، اسمه دال على مسماه، فلفظة: مجاني اسم لفعل : جنى يجني، بمعنى : قطف يقطف، وصاحبه عرف كيف يجني وكيف يقطف ويختار من المستملحات والنوادر ما هو جدير باستخراجه، وإثباته، وكل جزء من هذه الأجزاء 320 صفحة إلا الأخير فمجموع صفحاته 338 صفحة.

إذن فمجموع صفحات الأجزاء الستة: 1938 صفحة.

النسخة المصورة في دار المشرق بيروت في لبنان 1992 عن الأصلية.

9 – المستطرف في كل فن مستظرف

كتاب : (المستطرف في كل فن مستظرف) لشهاب الدين محمد بن احمد بن منصور أبي الفتح الإبشيهي، ولد سنة 790 هـ في قرية أبشويه من قرى الغربية بمصر وتوفي عام 852 هـ.

يقول الابشيهي في مقدمة كتابه المستطرف : (جعلته يشتمل على أربعة وثمانين بابا من أحسن الفنون، متوجة كأنه الدر المكنون)، إلى أن يقول: وضمنته كل لطيفة، وظمنته بكل طريفة.

الأول ضمن (وزن علم) بالضاد الساقطة، أي كفلته وجعلته فهو ضامن.

أما قوله : (وظمنته بكل طريفة...) بالظاء المشالة ، فلم أجد لفظة (ظمن) في كتب اللغة التي بين يدي، بدءا بالمصباح المنير والمختار الصحاح، وأساس البلاغة، والمعجم الوسيط، والقاموس المحيط، ولسان العرب، ولعله أراد بقوله ظمنته أي نسقته.

وذكر أنه اعتمد كثيرا، كتاب : (ربيع الأبرار) للإمام محمود بن عمرو الزمخشري، وكتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي، الأول من أربع مجلدات ضخام، والثاني من ثمانية أجزاء في أربع مجلدات كذلك.

فكتاب المستطرف اسم دال على المسمى فيه من نوادر العلوم والحكم والأمثال ما تفرق في غيره من الكتب المؤلفة في الأدب.

10 - ثمرات الأوراق

كتاب : (ثمرات الأوراق) ألفه وجمعه تقي الدين أبو بكر بن علي ابن حجة الحموي، النسخة التي بين يدي حققها وعلق عليها : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل ببيروت لبنان 1407 هـ 1987م، الكتاب من الحجم المتوسط عدد صفحاته 497 صفحة، وهو من قسمين، القسم الأول : (ثمرات الأوراق) إلى غاية 420 صفحة، القسم الثاني : (ذيل ثمرات الأوراق) إلى غاية 497، وقد عنون فصول الكتاب أحيانا بقوله : (نادرة) وأحيانا بقوله : (لطيفة)، وأحيانا أخرى بذكر الوقائع بأسماء أشخاصها، ينسب النوادر واللطائف لأصحابها، ولا يذكر اسم الكتاب الذي أخذ منه نادرا، إلا أن المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم تتبع الكتاب، وأثبت في الهامش بعض المصادر التي نقل منها، وأشار في بعضها إلى الصفحات وخصوصا في كتب ابن الجوزي : (الأذكياء)، وأخبار الحمقى والمغفلين)، فكتاب ثمرات الأوراق وذيله جمع فيه صاحبه عصارة ما في كتب الأدب وكتب السير والتواريخ، إنه كتاب جدير بالاقتناء والمطالعة والبحث لمن يرغب في تحصيل العلوم.

11 - الأجوبة المسكتة

كتاب : (الأجوبة المسكتة) على لسان القرآن والأدب والحكمة.

الكتاب الفه عالم من علماء مصر، هو : (أحمد صابر بك) مفتش سابق بوزارة الاوقاف المصرية، والكتاب عبارة عن موسوعة مجادلات ومحاورات ومصارعة أفكار مقنعة ممتعة، تلقن الناس الحجة البالغة، وتعلمهم الحكمة وفصل الخطاب، عدد صفحات الكتاب: 192 صفحة، الحجم المتوسط، الطبعة الثالثة عام 1368 هـ 1949 م.

استهل الكاتب كتابه: (الأجوبة المسكتة) على لسان القرآن الكريم، بدءا بسورة البقرة، وانتهاء بسورة الزلزال.

ثم على لسان رسول الله ﷺ بأجوبته الحكيمة وردوده المقنعة، ثم على لسان الأدب قديمه وحديثه، سالكا بين فلان وفلان، أو بين كذا وكذا، وتحاشا ذكر المصادر التي أخذ منها، وإنما اكتفى بذكر ما وقع من الحوار والمجادلة، والأسئلة والرد المقنع عليها، ولم يراع في ذلك لا الزمان ولا المكان، إلا أن من يتتبع هذه الأجوبة المسكتة يتبين له أن جلها في كتب الأدب المعتمدة: كالعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، وهذا الكتاب من مجلدين كبيرين، ويحتوي على عشرة كتب، وربيع الأبرار للإمام الزمخشري، وفي الكتب الأربعة في الأدب التي هي : أدب الكاتب لابن قتيبة، والبيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد، والأمالي لأبي علي القالي البغدادي، وغيرها من أمهات كتب الأدب.

وأخيرا ختم الكتاب بالأجوبة المسكتة على لسان الحكمة، وبما جاء على لسان بعض حكماء اليونان : سقراط، وافلاطون، وأرسطو وديوجانس، وأرستيب، وأرسطاطاليس.

فالكتاب موسوعة علمية كبيرة، وفي نفس الوقت تسلية وترويح عن النفس.

12 – معجم كنوز الأمثال والحكم

كتـاب : (معجم كنوز الأمثال والحكم العربية النثريـة والشعرية)، تأليف الدكتور : كمال خلايلي، من مواليد فلسطين 1950 م، دكتور في آداب اللغة العربية، يعمل موظفا في قسم الترجمة العربية بهيئة الأمم المتحدة في جنيف بسويسرا.

عدد صفحات الكتاب 508 صفحة، سلك في تأليف كتابه : (معجم كنوز الأمثـال والحكم العربية......) طريقـة عجيبة، جعل لكل مـوضوع عنوانا خاصا بدءا بـ : الإخوان / الأصحاب / الأخلاء/ الصداقة والأصدقـاء / العداوة والأعداء، وختاما : الضرورة / الحاجة / الشعر والشعراء / أمثال وحكم متفرقة.

يشرع أولا بتقديم الحكم والأمثال النثرية داخل مربع أو مستطيل، فينتقل إلى الأبيات الشعرية كذلك، ويعطي لكل مثال رقما، ثم يحيل على مصدره بالرقم كذلك.

أحيانا يكون المصدر في كتاب واحد فقط، أو كتابين، وأحيانا – وهو الأكثر – في عدة كتب، مشيرا إلى الجزء والى الصفحة، وحسبما ذكر في مقدمة كتابه – وهو كذلك – فقد بذل مجهودا كبيرا وهو ذو اطلاع واسع.

فمثلا : بيتان من الشعر حفظتهما من ايام الدراسة بالقرويين على أحد الاساتذة، والبيتان هما :

(صديقي من يرد الشـر عنـي ويـرمي بالعـداوة من رمـاني
ويصفـو لي إذا ما غبت عنـه وارجـوه لنـائبـات الزمـان)

مصدر هذين البيتين واحد، وهو ديوان أبي العتاهية، ص : 422.

وبيت من الشعر للمتنبي مشهور :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى (عـدوا لـه ما من صداقته بـد)

مصادره : ديوان المتنبي ج : 1 ص : 242، واليتيمة ج : 1 ص : 253، والتمثيل والمحاضرة ص : 111، وخاص الخاص، ص : 147، والإعجاز والإيجاز ص : 215، ومجموعة المعاني ج : 2 ص : 733، والغيث المسجم شرح لامية العجم ج: 2 ص: 319، ونهاية الأرب ج : 3 ص: 106.

إنه اطلاع كبير، وبحث مستفيض، فكتاب (معجم كنوز الامثال والحكم العربية....) كتاب نفيس في بابه، يتجول بالمثقف في أمهات الكتب، ويطلعه على نفائسها ودقائقها.

وأنا أحكم – في رأيي – إن من يتناول هذا الكتاب ويشرع في مطالعته يتعذر، ويصعب عليه أن يضعه من يديه قبل أن يأتي على آخره، لأنه كما وصف العلامة ابن خلدون كتابه الشهير : (المقدمة) حيث قال:

(كتاب قد حوى درر المعاني ... وبحر فوائد للمقتنيه
فلا تعجب لهاتك المباني ... فإن البحر كل الدر فيه)

البيتان في الصفحة الأولى من كتاب :
(مقدمة العلامة ابن خلدون).
مكتبة مصطفى محمد.
بدون تاريخ.

ميـدان التأليـف

ميدان التأليف ميدان خصب واسع الأطراف، متشعب الجهات، ورجال الثقافة والعلم، منهم من هو متخصص في مادة أو مادتين – وهو الأكثر – وبعضهم من له مشاركة في عدد من العلوم – وهذا قليل – إلا أن العلوم لا يستقيم أمرها، ولا تلين إلا في أيدي من له علوم العربية، من نحو وصرف وإملاء وبلاغة، لأن علم العربية هو الآلة، وهو المفتاح لجميع العلوم، فالذي لا يفرق بين الاسم والفعل والحرف، والذي لا يعرف الفاعل ونائب الفاعل، أو المفعول به، والمفعول لأجله، أو المبتدأ والخبر، أو اسم كان وأخواتها، أو إن وأخواتها كذلك أو التوابع الأربعة، وهلم جرا، فهذا لا يستطيع الغوص في ميدان التأليف، بل حتى في ميدان القراءة والفهم، فدراسة متن الأجرومية بشروحها المتعددة، وبعدها نظم متن الألفية، إلى جانب شقيقتها لامية الأفعال، بالإضافة إلى دراسة المعاجم اللغوية، وهذا ضروري ومحتم ولابد منه.

فدراسة هذه المواد في مرحلة الشباب لطالب العلم هي أشبه بالطعام الضروري لجسم الإنسان، فكما لا يستغني أي كائن حي على طعامه الذي هو قوام الجسم، لا يستغني الإنسان المثقف الذي يريد الغوص في ميادين العلوم عن دراسته لعلم النحو والبلاغة.

مـواد الكتـاب

وها انا أشرع في تقديم الكتاب، أولا بأول، وحسب ما أرى في ذلك من تقديم وتأخير، وبدءا بكتاب الله تعالى، وبآيات منه تبركا وتعظيما لشأن كتاب الله، قال تعالى : ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها، إن ربي لغفور رحيم﴾ هود 41.

هكذا خاطب نبي الله نوح عليه السلام ثلة من المومنين، الذين آمنوا معه، وكانوا ثمانية، نوح عليه الصلاة والسلام وأهله، وبنوه الثلاثة ونساؤهم، وعن ابن إسحاق، كانوا عشرة، خمسة رجال وخمس نسوة، وقيل إنهم كانوا عشرة، سوى نسائهم، وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة، وأولاد نوح، سام وحام ويافيث ونساؤهم، فالجميع ثمانية وسبعون، نصفهم رجال، ونصفهم نساء، ومن هذه المجموعة، تعاقبت السلالة البشرية التي عمرت الأرض إلى يومنا هذا، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها، (تفسير أبي السعود م: 2 ج: 3 ص: 22 سورة هود).

ويقول سبحانه : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله، واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا﴾ الكهف 24.

وإني إن شاء الله أذكر في هذا المؤلف بعض ما سبق لي أن طالعته وكتبته، ووقع اختياري عليه من أمهات الكتب في مختلف الفنون والعلوم، وبعضها سمعته فقط من علماء وأساتذة، فلما أعجبني دونته حتى صار عندي كحجة أستشهد به.

وفي الحديث، قال ﷺ : (فضل الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فاداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع) رواه أصحاب السنن بطرق مختلفة، كشف الخفاء رقم : 2813 عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ما ورد في العلم وفضله، ومدارسته وتحصيله،
وكذلك ما ورد في الكتب وشرائها وبيعها وإعارتها

إن أول خطاب خاطب الله به نبيه سيدنا محمد ﷺ، والخطاب لرسول الله خطاب لأمته، قال تعالى : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ العلق 1-5.

وقال سبحانه : ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ النحل 78.

والعلم صفة خاصة يهبها الله لمن يشاء من عباده، قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ: (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ البقرة 113.

ثم أخبر الله عباده بمن شهد بربوبيته ووحدانيته تعالى، فقال : ﴿شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ آل عمران 18.

كما حصر الخشية والخوف منه في العلماء – علماء الدين، وعلماء الشريعة – فقال : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فاطر 28.

وفي الحديث قال ﷺ : (أغد عالما أو متعلما، أو مستمعا، أو محبا، ولا تكن الخامسة فتهلك) عن أبي بكرة مرفوعا، كشف الخفاء رقم: 437، وقال : (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله طريقا إلى الجنة) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل : (من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم).

وعلم الله واسع لا حد له ولا نهاية، قال تعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ الكهف 109.

وقوله سبحانه : ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله، إن الله عزيز حكيم﴾ لقمان 27.

والعلوم فنون شتى، تختلف بعضها عن بعض، أفضلها وأكبرها شأنا الفقه في الدين، لقول النبي ﷺ : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) رواه الشيخان وأحمد عن سيدنا معاوية رضي الله عنه ك خ 2647.

والفقه في الدين الغوص في معرفة الجزيئات والأحكام سواء في العبادات أو في المعاملات، والاستدلال على كل جزء أو حكم بالكتاب أو السنة أو إجماع الأيمة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن كتاب الفقه والمتفقه، للخطيب البغدادي ت 463 هـ ص: 15.

فضل الفقه على كثير من العبادات

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعلمه من يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو منار سبيل أهل الجنة، وهو الأنس في الوحدة، والصاحب في الغربة، والدليل في الظلمة، والمحدث في الخلوة، والسنان على الأعداء، يرفع الله به أقواما، فيجعلهم في الخير قادة، وفي الهدى أيمة يقتدى بهم، وترمق أعمالهم، وترغب الملائكة في إخائهم، فأجنحتها تمسحهم، وكل رطب ويابس يستغفر لهم، حتى حيتان البحر، وهوام الأرض، وسباع الرمل ونجوم السماء، ألا إن العلم حياة القلوب من العمى، ونور البصر من الظلم، به يطاع الله، وبه يعبد الله، وبه يحمد الله، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، هو إمام العقل، والعمل تابعه، يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء، ولا خير في عبادة بغير تفقه، ولا خير في قراءة بغير تعبد وتدبر، والقليل من التفقه خير من كثير عبادة، ولمجلس ساعة تفقه خير من عبادة سنة) انتهى.

ولأشهر آية محكمة، يرددها الكل، الخاص والعام : (العلم آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة، وما سوى ذلك فهو فضل).

وقال أحد الحكماء : (العلم إن أعطيته كلك، أعطاك بعضه، وإن أعطيته بعضك فقط لا يعطيك شيئا).

وقال آخر : (سوق العلم والكتب، يحتاج الى عمر نـوح، وصبر أيوب، ومال قارون) استدرك عليه آخر قائـلا : نسيت توفيق الله تعالى، مصداقا لقوله سبحانـه: ﴿واتقوا الله، ويعلمكم الله﴾ البقرة 282.

وللإمام الشافعي رحمه الله :

(شكوت إلى وكيـع سوء فهمي فـأرشدنـي إلى تـرك المـعـاصي
وقــال بـنـي إن الـعـلـم نــور ونـور الله لا يـوتـيـه عـاصـي)

فالعلم صفة خاصة يكسبها الله العبد، لا ترى بالبصر، ولا هي بضاعة تشترى.

ويحكى عنه أيضا رحمه الله : (لو كلفت يوما بشراء بصلة ما قرأت من العلم شيئا).

وللإمام الشافعي رحمه الله في شروط تحصيل العلم:

(أخي لن تنال العلم إلا بستـة سأتيـك عنها مخـبـرا ببيـان
ذكاء وحرص واصطبار وبلغـة وصحبة أستاذ وطول زمان)

وله أيضا رحمه الله في تحصيله واختيار أحسنه :

(لن يبلغ العلم جميعا أحـد لا ولو حاولـه ألف سنـة
إنمـا العلـم عميـق بحـره فخذوا من كل شيء أحسنـه)

وللحميدي أبي عبد الله محمد بن فتوح الأزدي ت 488 هـ :

(لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلـل من لقـاء النـاس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال)

الغنية للقاضي عياض، ص: 137.

حكى ابن القاسم قال : سمعت مالكا يقول : (ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يقذفه الله في القلوب).

وقال أحدهم : (حفظ سطرين، أفضل من حمل وقرين، والمذاكرة بين اثنين أفضل من هاتين).

وللإمام الشافعي رحمه الله في نفس المعنى:

(علمي معـي حيثما يممت يتبعني قلبي وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في الدار كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق)

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : (عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبل أن يرفع، ثم جمع بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام ثم قال: العالم والمتعلم شريكان في الأجر، ولا خير في سائر الناس) سنن ابن ماجه ج : 1 ص : 228، والجامع الصغير.

وجامع بيان العلم وفضلـه ج : 1 ص : 28، والغنية للقاضي عياض ص : 99 وفي رواية : (العالم والمتعلم في الأجر سواء) كشف الخفاء رقم : 1756.

وفي حديث : (العلم في الصغر كالنقش على الحجر).

وعلى ضوء هذا الحديث قال أحد الشعراء : إنه ابن عباس (رضي الله عنه) : عنهما.

(أراني أنسى ما تعلمت في الكبـر ولست بناس ما تعلمت في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبا وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر
ولو فلق القلب المعلم في الصبا لأصبح فيه العلم كالنقش في الحجر)

وعلى ضوء هذه الأقوال وهذه الآراء في العلم والتعلم، نتطرق لما قيل في رجل التعليم.

نبدأ بقصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي المثبتة في ديوانه : (الشوقيات) بعنوان : (العلم والتعلم وواجب المعلم) في الجزء الأول صفحة: 153-157 المطبعة التوفيقية بدون تاريخ، عدد أبيات القصيدة ستة وستون (66) بيتا استهلها بقوله :

(قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشئ أنفسا وعقولا
سبحانك اللهم خير معلم علمت بالقلم القرون الأولى
أخرجت هذا العقل من ظلماته وهديته النور المبين سبيلا
وطبعته بيد المعلم تارة صدئ الحديد وتارة مصقولا
أرسلت بالتوراة موسى مرشدا وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمدا فسقى الحديث وناول التنزيلا
علمت يونانا ومصر فزالتا عن كل شمس ما تريد أفولا
واليوم أصبحت بحال طفولة في العلم تلتمسانه تطفيلا)

نكتفي بهذه الأبيات العشرة، وننتقل إلى الشاعر الفلسطيني الذي عارض شوقي فيما دعا إليه من مدح المعلم وجعله قريبا من مرتبة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو إبراهيم بن عبد الفتاح طوقان، ولد 1905م بنابلس وتوفي 1941م، حين قال منتقدا شوقي :

(شوقي يقول وما درى بمصيبتي قم للمعلم وفه التبجيلا
اقعد فديتك هل يكون مبجلا من كان للنشء الصغار خليلا
ويكاد (يفلقني) الأمير بقوله (كاد المعلم أن يكون رسولا)
لو جرب التعليم (شوقي) ساعة لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غمة وكآبة مرأى (الدفاتر) بكرة وأصيلا
مائة على مائة إذا هي صلحت وجد العمى نحو العيون سبيلا
ولو أن في (التعليم) نفعا يرتجي وأبيك لم أك بالعيون بخيلا
لكن أصلح غلطة نحوية مثلا، واتخذ (الكتاب) دليلا

مستشهـدا بالغـر من آياتـه أو بالحديث مفصلا تفصيلا
وأغوص في الشعر القديم فأنتقي ما ليس ملـتبسـا ولا مبذولا
وأكاد أبعث (سيبويـه) من البلى وذويـه من القـرون الأولى
فأرى (حمـارا) بعد ذلك كله رفع المضاف إليه والمفعولا
لا تعجبوا إن صحت يوما صيحة ووقعت ما بين (البنوك) قتيلا
يـامن يريـد الانتحـار وجـدتـه إن المعلم لا يعيـش طـويـلا)

يتبين لمن يقرأ القصيدتين، ويتمعن فيها قاله الشاعران، أن الثاني وهو إبراهيم طوقان، من الذين مارسوا مهنة التعليم، وقد عبر بها قاسه ويقاسيه من يمارس هذه المهنة الشاقة.

أما الأول وهو شوقي، فقد رأى أن يرفع من شأن رجل التربية والتعليم إلى درجة الرسل، وطبعا فإن هؤلاء كابدوا المشاق والأتعاب بسبب ما لاقوا في أداء مهمتهم.

شاعـر آخـــر

وهذا شاعر آخر من القطر الليبي، وهو (رفيق المهداوي) يتألم مما يعانيه المعلم من مشاق، وما يكابده من أتعاب، فينظم قصيدة يرثي فيها حرفة التعليم، ويندد بما يقوم به الطلبة من عبث وأعمال شيطانية، يفقد الإنسان معه صبره فكتب يقول:

(بعرفـتـه أشقى العبـاد المعلـم يعيش فيقـضي عمـره يتـألـم
يعاشر أحداثا فلا هم ذوو حجى ولا هم مجـانـين فيبعـد عنهـم
يعـالج شطـرا فيسكت واحــد لمكـر، ولكـن عشـرة تتكلـم
لهم في خفــوت الصـوت كـأ نهم عصافير في أفنانها تترنم
يجد وهم لاهون عـنـه وكلمــا رأوا في محياه العبوس تبسموا
ومن أعظم البلوى إذا كان بينهم خبيـث على أستـاذه يتهكـم
إذا أجمعـوا مكرا وفيهم غبـاوة فيا شـر ما يلقى المعلم منهمو)

إنه وصف دقيق، وذو مغزى عميق، عبر عنه هذا الشاعر، فيما جرى ويجري - عادة - بين رجل التعليم وطلبته، ولو يعلم طالب العلم ما عليه من فضل معلمه عليه، لأنصت إليه، وقدر موقفه حياله، وجعله قدوة يستضيء به ويستنير، فهو الذي يحل له المعضلات، قال أحد الشعراء:

(ولابد من شخص يريك شخوصها　　　وإلا فنصف العلم عندك ضائع)

وهذا شاعر آخر

ومن رجال التربية والتعليم، والذين مارسوا هذه المهنة، وارتضوها لأنفسهم، وقنعوا بها، واحتسبوها: الشيخ محمد العيد آل خليفة، أمير شعراء الجزائر، قال في أبيات أربعة عنونها بقوله (احتساب المعلم):

(سألزم بيتي قانعا بمعيشتي　　　رفيقا لكتبي قابسا بعض نورها
واخرج من بيتي لتعليم فتية　　　بمدرسة آوتهم في جحورها
فإن أثمر التعليم فيهم ثماره　　　فذاك منى نفسي وأقصى سرورها
وإن تكن الأخرى فحسبي غنيمة　　　براءة نفسي واحتساب أجورها)

ديوانه ص: 519.

ومن الأقوال المأثورة في هذا الميدان :

قال ابن خلدون : (إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم، وما يتحلون به من المذاهب والفضائل، تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة والمخالطة).

وقال ابن مسكويه : (هذه النفس - نفس الطفل - مستعدة للتهذيب والتأديب صالحة للعناية، يجب ألا تهمل ولا تترك، ومخالطة الأضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة).

وقـال عبد الملك بن مـروان الخليفة الأموي يوصي أبنـاءه : (يا بني تعلموا العلم، فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم).

وقال المربي الفرنسي جان جاك روسو : (إن الطريقة الوحيدة للتأثير على سلوك طلابك وميولهم هي أن تعمل على كسب ثقتهم بك، ومحبتهم لك).

ولأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : (ثلاثة لا تشاورهم فهم لا رأي لهم -: راعي الغنم، وكثير القعود مع النساء، ومعلم كتاب) فسئل عن هذا الأخير لم ساواه مع الاثنين الأولين، أجاب إنه يغدو على صبيان ويروح على امرأة، الصبي لازال لم يميز، والمرأة ناقصة عقل ودين)، الحديث.

أما ما قيل في الكتب، وشرائها، وملكها، وإعارتها، قال أحدهم :

(لنـا جلسـاء لا يمـل حـديثهـم ألبـاء مأمـونا غيبـا ومشهـدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى ورأيا وتسديدا، ومجدا مسـددا
فلا فتنـة تخشى ولا سـوء عشـرة ولا تتقـي منهم لسانا ولا يـدا
فإن قلت أحيـاء فلسـت بكـاذب وإن قلـت أمواتا فلسـت مفنـدا)

وآخر ينهي عن إعارة الكتب، وهي بمنزلة الحبيب، والحبيب لا يعار، فقال:

(ألا يـا مستعيـرا كـتبـي دعنـي فـإن إعـارة الكـتـب عـار
فمحبـوبـي من الـدنـيـا كـتـابـي وهـل أبصـرت محبـوبـا يعـار)

وللعلامة المرحوم سيدي محمد بن ادريس الراضي السناني المالكي، والمتوفى: 1384هـ، 1964م:

(إعـارة الكـتـب تفـضـي إلـى الـذي لـيـس يـرضـي
فمنعهـا الـيـوم حـتـم بـه المـوفـق يقـضـي)

الموفق : القاضي الذي يفصل بين الخصماء

وقرأت في مجلة (هنا لندن) قديما، قال أحدهم : (إياك أن تستعير كتبك، فإن مكتبتي كلها مستعارة).

أراد: إنه لم يكلف نفسه شراء الكتب، ولكنه يستعير من غيره ولا يرد وصاحب هذا القول صادق في قوله، فرجل الثقافة والعلم لا يؤمن على كتاب.

ولنستمع للجاحظ، وهو يتحدث عن الكتاب :

(الكتاب نعم الذخر والعدة، والجليس والعمدة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل والزميل).

ولأحدهم في استعارة الكتب :

(إذا استعرت كتابي وانتفعت به فاحذر وقيت الردى من أن تغيره
واردده سالما إني شغفت به لولا مخافة كتم العلم لم تره)

م نور الأبصار ص : 1، تعريف الخلف ص :31.

ومن قصيدة طويلة للمتنبي يمدح بها كافورا من 90 بيتا، وفي البيت 65 يمدح سرج الفرس الذي يمتطي لطلب المعالي، والكتاب هو خير جليس لأنه مأمون الجانب، فلا أذى ولا شر، فقال :

(أعز مكان في الدنيا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب)

وفي هامشه ج:1 ص:319 يستشهد شارحه عبد الرحمن البرقوقي بالبيت الآتي:

(ما تطعمت لذة العيش حتى صرت في وحدتي لكتبي جليسا)

والعلم يحصل بالمشافهة والمدارسة أخذا عن العلماء العارفين المتضلعين ويحصل كذلك بالكتابة والتقييد، قال أحد الشعراء:

(العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الواثقة)

للتعليق فقط على البيت، فلفظة الواثقة لم تفد المعنى المطلوب لأنها من فعل وثق يثق، وليست من فعل أوثق يوثق.

وقد حذر أحدهم من يتعاطى الكتابة، وتسجيل كل ما يرى ويسمع لأنه سيسأل عن ذلك، فقال :

(وما من كاتب إلا سيفني ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك إلا ما يسرك في القيامة أن تراه

وهذا أحد الصالحين يخط بيده مصحفا، بعد أن توضأ وصلى ركعتين لله تعالى، دعا الله سبحانه، وكتب هذه الأبيات الثلاث:

(كتبت وقد أيقنت لاشك أنني ستفني يدي يوما ويبقى كتابيا
ولا شك أن الله سائلها غدا فيا ليت شعري ما يكون جوابها
فإما نعيم في الجنان وراحة وإما جحيم لا يطاق عذابها)

صاحب القلم يناظر صاحب السيف :

(يمسك الفارس رمحا بيد وأنا أمسك فيهما قصبة
فكلانا بطل في حربه إن الأقلام رماح الكتبة)

أراد انه هو في مرتبة المجاهد الذي يجاهد في سبيل الله.

نكتفي بهذا القدر في ما ورد، وفي ما قيل في العلم.

ما ورد في الدعاء والتوسل والابتهالات

الدعاء سلاح المؤمن (حديث روي مرفوعا).

الدعاء مخ العبادة، حديث رواه الترمذي عن أنس (ﷺ).

الدعاء لا يرد بين الآذان والإقامة، حديث عن أنس كذلك.

الدعاء يرد البلاء، رواه الطبراني مرفوعا.

دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأمته، حديث.

دعوة الأخ لأخيه في الغيب مستجابة، حديث صحيح.

دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، حديث.

هذه الأحادي في كتاب كشف الخفاء ومزيل الإلباس من صفحة 403 إلى 405.

والله تعالى خاطب عباده المؤمنين قائلا : ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ غافر الآية : 60، وقال مخاطبا نبيه ﷺ : ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب، أجيب دعوة الداعي إذا دعاني﴾ البقرة الآية 186، وقال: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ الاعراف الآية : 180، وقال : ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ الفرقان الآية : 77.

(والآية الأخيرة نظم الإمام الشافعي في معناها قائلا :

(أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء)

كما يشير في هذين البيتين كذلك إلى الحديث الذي رواه الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه، ثلاثة لا ترد دعوتهم : (الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب عز وجل: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين).

وفي كشف الخفاء ج : 1 ص: 246 رقم الحديث 750 : (إن الله يحب الملحين في الدعاء).

قال : رواه الطبراني وأبو الشيخ القضاعي عن عائشة (رضي الله عنها) مرفوعا، وما أحسن قول بعضهم :

(والله يغضب إن تركت سؤله   وبني آدم حين يسأل يغضب)

- **دعاء الاستخارة**

(اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم الأعظم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي، ومعاشي ومعاذي، وعاقبة أمري، وعاجله وآجله، فاقدره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي، ومعاشي ومعاذي، وعاقبة أمري، وعاجله وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به، إنك على كل شيء قدير).

- **صلاة التسبيح (كيفيتها):**

علمها رسول الله ﷺ عمه العباس رضي الله عنه، فقال : (يا عماه، ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبوك، ألا أنفعك، قال : بلى يا رسول الله، قال : إذا أنت فعلت ذلك، غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه وعمده، صغيره، وعلانيته، عشر خصال، قال : أن تصلي أربع ركعات، تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة، قلت وأنت قائم : (سبحان الله والحمد لله، ولا

إله إلا الله والله أكبر) خمسة عشر مرة، قبل أن تركع، ثم تركع وتقولها وأنت راكع عشرا، ثم ترفع رأسك من الركوع، فتقولها عشرا، ثم تهوي ساجدا فتقولها عشرا، ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا، ثم تسجد فتقولها عشرا، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا، فذلك خمس وسبعون مرة في كل ركعة، تفعل ذلك في أربع ركعات).

إن استعطت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل، فإن لم تستطع ففي كل جمعة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة فإن لم تفعل ففي كل عمرك مرة.

- **مصادر هذه الصلاة :**

الأذكار للإمام النووي رحمه الله صفحة 167-168.

تحفة الذاكرين للإمام الشوكاني صفحة 140-141.

قال : الحديث أخرجه أبو داود وابن حبان، والحاكم في المستدرك.

- **من الأدعية التي يتوسل بها:**

(اللهم صل على نور الأنوار، وسر الأسرار، وترياق الأغيار، ومفتاح باب اليسار، سيدنا محمد المختار، وآله الأطهار، وصحابته الأخيار، عدد نعم الله وأفضاله).

- **أدع بدعاء الكرب :**

قال علي بن الحسين لابن عمه الحسن بن الحسين ابن علي كرم الله وجهه :

(ادع بدعاء الكرب) : (لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إلاه إلا الله العلي العظيم، سبحان رب السماوات ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين).

- **دعاء الإفطار**

دعاء الإفطار عند نهاية الصيام : (اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت وعليك توكلت، وبك آمنت، ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله، يا واسع الفضل اغفر لي، الحمد لله الذي أعانني فصمت، ورزقني فأفطرت).

حين عيادة المريض

كان شيخنا وأستاذنا الشريف العلامة الراحل سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري رحمه الله إذا عاد مريضا ووقف عند رأسه دعا بهذا الدعاء النبوي الشريف: (ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، واغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين – الطيبين – أنزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الجسد، ويشير إليه ويقول : وارفع عنه هذا الوجع).

- **دعاء لاعرابي**

قال الأصمعي عبد الملك بن قريب :

وقف أعرابي مقابل الروضة الشريفة فقال : (اللهم هذا حبيبك وأنا عبدك، والشيطان عدوك، فإن غفرت لي سر حبيبك، وفاز عبدك، وغضب عدوك وإن لم تغفر لي حزن حبيبك، ورضي عدوك وهلك عبدك، وأنت أكرم من أن تحزن حبيبك، وترضي عدوك، وتهلك عبدك، اللهم إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره، وإن هذا سيد العالمين فاعتقني على قبره).

قال الأصمعي : فقلت : يا أخ العرب غفر الله لك، وأعتقك بحسن هذا السؤال.

المصدر : في ملكوت الله، مع أسماء الله الحسنى ص : 75.

قصة وكرامة سيدنا زيد بن حارثة (رضي الله عنه) :

في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر على هامش الإصابة، ج : 1 ص : 548-549 :

قال : بلغني أن زيد بن حارثة (رضي الله عنه) اكترى من رجل بغلا من الطائف، اشترط عليه المكري أن ينزل به حيث شاء، قـال : فمال به إلى خربة فقال له : انزل، فنزل، فإذا في الخربة قتلى كثيرة، قـال : فلما أراد أن يقتله، قال لـه : دعني أصلي ركعتين، قال : فقد صلى قبلك هؤلاء، فلم تغنهم صلاتهم شيئا، قال، فلما صليت أتاني ليقتلني، قال، فقلت : يا أرحم الراحمين، قال فسمع صوتا، لا تقتله، فهاب ذلك، فخرج يطلب، فلم يجد شيئا، فرجع إلي فناديت يا ارحم الراحمين، فعل ذلك ثلاثا، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة حديدية في رأسها شعلة من نار، فطعنه بها، فأنفذه من ظهره، فوقع ميتا ثم قال لي : (لما دعوت الأولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة، فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين كنت في السماء الدنيا، فلما دعوت المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتك)، ومن يتأمل في مثل هذه القصص يجد أنها كرامة من الكرامات يهبها الله لعباده الصالحين المخلصين، الذين يتوكلون على الله في كل أمورهم وأحوالهم.

- **قصة محمد بن حمير مع الحية :**

أنا الذي يقال لي المعروف مستقري في السماء الرابعة.

في حلية الأوليـاء، وطبقة الأصفياء لأبي نعيم أحمـد بن عبد الله الأصفهـاني، ج : 7 المجلد الرابع ص: 293.

وفي حياة الحيـوان الكبرى لكمـال الدين محمـد بن موسى الدمـيري ج : 1 الصفحة : 392.

قال : اجتمع الناس عند سفيان بن عيينة بمكة، فقال لرجل : حدث الناس بحديث الحية، فقال : خرج رجل يتصيد، فخرجت حية فقالت : يا محمد بن حمير أجرني أجرك الله، فقال لها : ممن؟ قالت من عدو قد ظلمني، قال لها وأين عدوك؟ قالت له من ورائي، قال لها من أي أمة أنت؟ قالت: من أمة محمد ﷺ، قال ففتحت

لها ردائي، وقلت لها: ادخلي فيه، قالت: يراني عدوي، قلت لها فما الذي أصنع لك؟ قالت: إن أردت اصطناع المعروف افتح لي فمك، حتى أنساب فيه، قلت: أخشى أن تقتليني، فقالت: لا والله ما أقتلك، والله شاهد علي بذلك، وملائكته وأنبياؤه وحملة عرشه، وسكان سماواته، أن لا أقتلك قال: ففتحت لها فمي فانسابت فيه، ثم مضيت، فعارضني رجل معه صمصامة، فقال يا محمد، فقلت له: ما تشاء؟ قال: هل لقيت عدوي؟ قلت: ومن عدوك؟ قال لي: حية، قلت اللهم لا، واستغفرت ربي مائة مرة من قولي لا، لعلمي أين هي ثم مضيت قليلا، فإذا بها قد أخرجت رأسها من فمي، وقالت: انظر هل مضى هذا العدو؟ فالتفت فلم أجد أحدا، فقلت لم أر أحدا، فإن أردت الخروج فاخرجي فقالت: الآن يا محمد، اختر لنفسك واحدة من اثنتين: إما أن أفتت كبدك، فأدعك بلا روح، وإما أن أنفث في قلبك، فقلت: يا سبحان الله، أين العهد الذي عهدت الي واليمين الذي حلفت؟ ما أسرع ما نسيته وخنت؟ فقالت: يا محمد، ما رأيت أحمق منك، إذ نسيت العداوة التي كانت بيني وبين أبيك آدم، حيث أخرجته من الجنة فليت شعري ما الذي حملك على اصطناع المعروف مع غير أهله؟ قال فقلت لها: ولابد لك من قتلي؟ قالت: نعم، قال: فقلت لها: أمهليني حتى أصعد هذا الجبل، فأمهد لنفسي موضعا، قالت شأنك وما تريد، قال محمد: فصعدت أريد الجبل، وقد أيست من الحياة، فرفعت طرفي إلى السماء، إذ رميت أنظر بعيني نحو العرش، وقلت: (يا لطيف ألطف بلطفك الخفي، يا لطيف يا قدير أسألك بالقدرة التي استويت بها على العرش فلم يعلم العرش أين مستقرك منه، إلا كفيتنيها يا حليم يا عليم، يا عظيم يا حي يا قيوم يا الله)، ثم مشيت فعارضني رجل صبيح الوجه، طيب الرائحة نقي الثوب، فقال لي: سلام عليك، فرددت عليه السلام يا أخي، فقال لي: مالي أراك قد تغير لونك، واضطرب جسدك فقلت من عدو ظلمني، قال لي: وأين عدوك؟ قلت: في جوفي، قال فافتح فمك ففتحته، فوضع فيه مثل ورقة زيتون خضراء، ثم قال: امضغ وابلع، فمضغت وبلعت، قال محمد: فلم ألبث يسيرا

حتى مغصني بطني، ودارت الحية في بطني فرميت بها من أسفل قطعا قطعا، وذهب عني ما كنت أجده من الخوف، فتعلقت بالرجل، فقلت من أنت يا أخي؟ أحمد الله الذي من الله علي بك، فضحك ثم قال، أما تعرفني؟ قلت اللهم لا، قال: يا محمد ابن حمير، إنه لما كان بينك وبين هذه الحية ما كان، ودعوت الله بهذا الدعاء، ضجت ملائكة السماوات السبع إلى الله عز وجل فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي، وجودي وارتفاعي في علو مكاني، إنه كان بعيني كل ما فعلت الحية بعبدي، فأمرني الله أن أنطلق إلى الجنة وخذ ورقة خضراء من شجرة طوبى، وألحق بها محمد بن حمير، وأنا الذي يقال له: (المعروف) ومستقري في السماء الرابعة، ثم قال: عليك باصطناع المعروف فإنه يقي مصارع السوء، وإن ضيعه المصطنع إليه، لم يضع عند الله.

وصدق الله العظيم، وقد خاطب الله لقمان عليه السلام ابنه قائلا له:

﴿يا بني أقم الصلاة، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ سورة لقمان الآية 17.

- **من أحب أن يستيقظ من النوم في ساعة من ساعات الليل**

ذكر أحد الصالحين أن من عزم أن يستيقظ من النوم في ساعة معلومة من الليل والنهار، فليقرأ هذه الآيات من سورة الأعراف: 54-55-56 وهن : ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ 54، ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية، إنه لا يحب المعتدين﴾ 55، ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا، إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ 56، ثلاث مرات الجملة الأخيرة، فإنه يستيقظ بإذن الله في الوقت الذي يريده وفضل الله على العباد عظيم.

- **دعاء الاعرابي عند البيت**

حدثنا الأصمعي قال : قال سفيان بن عيينة: رأيت أعرابيا يطوف بالبيت فتبعته، فقلت لعله لا يحسن الدعاء فأعلمه ما يقول، قال : فجاء فتعلق بأستار البيت، فقال : (اللهم إليك خرجت، وأنت أخرجتني، وإليك جئت وأنت جئت بي، وبك أنخت وأنت حملتني، اللهم فقد عجت إليك الأصوات بصنوف اللغات، يسالون الحاجات، وحاجتي إليك أن تذكرني على طول[1] البلا، إذ نسيني أهل الدنيا، الحلية ج 7 ص: 276.

- **من الآيات المباركات في القرآن الكريم**

هذه الآيات المباركات من قرأها على مال أو طعام يباركه الله له:

1 - ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾، الأعراف الآية 54.

2 - ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾، المومنون الآية 14.

3 - ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ الفرقان 1.

4 - ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا﴾، الفرقان 10.

5 - ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا، وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا﴾، الفرقان 61.

6 - ﴿ذلكم الله ربكم، فتبارك الله رب العالمين، هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين، الحمد لله رب العالمين﴾، غافر 64.

---

(1) البلى : إذا كسرت البـاء كتبت مقصورة.
وإذا فتحت البـاء كتبت ممـدودة.

7 - ﴿وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما، وعنده علم الساعة وإليه ترجعون﴾، الزخرف 78.

8 - ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾، الرحمن 78.

9 - ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾الملك 1.

- **دعــاء مبــارك**

من أحد الفقهاء الصالحين، وقد اشتغل إماما في احد المساجد لفترة من الزمن طويلة، كتبت عنه هذا الدعاء، وهو قد أخذه عن فقيه قبله، ولم يعرف قائله وناشئه: (اللهم اجعلني ممن دعاك فأجبته، وسألك فأعطيته، ورغب إليك فشفعته، واستغاث بك فأعنته، وتضرع إليك فرحمته، وتوكل عليك فكفيته، واستهاد بك فهديته، واستنصرك فنصرته، واستودع نفسه عندك فنجيته، يا أرحم الراحمين اللهم يا من كرمه لا يحد، وقضاؤه لا يرد، ونعمه لا تعد، وسواه لا يعبد، وصفته: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد، الله الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد﴾، اللهم افعل بي من الخير ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله، إنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة، يا حي يا قيوم).

- **ذكـر الله بلسـان الحـال**

في الرسالة القشيرية، ص: 400-401 : قال سهل بن عبد الله التستري، قال لي خالي محمد بن سوار : ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت : كيف أذكره؟ قال : قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك (الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي) ثلاث مرات، ثم سبع مرات، ثم إحدى عشرة مرة، قال : (إلى أن تدخل القبر). (إنك تحفظ على الدوام، فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين).

آيات الشفاء في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

الحمد لله، آيات الشفاء في القرآن العظيم، من داوم قراءتها يشفيه الله من جميع الأمراض:

1 - (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم، ويخزهم وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مومنين، ويذهب غيظ قلوبهم، ويتوب الله على من يشاء، الله عليم حكيم) التوبة 14-15.

2 - (يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمومنين) يونس 57.

3 - (يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل 69.

4 - وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الإسراء 82.

5 - (الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين) الشعراء 80.

6 - (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لو لا فصلت آياته، آعجمي وعربي، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) الشورى 44.

هذه الآيات الستة في القرآن العظيم، هن آيات الشفاء، من داوم على قراءتهن، مع قراءة آية الكرسي، وسورة الكافرون، وسورة الإخلاص وسورتي المعوذتين، مع سورة الفاتحة بداية ونهاية، يشفيه الله من كافة الأمراض، (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى) الحديث.

قـراءة اللطيـف :

أولا بحسب حروفه (لــ 30 طــ 9 يــ 10 فــ 80) = 129.

طريقة الأداء :

1 - الطهارة بأنواعها كاملة؛

2 - الخلوة؛

3 - صلاة ركعتين بالفاتحة وألم نشرح في الأولى، وبالفاتحة وألم تر كيف فعل ربك في الثانية.

ثم تقرأ الآيات السبعة :

1 - (لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) ثلاث مرات، الآية من سورة الأنعام 103.

2 - (إن ربي لطيف لما يشاء، إنه هو العليم الحكيم) ثلاث مرات الآية من سورة يوسف 100.

3 - (فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير) ثلاث مرات سورة الحج 63.

4 - (فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يات بها الله، إن الله لطيف خبير) ثلاث مرات، لقمان 16.

5 - (إن الله كان لطيفا خبيرا) ثلاث مرات، الأحزاب 34.

6 - (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز) ثلاث مرات، الشورى 19.

7 - (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ثلاث مرات، الملك 14.

ثم تقرأ هذا الدعـاء، وتشرع في اللطيف هكذا : (اللهم إني أسألك بحق اسمك اللطيف ونبيك الشريف سيدنا محمد ﷺ، الطف بنا يا لطيف يا لطيف يا لطيف) 9 مرات.

ثم تعيد قراءة : (اللهم إني أسألك بحق اسمك اللطيف ونبيك الشريف سيدنا محمد ﷺ، الطف بنا يا لطيف يا لطيف يا لطيف) 20 مرة.

ثم تعيد قراءة : (اللهم إني أسالك بحق اسمك اللطيف ونبيك الشريف سيدنا محمد ﷺ، الطف بنا يا لطيف يا لطيف يا لطيف) 100 مرة.

ونختم بقولنا : يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، مرتان، والثالثة بقولنا يا حفيظ نسألك الحفظ فيما جرت به المقادير.

ويختم بالاستغفار فيقرأ الآية من سورة آل عمران رقم 135 (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله)، ثم يقول : (استغفر الله العظيم إن الله الغفور الرحيم 100 مرة، فتقرأ بعد ذلك آية الكرسي، والكافرون، والإخلاص والفلق والناس وأم القرآن الفاتحة، ثم يدعوا بما شاء مع النية الخالصة.

لقول النبي ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...) الحديث.

الترغيب في صلاة الحاجة ودعائها

عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه، أن أعمى أتى إلى رسول الله ﷺ، فقال : يا رسول الله، ادع الله أن يكشف لي عن بصري، قال : أو أدعك، قال: يا رسول الله إنه قد شق علي ذهاب بصري قال : فانطلق فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم قل : (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه الى ربي بك أن يكشف لي عن بصري، اللهم شفعه في، وشفعني في نفسي)، فرجع وقد كشف الله عن بصره.

رواه الترمذي والنسائي، وابن ماجة، وابن خزيمة والحاكم، وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم.

وورد كذلك أن رجلا كان يختلف إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، وكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف، فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف، إيت الميضأة فتوضأ ثم إيت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل : اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ، نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إلي، حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصلى ما قال له، ثم أتى باب عثمان، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة، وقال ما حاجتك؟ فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال ما ذكرت حاجتك حتى هذه الساعة، وقال ما كانت لك من حاجة فآتنا، ثم لقي الرجل خرج من عنده فلقي عثمان ابن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتي كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله ﷺ، وأتاه رجل ضرير، فشكا له ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ، أو تصبر؟ فقال يا رسول الله : ليس لي قائد وقد شق علي، فقال له النبي ﷺ : ايت الميضأة وتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات، فقال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا، وطال بنا الحديث حتى عاد علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط.

قال الطبراني بعد ذكر طرقه، الحديث صحيح

المصدر : الترغيب والترهيب، ج : 1ص: 241-242.

الأذكار للإمام النووي، ص 166-167.

تحفة الذاكرين للشوكاني، ص : 137.

الحمد لله :

نكتفي بهذا القدر من الدعوات، وما ورد في الدعاء والابتهال الى الله تعالى.

مختارات من شعر الإمام الشافعي

في الحديث : (إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة).

والشعر كلام موزون، وبحوره ستة عشر بحرا، والشعراء كثيرون، كل منهم خاض في ميدان خاص، ومن الذين ينطبق عليهم : (إن من الشعر لحكمة) الإمام الشافعي رضي الله عنه، وهذه مختارات من شعره، انتقيتها من دواوينه الاثنى عشر التي بين يدي لهذه الساعة.

ومما قيل : (لو تجوز الصلاة بغير القرآن لجازت بشعر الإمام الشافعي)، وهو رحمه الله ورضي عنه نظم شعرا في غاية من الدقة والمتانة لفظا وتعبيرا، ووصفا لشؤون الحياة والناس، ينفذ شعره الى الأعماق، فالقارئ لا يمل من قراءة شعر الإمام الشافعي، وشعره موزع ومشتت في كتب الأدب وكتب الفقه، فهو رحمه الله لم يجمعه في عهده ويجعله في ديوان خاص ليقال له : (ديوان الشافعي)، ولكن أخيرا تصدى كثير من العلماء لجمع شعر الإمام الشافعي وأطلق عليه - بعضهم - ديوان الشافعي، وبعضهم : ديوان الإمام الشافعي.

وهذه أبيات شعرية للإمام الشافعي أحفظها، ووقع عليها اختياري لأن أدونها وأقدمها للقراء الكرام للاستشهاد بها في المناسبات، وعند المدلهمات.

1 - قيمة الدعاء، أو عدم الاكتراث بها :

(أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدري ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربي ... ويرسلها إذا نفذ القضاء)

ولكن أخيرا اشتغل به كثير من رجال الثقافة والعلم، وجمعوه، وأطلقوا عليه: ديوان الإمام الشافعي، وبعضهم : ديوان الشافعي بدون ذكر الإمام. وبيدي الآن في مكتبتي الخاصة اثنى عشر ديوانا، يضاف إليها (آداب الشافعي ومناقبه) و(دراسة فنية في شعر الشافعي).

فيصل العدد أربعة عشر، وها هي ببعض التفصيل :

1 - (آداب الشافعي ومناقبه) حديث وفقه، فراسة وطب، تاريخ وآداب، لغة ونسب.

تأليــف :

الإمام الجليل أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، صاحب كتاب العلل والجرح والتعديل 240-327هـ.

وهذا الكتاب هو دراسة حياة الإمام الشافعي 150-204 هـ.

أحد الايمة الأربعة الذين يقتدي بهم عند المسلمين، الكتاب ضخم عدد الصفحات 386 صفحة.

دار الكتب العلمية بيروت لبنان بدون تاريخ.

* * * * * *

2 - كتاب بعنوان : (دراسة فنية في شعر الشافعي)

الطبعة الأولى 1404 هـ 1984 م تأليف : (حكمت صالح)

عدد صفحات الكتاب 316 صفحة.

الكتاب : دراسة فنية ذات أهمية كبرى، وذات مغزى عميق.

* * * * * *

3 - ديوان الإمام الشافعي، جمعه وشرحه ورتبه : (محمد عبد الرحيم) عدد صفحات الكتاب 472 صفحة.

بحيث شملت المقدمة : 107 صفحات، فصار الكتاب: تاريخ الإمام الشافعي، وقد أكثر من الشروح والتعليقات ما جعل هذا الديوان يتضخم ويتوسع.

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : 1415هـ 1995م.

4 - ديوان الشافعي، حبر الأمة، وإمام الأيمة.

تحقيق : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي.

مكتبة الكليات الأزهرية، 1405هـ 1985م، عدد صفحات الكتاب 128 صفحة.

* * * * * *

5 - ديوان الإمام الشافعي، تحقيق وشرح: يوسف الشيخ محمد البقاعي الطبعة الأولى 1406 هـ 1986م، عدد صفحات الكتاب 128 صفحة.

* * * * * *

6 - ديوان الشافعي، جمعه وحققه وعلق عليه : (زهدي يكن) دار الثقافة بيروت 1961 م بيروت لبنان عدد صفحات الكتاب 214 صفحة.

* * * * * *

7 - ديوان الإمام الشافعي، جمعه وشرحه، الأستاذ نعيم زرزور، قدم له الدكتور : مفيد قميحة.

الطبعة الأولى : 1404هـ 1984م عدد صفحات الكتاب 114 صفحة.

* * * * * *

8 - ديوان الشافعي، جمعه وعلق عليه، محمد عفيف الزعبي دار الجيل بيروت، الطبعة الثانية 1392هـ 1974م، عدد صفحات الكتاب 103 صفحات.

* * * * * *

9 - ديوان الإمام الشافعي، جمعه وحققه وشرحه : أميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتاب العربي 1411هـ 1991م. عدد صفحات الكتاب 218 صفحة.

10 - ديوان الإمام الشافعي، المسمى : (الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس).

إعداد وتعليق وتقديم : محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، بدون تاريخ صفحات الكتاب 160 صفحة.

******

11 - ديوان الشافعي وحكمه جمع وإعداد : (محمد بيجو) في صفحة 2 قال: حقوق الطبع محفوظة، الكتاب بدون تاريخ، وبدون ذكر اسم المكتبة، إلا أنه في وجه الغلاف الأخير، قال : يطلب من مكتبة : دار المعرفة دمشق عدد الصفحات 120 صفحة.

******

12 - ديوان الإمام الشافعي، جمع وترتيب وتحقيق :

الدكتور صابر القادري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت 2007م 1428 هـ عدد صفحات الكتاب 95 صفحة.

******

13 - ديوان الإمام الشافعي، تحقيق : (سالم شمس الدين) المكتبة العصرية صيدا بيروت 1429هـ 2008م، عدد صفحات الكتاب : 151 صفحة.

******

14 - ديوان الشافعي، تقديم ومراجعة :

الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، بدون تاريخ عدد صفحات الكتاب 111 صفحة.

كل هؤلاء المؤلفين سلكوا الطريقة الأبجدية،

وها هي الابيات المختارة :

2 - الحظ ودوره في حياة الإنسان :

(تموت الأسد في الغابات جوعا ولحم الضأن تأكله الكلاب
وعبد قد ينام على حرير وذو نسب مفارشه التراب)

3 - السكوت عن اللئيم جواب له :

(قل بما شئت في مسبة عرضي فسكوتي عن اللئام جواب
ما أنا عادم الجواب ولكن ما من الأسد أن تجاب الكلاب

4 - وفي خلق الرجال ومعاملتهم :

(ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا
ومن قضت الرجال له حقوقا ومن يعص الرجال فما أصابا)

5 - الغر الذي أشبه بطفل صغير :

(أرى الغر في الدنيا إذا كان فاضلا ترقى على رؤوس الرجال ويخطب
وإن كان مثلى لا فضيلة عنده يقاس بطفل في الشوارع يلعب)

6 - السكوت عن المسيء :

(يخاطبني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما كعود زاده الاحتراق طيبا)

7 - وفي نفس المعنى كذلك :

(إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه وإن خليته كمدا يموت)

8 - المال يرفع من شأن صاحبه :

(وأنطقت الدراهم بعد صمت أناسا بعدما كانوا سكوتا

فما عطفوا على أحد بفضل ولا عرفوا لمكرمة ثبوتا)

9 - أفضل مكارم الأخلاق :

(إذا رمت المكارم من كريم فيمم من بنى لله بيتا
فذاك الليث من يحمي حماه ويكرم ضيفه حيا وميتا)

10 - فرج الله قريب :

(ولرب نازلة يضيق لها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج)

11 - الفقيه والصوفي :

(فقيها وصوفيا فكن ليس واحدا فإني وحق الله إياك أنصح
فذاك قاس لم يذق قلبه تقى وهذا جهول كيف ذو الجهل يصلح)

12 - التفويض لله والتوكل عليه :

(إذا أصبحت عندي قوت يومي فخل الهم عني يا سعيد
ولا تخطر هموم غد ببالي فإن غدا له رزق جديد
أسلم إن أراد الله أمرا فاترك ما أريد لما تريد)

13 - الشعر والعلماء :

(ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد
وأشجع في الوغى من كل ليث وآل مهلب وبني يزيد
ولولا خشية الرحمن ربي حسبت الناس كلهم عبيدي)

14 - في الاسفار خمس فؤاد :

(تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد)

15 - عزة النفس وعلو المكانة :

(أمطري لؤلؤا جبال سرنديب[1] وفيضي آبار تكرورا[3] تبرا[3]
أنا إن عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أعدم قبرا
همتي همة الملوك ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا
وإذا ما قنعت بالقوت عمري فلماذا أزور زيدا وعمروا)

16 - نفس الشافعي ومكانتها :

(على ثياب لو يباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها نفوس الورى[4] كانت أجل وأكبرا
وماضر نصل[5] السيف إخلاق غمده[6] إذا كان عضبا[7] أين وجهته فرى[8])

17 - طلب التجاوز على ما صدر :

(اقبل معاذير من يأتيك معتذرا إن بر عندك فيما قال أو فجرا
لقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا)

18 - وقفة الحر بباب نحس :

(لقلع ضرس وضرب حبس ونزع نفس ورد أمس
وقر[9] برد وقود[10] فرد ودبغ جلد بغير شمس

(1) سرنديب : سيرلانكا حاليا.
(2) تكرور : بلاد في مورنطانيا.
(3) التبر : الذهب
(4) الورى : الخلق.
(5) نصل السيف : حده .
(6) إخلاق غمده : قدم غلافه.
(7) عضبا : قاطعا.
(8) فرى : قطع.
(9) القر : البرد
(10) القود : القصاص

وأكـل ضـب وصـيـد دب   وصـرف حب بـأرض خـرس[1]
ونـفـخ نـار وحـمـل عـار   وبـيـع دار بـربـع فـلـس
وبـيـع خـف[2] وعـدم إلـف[3]   وصـرف ألـف بـحـبـل فـلـس
أهـون مـن وقـفـة الحـر   يـرجـو نـوالا[4] بـبـاب نحـس

19 - خلفاء الرسول ﷺ :

(شـهـدت بأن الله لا رب غـيـره   وأشهد أن البعث حق وأخلص
وأن عرى[5] الإيمـان قـول مبيـن   وفعـل زكـي قـد يـزيـد وينـقـص
وأن أبـا بـكـر خليـفـة ربـه   وكان أبو حفص[6] على الخير يحرص
واشهـد ربـي أن عثمـان فاضـل   وأن عـليـا فضلـه متخصص
أيـمـة[7] قـوم يهتـدى بـهـداهـم   لحى[8] الله مـن إيـاهـم ينتـقـص
فمـا لغـواة يشتـمـون سفـاهـة   ومـا لسفـيـه لا يحـيـص ويخـرص)

20 - شكوت سوء حفظي :

(شكوت إلى وكيـع[9] سـوء حفظي   فـأرشـدني إلى تـرك المـعـاصـي
وقـال بنـي[10] إن العـلـم نـور   ونـور الله لا يـوتيـه[11] عاصـي)

(1) خـرس : لا تنبت
(2) الخـف : النعل
(3) إلـف : الصديق
(4) النـوال : العطاء
(5) عـرى : جمع عروة
(6) أبو حفص : عمر بن الخطاب
(7) أيمـة : خلفاء رسول الله ﷺ
(8) لحـى : قبحه وأزاله
(9) وكيع : هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ولد 129 وتوفي 197هـ
(10) وقال بني : ورد وأخبرني.
(11) لا يوتيه : لا يعطاه.

21 - محبة الصالحين :

(أحب الصالحين ولست مهنم   لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي   ولو كنا سواء في البضاعة)

22 - تجنب نصيحتي في الملأ :

(تعمدني بنصحك في انفرادي   وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع   من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي   فلا تجزع إذا لم تعط طاعة)

23 - إفشاء السر :

(إذا المرء أفشى سره بلسانه   ولام غيره فهو أحمق
إذا ضاق المرء عن سر نفسه   فصدر الذي يستودع أضيق)

24 - حفظ العلم واستظهاره :

(علمي معي حيثما يممت ينفعني   قلبي وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي   أوكنت في السوق كان العلم في السوق)

25 - رأس الغنى القناعة :

(رأيت القناعة رأس الغنى   فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه   ولا ذا يراني به منهمك
فصرت غنيا بلا درهم   أمر على الناس شبه الملك

26 - أدب الدهر :

كلما أدبني الدهـ   ـر أراني نقص عقلي
وإذا ما زدت علما   زادني علما بجهلي

27 - **العمل لا الكلام :**

(إن الفقيه هو الفقيه بفعله ... ليس الفقيه بنطقه ومقاله
وكذا الرئيس هو الرئيس بخلقه ... ليس الرئيس بقومه ورجاله
وكذا الغني هو الغني بحاله ... ليس الغني بملكه وبماله)

28 - **حب آل بيت رسول الله ﷺ :**

(يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له)

29 - **مجد العلم :**

(رأيت العلم صاحبه كريم ... ولو ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه الى أن ... بعظم أمره القوم الكرام
ويتبعونه في كل حال ... كراعي الضأن تتبعه السوام
فلولا العلم ما سعدت رجال ... ولا عرف الحلال ولا الحرام)

30 - **العيب والزمن :**

(نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب ... ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضا عيانا
لبسنا للخداع مسوح ضأن ... فويل للمغير إذا أتانا
ديانتنا التصنع والترائي ... فنحن به نخادع من يرانا)

31 - **القناعة بالقوت :**

(قنعت بالقوت من زماني ... وصنت نفسي عن الهوان
خوفا من الناس أن يقولوا ... فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا ... فلا أبالي إذا جفاني
ومن رآني بعين نقص ... رأيته بالتي رآني
ومن رآني بعين تم ... رأيته كامل المعاني)

32 - مشيئة الله في خلقه :

(ما شئت كان وإن لم أشأ … وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد لما قد علمت … ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت … وذاك أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد … ومنهم قبيح ومنهم حسن)

33 - الرجوع إلى رب العباد :

(زن من وزنك بما وزنك … وما وزنك به فزنه
من جا إليك فرح إليه … ومن جفاك فصد عنه
ومن ظن أنك دونه … فاترك هواه إذن وهنه
وارجع إلى رب العباد … فكل ما يأتيك منه

34 - المنة :

(رأيتك تكويني بميسم منة … كأنك كنت الأصل في يوم تكويني[1]
فدعني من المن الوخيم فلقمة … من العيش تكفيني إلى يوم تكفيني[2])

35 - أفضل العلوم :

(كل العلوم سوى القرآن مشغلة … إلا الحديث وعلم الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا … وما سوى ذاك وسواس الشياطين)

36 - العلم عميق بحره :

(لن يبلغ العلم جميعا أحد … لا ولو حاوله ألف سنة
إنما العلم عميق بحره … فخذوا من كل شيء أحسنه)

(1) تكويني : الأولى من الكي، والثانية من الإيجاد والخلق.
(2) تكفيني : الأولى من الكفاية، والثانية من الكفن يوم الموت. وهذا فيه الجناس من باب البلاغة.

37 - الفقيـه والسفيـه :

(ومنزلـة السفيـه مـن الفـقيــه كمنـزلـة الفقيـه من السفيـه
فهـذا زاهـد فـي قـرب هــذا وهـذا فـيـه أزهــد مـنـه فيـه
فهـذا زاهـد فـي قـرب هــذا تنـطـع في مخـالـفـة الفـقيـه)

38 - الإمـام أبـو حنيفة ومكانته عند الشافعي :

لقـد زان البـلاد ومـن عليهـا إمـام المسلميـن أبـو حنـيفـة
بأحكـام وآثـار وفـقــه كـآيـات الزبــور علـى الصحيفـة
فمـا بالمشرقيـن لــه نظيــر ولا بـالمـغـربيـن ولا بكـوفـة
فرحمــة الله أبــداً عليــه مدى الأيـام مـا قرنت صحيفـة)

إنها تعابير صادقة، تنفذ إلى الأعماق، وفي نفس الوقت تجعل القارئ يتجول في بحور من الحكم والأمثال الصادقة. وليس للعلوم حد أو نهاية.

وعلى إخواني القراء اقتناء بعض دواوين الإمام الشافعي وليتصفح ويتجول، وليحاول الحفظ والاستظهار، حتى يرتوي من هذه الحكم والمآثر.

ولننتقل الآن الى الصوفيــة

للشيخ الدردير في الخريدة، أراد رجال الصوفية:

(فكن لهـم مسـلمـا كـي تسلـم واسلك سبيـل الناسكيـن العلمـا
وخلـص القـلـب مـن الأغـيــار بالجـد والقيــام في الاسحــار)

وقال أحد الزهاد :

(كلما جنحت نفسي إلى الهوى، تذكرت غضب المولى، فيرجعني التذكر الى الهدى)، النحو الوافي ج : 4 ص : 558.

وفي منجد الأعلام ج : 2 ص: 267 الطبعة الخامسة:

قال الإمام السهروردي :

(أبدا تحن إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح
وارحمة للعاشقين تكلفوا سر المحبة والهوى فضاح
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وغدا دماء العاشقين تباح)

ومما ينسب لرابعة العدوية :

الزم الباب إن عشقت الجمالا واهجر النوم إن أردت الوصالا
واجعل الروح أول نقد للحبيب نوره يتلالا)

قال سيدي محمد الباقر :

(الله خبأ ثلاثة في ثلاثة : 1 - رضاه في طاعته،
2 - وسخطه في معصيته،
3 - وخبأ أولياءه في خلقه).

قيل للجنيد رضي الله عنه: (إن قوما يتواجدون ويتمايلون، قال: دعهم مع الله يفرحون، ولا تستنكر منهم إلا ما خالف الشريعة، ولا حرج عليهم إذا تنسموا مداواة لحالهم، فلو ذقت مذاقهم لعذرتهم في أحوالهم)، في ملكوت الله مع أسماء الله الحسنى ص: 133.

وفي كشف الخفاء ج : 2 ص : 351 رقم الحديث 3001 : (لا تطعنوا على أهل التصوف والخرق، فإن أخلاقهم أخلاق الأنبياء، ولباسهم لباس الأنبياء) رواه الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه.

وقال كعب الأحبار : (التصوف مفارقة الأشرار، ومصادقة الأخيار ومتابعة الآثار والأخبار) الكواكب 1 ص: 275.

العمل قليل والثواب كثير

سمعت من أحد الصوفية هذه الحكاية :

(من جلس عند العالم ساعتين، أو سمع منه كلمتين، أو أكل معه لقمتين، أو مشى معه خطوتين، اعطاه الله جنتين كل جنة مثل الدنيا مرتين)، وأخيرا وقفت عليه في كتاب : (درة الناصحين) لعثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخويري ص : 18.

قال : (مشكاة الأنوار) وذكر في أوله: (وقال عليه الصلاة والسلام) ولم يذكر من رواه من رجال الحديث، وعن من روي من الصحابة لتعرف درجة الحديث.

للتعليق فقط : فدرجة الضعف بادية عليه كما في اصطلاح المحدثين، كل ما رأيت جزاءا كثيرا، وثوابا عظيما فالحديث ضعيف قطعا، والله اعلم.

علم التصوف :

في كتاب : (التفسير والمفسرون) لمحمد حسن الذهبي ص : 41 ج : 3 :

(علم التصوف علم ليس يعرفه إلا أخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف)

وفي صفحة 42:

(وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار)

قال رجل لبعض الصالحين :

(اذكرني عند ربك في خلوتك)، فقال له : (إذا ذكرتك آنذاك فلست معه في خلوة).

قيل إن أحدهم رأى رجلا ومعه ولده، فقال له : (أهذا ولدك؟ قال : نعم، ما عندي إلا الله وهذا الولد، فقال له: أفقده الله منك حتى لا يبقى في قلبك إلا الله).

يريد أن لا يشرك أحد الله في قلب المومن، وصدق الله حين أجاب موسى عليه السلام: قال الله : (أنا في قلب كل مومن).

وينسب لأبي العلاء المعري وهو ينحي باللائمة على رجال التصوف، وخصوصا أثناء قيامهم بالحضرة أو ما يدعى بـ (العمارة) وهم يرقصون :

(أرى أهل التصوف شر جيل   فقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عبدتموه   كلوا أكل البهائم وارقصولي)

الدراسات الادبية، أمين الخولي ص : 34.

لعلها كرامة

ينسب لسيدي أحمد الرفاعي :

(في حالة البعد روحي كنت أرسلها   تقبل الارض عني وهي نائبتي
فهذه نوبة الأشباح قد حضرت   فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي)

أراد في ذلك زيارة قبر النبي ﷺ.

ترجمته :

أحمد بن محجوب، فقيه مالكي، ولد بإحدى قرى الفيوم بأرض مصر.

وفاته: 1325هـ /1907م كان مدرسا بالأزهر لمدة 35 سنة من تلامذته الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد بخيت وآخرون.

وما ذكر في البيتين المنسوبتين له، إن كان ذلك قد وقع فله كرامة من الكرامات، أو هو من خوارق العادة ولله في خلقه شؤون. هـ



الشيخ المربي سيدي محمد بن الحبيب بن الصديق المغاري (1295 – 1391 هـ)

العالم الصوفي الدال على الله شيخ الطريقة الدرقاوية الشريف سيدي محمد ابن الحبيب ابن الصديق الأمغاري الإدريسي الحسني، أصله من ناحية مراكش، سكن أجداده ناحية تافيلالت ثم انتقلوا إلى فاس، وفيها ولد المترجم عام 1295 هـ وفيها تعلم، وحفظ القرآن الكريم، وقرأ العلوم المختلفة من عربية وفقه، وتفسير وحديث وأصول، إلا أنه درس أكثر علوم التصوف حتى صار بارعا في هذا العلم، وانتقل إلى مكناس وأسس بها زاويته الشهيرة، وصار له أتباع ومريدون، ليس في المغرب فقط، ولكن حتى في خارج المغرب، فمثلا في القطر الجزائري الشقيق له مريدون وأتباع كثيرون وزوايا، وخصوصا في مدن بليدة وبوفاريك، ولمدية، وقصر البخارين ومدن أخرى القريبة من العاصمة، لأني تجولت أنا نفسي في هذه النواحي، وكثيرا ما كنت أبيت وأكرم في الزوايا التي أسسها في تلك الأصقاع، وخصوصا إن عمي العلامة سيدي محمد (فتحا) بن أحمد بن عبد الله الملقب البهالي هو أحد مريديه، والداعي إلى طريقته عندنا في قبيله أجزناية ببلاد الريف، وهذا الأخير كان يزوره في مقره بمكناس مرة في كل عام وهو بدوره زار قريتنا العرقوب مرات، آخرها كانت 1954م.

وأهل العلم والفضل -عادة- يتبادلون الزيارات ويعقدون الاجتماعات لذكر الله وأداء الصلوات، وسواء عند التلاق أو عند الفراق، فلا يكون ذلك بينهم إلا عن ذواق، فأحوالهم وما هم فيه خاصة، ورحم الله الشيخ الدردير حين قال:

(فكن لهم مسلما كي تسلم   واسلك سبيل الناسكين العلما
وخلص القلب من الأغيار   بالجد والقيام في الأسحار)

حج للمرة الأولى عام 1350هـ وللمرة الثانية 1360هـ وللمرة الثالثة وهو في طريقة إلى البقاع المقدسة عام 1391 هـ 1971م أدركته المنية بمدينة البليدة بالقطر الجزائري الشقيق الواقعة غرب العاصمة بـ 49 كلم وذلك بتاريخ يوم الاثنين 23 قعدة الحرم عام 1391هـ، ودفن هناك مؤقتا لفترة 22 يوما، ثم نقل جثمانه إلى مدينة مكناس وطنه الأصلي، ودفن يوم الاثنين 14 حجة الحرم من نفس العام، حيث أوصى أن يدفن رحمه الله.

زرته في زاويته، ومقر سكناه بمدينة مكناس على ما أذكر سنة 1957م بواسطة أحد مريديه، وتبركنا بلقياه، وبتنا عنده معززين مكرمين.

وأذكر أن شيخنا وأستاذنا الشريف العلامة سيدي محمد بن سيدي عبد السلام الطاهري قال لي يوما -حيث جرى حديث بيننا حول المترجم- قال : إن الشيخ سيدي محمد بن الحبيب له علمان : علم الظاهر وعلم الباطن وأراد بهذا الأخير علم التصوف، عاش -رحمه الله- عمرا طويلا مدته 96 عاما بـدء من 1295هـ إلى 1391 هـ، وهو نفس العمر الذي عاشه شيخنا سيدي محمد الطاهري، ومات سيدي محمد بن الحبيب عن أربع زوجات إلا أنه لم يعقب رحمه الله، والى هذا التاريخ ربيع الثاني عام 1425هـ يونيه 2004 توفي من زوجاته اثنتان، واثنتان لا تزالان تعيشان كما أخبرني بذلك أحد مريده. له ديوان شعر بعنوان : (بغية المريدين السائرين، وتحفة السالكين العارفين) عدد صفحاته 132 صفحة، الحجم المتوسط، الطبعة الثانية بدون تاريخ، يشمل 50 موضعا بعضها قصائد شعرية، وبعضها مواضع نثرية.

وآخر قصيدة حصلت عليها، وليست في الديوان، مدح فيها ملك البلاد وأسرته سيدي محمد بن يوسف بعد عودته سنة 1955م/ 1376هـ من منفاه السحيق.

قال في بدايتها : (اللهم صل على سيدنا محمد خاتم أنبيائك، ومبلغ أنبائك)، وعلى مصابيح أسرته، ومفاتيح نصرته)، وعدد أبياتها 23 بيتا :

(سلام من المولى يعم أميرنا ... وأنجاله طرا ومن في المحتية
تجلت صفحات الحب في كل فكرة ... يحاول ببلوغ الشأوباء بخيبة
لقد كان في الإبعاد قريبا من ربه ... تفرغ للمولى بصدق وهمة
فصار يناجي الحق بالله راجيا ... من الله لطفا شاملا للرعية
تبتل للمولى تبتل مخلص ... وعمر أوقاتا بذكر وطاعة
فقربه المولى وحبب اسمه ... فكان له ذكر جميل بهيبة
وعاد بأنوار وعز وسؤدد ... تعجب كل الناس من حسن رجعة
فمن حبه المولى بسر عناية ... رأى الكون منقادا له بعزيمة
ففاز أمير المؤمنين ابن يوسف ... محمد الأسمى بكل مزية
فلا كسب للمداح في ذكر غاية ... وذاك بتخصيص الإلاه بعطفه
وناظمها المعروف أعني محمدا ... هو ابن حبيب مخلص في المحبة
يروم التفاتا من علاك بزورة ... بإذن صريح جالب للمودة
وقد كنت في العهد القديم أزورك ... بصدق وإخلاص وحسن طوية
وما كان للمولى يدوم اتصاله ... وما كان للأغراض باء بقطعة
إني أدعو الله في كل موطن ... لشعب وان صار بعز وسطوة
ولازلت أدعو الناس للخير جاهدا ... بنصح وتعليم لكل فريضة
وقد حصل النفع العظيم لأمة ... بما كان منا من دروس عظيمة
وليس يتم الأمر إلا بإذنكم ... يكون لنا عونا في كل مهمة
وإني لأرجو الله أن يرشد شعبكم ... لنصحكم بالجمع من غير فرقة

فلا خيـر إلا في صفاء قلوبنا   من الغل والحقد والعصبية

فقد صرح المولى بأننـا إخـوة   فنسعى بصلح دائم من إخوة)

انتهت القصيدة كما تسلمتها من أحد مريديه وأتباعه.

البيت الأخير يشار فيه إلى قوله تعالى : ﴿إنما المومنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ الحجرات الآية : 10.

العلامة الجليل،
المربي الصوفي
سيدي فضول الهواري



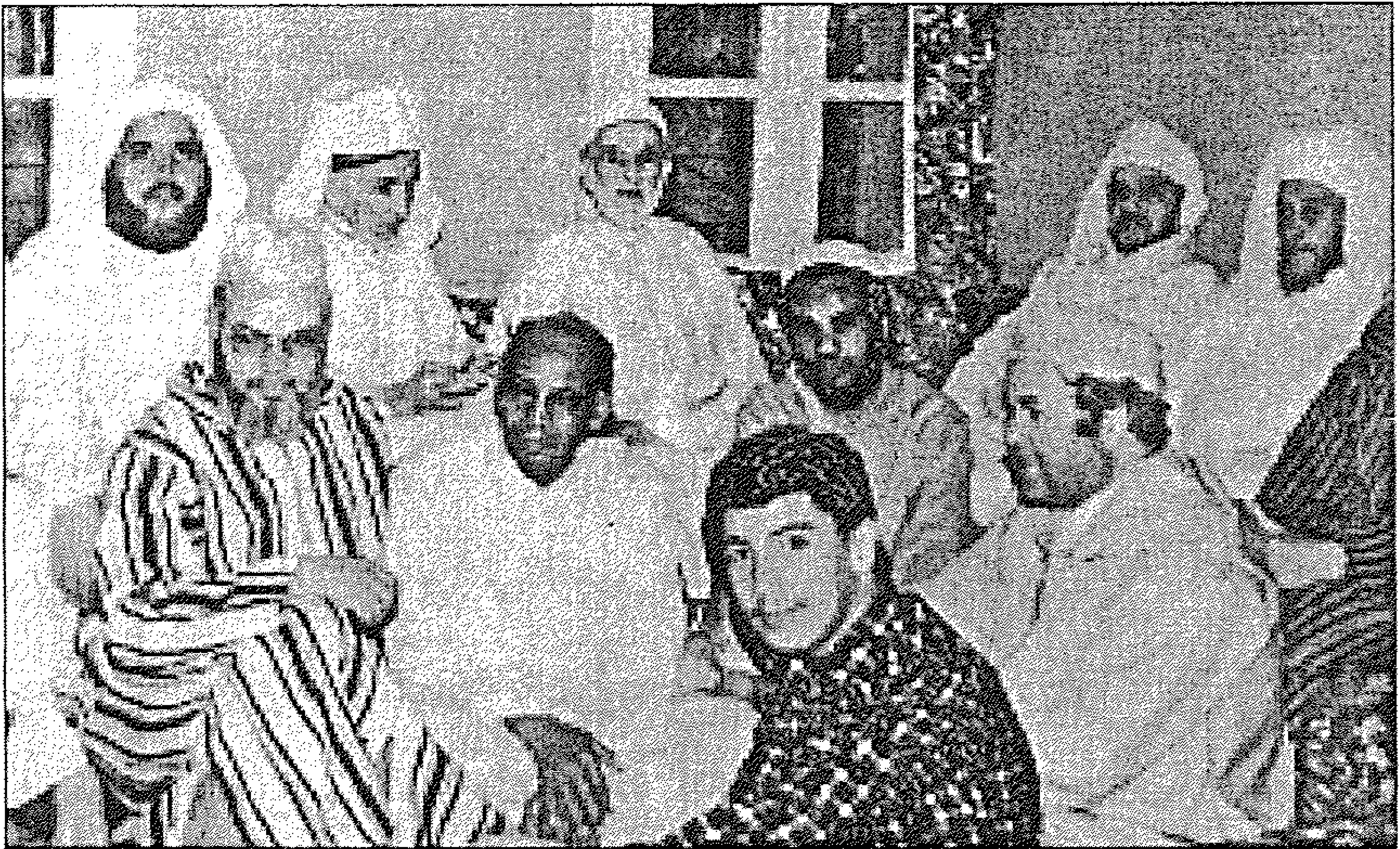
عالم من علماء القرويين
وخطيب وواعظ بمسجد قصبة
النوار بالحضرة الفاسيةالإدريسية

العلامة الصوفي، مريد وناشر طريقة شيخه سيدي محمد بن الحبيب السالف الذكر، سيدي فضول الهواري، خطيب الجمعة وواعظ بمساجد فاس، يتقن مادة الفقه، شغوف بمطالعة كتب الصوفية، كان يأتي لزيارة شيخنا سيدي محمد الطاهري وكانا كل منهما يجل الآخر، ومن أحاديثه وحكايته، ذكر لنا يوما أنه يسافر مرة في شهر غشت من كل سنة إلى بلاد الأنجليز حيث يدعوه مسلمو ثلاث قرى في تلك الأصقاع النائية، وذكر لنا قصة إسلام أولائك القوم، قال لنا جاء رجلان سائحان إلى مكناس، وانتهى بهما المطاف إلى زاوية الشيخ سيدي محمد ابن الحبيب ووجدا عددا من المريدين يذكرون الله ويتعبدون فأعجبا بذلك وطلبا ملاقاة الشيخ، وبملاقتهما إياه دعاهما إلى الإسلام فاعتنق الرجلان الإسلام عن قناعة، وعادا إلى بلدهما، وفي العالم الموالي قدموا في أحد عشر فردا، واعتنقوا جميعا الدين الإسلامي وصاروا بعد ذلك يتوافدون ويدخلون في دين الله أفواجا، ثم أصبح مترجمنا سيدي فضول الهواري يزورهم كل عام وهم الذين يتحملون صوائر السفر، وذكر لنا يوما أنه حين زيارته لهم يدرس لهم كتاب : (الفصوص) لابن عربي الحاتمي.

وعلى ذكر كتاب الفصوص، قلت يوما لسيدي محمد الطاهري: إن نسخة من هذا الكتاب موجودة في إحدى المكتبات، وثمنها خمسون درهما، هل آتيك بها؟ أجابني - رحمه الله - لا حاجة لي بها، لا تشتريها لا لي ولا لك، إن علم الصوفية اتركه لاربابه، فلم أشترها.

إلا أننا عند بيعنا لمكتبته رحمه الله، وجدنا نسخة من كتاب (الفصوص)، فبيع بالمزاد العلني.

سيدي فضول بن محمد الهواري، بعد وفاة شيخه سيدي محمد بن الحبيب عام 1391 هـ-1971م، حل محله في المشيخة، وفي رئاسة الطريقة الدرقاوية، وكان مقره وسكناه في دار خاصة من حساب مسجد أبي الجنود، بقصبته الشهيرة، وقد توفي رحمه الله يوم الإثنين 12 ذي القعدة عام 1419هـ الموافق 1 مارس سنة 1999م، وخلف من الذرية أربع بنات، إثنتان متزوجتان، والثالثة ماتت قبله، والرابعة لم تتزوج، ولم يخلف ولدا ذكرا، فرحمة الله عليه رحمة واسعة، وعلمت أنه أوصى لأحد طلبته بمواصلة العمل في نشر الطريقة، ليبقى حبل التواصل ممددا بين السلف والخلف.



وهذه صورة أخرى أثبتها هنا جمعت عددا من الوجوه وهم في بيت الشريف الطاهري.

في الوسط سيدي محمد الطاهري والى يمينه سيدي فضول الهواري، والى يمين هذا الأخير صديقنا الحاج سيدي بوشتى العلوي الزروالي، وفي أقصى اليسار سيدي محمد بن المؤذن رحمه الله، وسيدي محمد ابن عبود قاضي مدينة مكناس، ويظهر أمامهما جالسا على الارض رجل من رجال التربية والتعليم، وهو سيدي عبد الجبار الغول من مدينة أحفير بارض بني يزناسن في المنطقة الشرقية، وهذا الأخير اكتشفت أخيرا أنه من قريتنا العرقوب بقبيلة أجزناية، هاجر اهله قديما قريتنا، واستوطنوا تلك النواحي في بني يزناسن، وأمام الأخيرين من جهة اليمين الترجمان المحلف السيد عزيز الوزاني بطربوشه وجلبابه المخطط، ويظهر كذلك في الوسط الشاب حفيد سيدي محمد الطاهري من ابنه الوحيد مولاي أحمد، ورجلين آخرين بين سيدي محمد الطاهري وحفيده، كلاهما من مدينة مكناس، وقد نسيت اسميهما ولم أظهر أنا في الصورة لكوني أنا الذي أخذتها لهم.



من غرائب القصص في مدينة فاس

هذه صورة القائد ابن بوشتى البغدادي، أثبتها المؤرخ الشريف التهامي الوزاني في كتابه: (المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في شمال المغرب) تحقيق وتعليق محمد ابن عزوز حكيم صفحة: 49.

الكتاب طبع 1980، مطبعة الساحل، الرباط.

* * * *

بعض قصص ابن بوشتى البغدادي

قصص ابن بوشتى البغدادي باشا مدينة فاس، هذا الرجل يحكى عنه أنه أعطي الفراسة، فاستطاع أن يحكم مدينة فاس ونواحيها بتجربة ذات مغزى عميق، وقد ضبط الأمور وأثبت الأمن في البلاد، ولم يكن له من المعاونين إلا بعض رجال المخزنية.

ومن قصصه : أن امرأة جاءته، وقالت له : سيدي ذهبت إلى الحمام أنا وصبياني، فلما عدت إلى منزلي وجدت أن متاعي أخذ لي من صندوقي، فقال لها : من رآك أثناء توجهك إلى الحمام، قالت : رجل يبيع بعض السلع في دكان برأس الدرب، فقال لها اذهبي إلى منزلك حتى أرسل عليك، ثم قال لمرافقه ومعاونه المسمى : (ابن عتروس)، وهو من رجال المخزنية الأشداء : هيئ لي البغلة وسر

أمامي إلى حي كذا، وفي ذلك الحي كان هناك فقيه في غرفة عند رأس الشارع يعلم الصبيان القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة، وحين وصل إلى الكتاب -المسيد- نزل عن البغلة وصعد إلى الفقيه، فوقف التلاميذ تحية للباشا ورحب الفقيه به، فأخرج قطعة أربعة ريال دفعها في يد الفقيه، وقال له، أطلق لمحاضرة فإنهم محررون، فدعا الفقيه للباشا والتلاميذ يؤمنون، وحين خلا بالفقيه قال له: أول من يأتي ويسألك عن مجيئي إلى هنا قل له : الباشا مريض، وجاء يتوسل بالقرآن وبالمتعلمين الصغار أن يشفيه الله، وقال للفقيه : أخبرني بمن جاء يسألك عني من غير أن يعلم أحد بذلك، فلما غادر الباشا الكتاب، جاء الرجل الذي أشارت إليه المرأة يسأل الفقيه عن سبب مجيء الباشا، فأجاب بما مر، ثم خرج الفقيه وجاء إلى مقر الباشا وأخبره عن السائل، حينذاك قال الباشا لمعاونه -ابن عتروس- اذهب وآتني به، وحين مجيئه ودخوله على الباشا، بادره بقوله : تفعلها يا عدو الله، تتخلف إلى دور الناس وتأخذ متاعهم، فقال الجاني سيدي سآتي بذلك حالا، فذهب وأتى بما أخذه للمرأة، ثم أرسل عليها وقال لها : أهذا أثاثك ومتاعك؟ قالت : نعم، ثم دعاه ووجده من بلد بعيدة، فقال له : لك ثلاثة أيام بعد أن تبيع ما تملك في دكانك، وتغادر المنطقة التي أحكم فيها، ولم يتخذ في شأنه أي عقاب أو غرامة، وهكذا توصل إلى النتيجة الحتمية من غير أن يستعين بأحد لا برجال الشرطة ولا بالقضاء، إنها الفراسة والدهاء.

وهذه قصة ثانية من الغرابة بمكان :

قيل أن قنصل بلاد الانجليز الذي عينته حكومته قنصلا لها في مدينة فاس بعد وصوله إلى مقره جاء لرؤية الباشا وتقديم أوراق اعتماده -كما تجري العادة بذلك- فقال له الباشا السيد ابن بوشتى البغدادي: سأرسل من يحرسك، فقال القنصل: أنا لا أحتاج إلى حراسك، عندي المسدس وعندي الكلب، فقال له

الباشا : إذن أنت مستغن عن معاونتنا، ولما غادره أرسل الباشا على رئيس عصابة قطاع الطرق، وقال له : حينا تأتيني بالكلب وبالمسدس من هذا العلوج، فاستدعى رئيس عصابة قطاع الطريق أصحابه وأعطى لهم الأمر بتنفيذ العملية، وكان مقر القنصل بحي البطحاء - المكان الذي فيه الآن فندق البطحاء - شرق عمالة المدينة، فتوجهت العصابة نهارا واستطلعت المكان، وخططت، فرأت أن يهيئوا لحم رأس الضأن مشويا، ويجعلوه في قفة من الحلفاء، والقفة داخل كيس من الخيش ومربوط بحبال من حلقة متحرك للكيس، وصعدوا إلى أعلى دار القنصل وأرسلوا الكيس إلى أن وصل إلى الأرض، فلما شم الكلب رائحة اللحم اللذيذ أسرع وأدخل رأسه في الكيس، فما كان من العصابة إلا أن جذبوا الحبل على الكلب وصار داخل الكيس، وحملوه إلى السطح بطريقة متقنة عجيبة، عند ذلك هبطوا ودخلوا على القنصل في بيته وهو نائم، ومسدسه عند رأسه، فأخذوه منه وجاءوا بالكلب والمسدس إلى الباشا بعد الفجر بقليل، وعند طلوع الشمس ها هو القنصل الانجليزي يأتي إلى دار الباشا وهو مذعور يطلب ملاقاة الباشا، لكن هذا الأخير يرفض استقباله، ويقول له: عندك الكلب وعندك المسدس أنت لست في حاجة إلى مساعدتنا، وأخيرا لم يقبل منه إلا أن يغادر البلاد ويعود إلى بلده، ويستبدل بغيره.

إنها قصة لطيفة لها مغزاها العميق.

قصة ثالثة هي عجيبة كذلك :

قيل إن امرأة ممن يدعى في عرف أهل فاس (النكافة)، وهي التي تتولى تزيين العرائس عادت من أحد الأعراس قبل الفجر إلى منزلها، فوصلت إلى حي النجارين، فوضعت بعض أمتعتها، وغسلت وجهها بالماء البارد في ساقية هناك دافئة -والفصل فصل الصيف- وحين واصلت سيرها تركت ما كان معها من

الذهب الذي عادة تتزين به العرائس، وحين وصولها إلى منزلها تذكرت ذلك ورجعت إلى المكان لكنها لم تجد شيئا، وفي الصباح جاءت إلى الباشا تخبره بقصتها، فقال لها الباشا: هل التقيت أحدا وأنت في طريقك؟ قالت: نعم الفقيه فلان الفلاني هابطا إلى مسجد الضريح الإدريسي لأداء صلاة الفجر، فقال لها: اذهبي إلى منزلك حتى أرسل عليك، ثم قال لمعاونه (ابن عتروس) : اذهب إلى الفقيه، وقل له الباشا يدعوك لزيارته، بعد أن ربط معه طريقة استرداد ما ضاع للمرأة، فلما اقبل الفقيه قام إليه الباشا واستقبله أحسن الاستقبال ورحب به، وجلسا يتحدثان والباشا يرفع من شأن الفقيه، ويعظم شأن العلماء والفقهاء، وحين أراد تنفيذ العملية أدخل يده في جيبه وكأنه لم يجد ما يطلبه، يريد إخراج حك الطابا عند ذلك، قال للفقيه: أعطنا حك الطابا ننفح ونشم معك، فأعطاه الفقيه ما طلب فملأ أصبعيه السبابة والإبهام ووضع الحك تحت ركبتيه واستغرق في الحديث -والحديث ذو شجون- ثم نادى على معاونه (ابن عتروس) فمثل بين يديه وأثنى ركبتيه أمامه، وأخذ الحك، وأسرع به إلى دار الفقيه، وقال لأهله: الفقيه عند الباشا يقول لكم: املأوا الحك بالطابا، وادفعوا لي (الكموسة) التي جئت بها في الصباح، فأعطوه ذلك وعاد مسرعا، فوقف قبالة الباشا وأشار إليه أنه نفذ المأمورية، ثم جاء وأثنى ركبتيه أمام الباشا، وكأنه يسر إليه بشيء في أذنه كما فعل معه الباشا في أول مرة، ووضع الحك إلى جانبه من حيث أخذه، وفيه القدر الذي كان فيه حين أخذه، ثم التفت الباشا وقال للفقيه - وكأنه كان ناسيا -: اسمح لي لم أرد لك حك الطابا، فأخذ منه ثانية ثم أعطاه إياه، وهو لم يفتر لسانه عن المدح والثناء على العلماء قائلا: إنكم مصابيح الأمة، وكأن الباشا أشفى غليله من حديثه مع الفقيه، وقام وودعه خارج مكانه، وحين عاد الفقيه رحمه الله إلى منزله طلب ما أتى به في الصباح، فقيل له : إنك قد أرسلت معاون الباشا مع حك الطابا الذي ملأناه لك، وأرسلنا بهما معا.

يقال إن الفقيه رحمه الله هبطت عليه المادة، وصار نصف جسده يثقل عليه شيئا فشيئا، ولم يعش بعد ذلك إلا عاما واحدا، رحمة الله عليه رحمة واسعة، إنه الدهاء ومعرفة بواطن الأمور..

وقصة رابعة لا تقل أهمية عن سابقاتها :

إن الفرنسيين حين استيلائهم على الوطن، شرعوا يثبتون أقدامهم بكل ما أتوا من مكر ودهاء، وبدأوا يفتحون المكاتب (البيرو) في الأحياء الشعبية، ويحكى أنهم فتحوا مكتبا في أحد الأحياء القديمة بمدينة فاس، وهذا الحي يدعى: (بوعجارة) في الجهة الجنوبية من حي الرصيف، ومن الصدف أن رجلا تزوج امرأة جميلة مؤمنة وتقع سكنى الرجل قبالة مكتب الحاكم الفرنساوي، فلما أبصرها هذا العلج -لعنه الله- شرع يدعوها لنفسه، ويكثر لها من الإشارات، فلما عاد زوجها المسكين، أخبرته بذلك، فرأى أن يتوجه إلى الباشا ليقدم له الشكوى، وهنا بدأ الباشا ينسج الخيوط للقبض عليه وإيداعه السجن، فقال الباشا للرجل: هذه المرأة مؤمنة، لكن افعل ما آمرك به، قل لها أن ترد عليه التحية، وتبتسم إليه مظهرة للموافقة لطلبه، إلا أنها تشترط عليه أن يأتي إليها وهو في الزي المغربي، سروال فضفاض، وقميص وفرجية فضفاضين كذلك وطربوش أحمر على رأسه وجلباب، فلما أذعن واستجاب لطلبها أرسل الباشا من رجال المخزنية من يقبض عليه وهو متلبس بذلك، ويدعونه السجن في دار أعديل الواقعة غرب حي كرنيز وعلى أساس أن يوضع في زنزانة خاصة لا يراه أحد ولا يرى أحدا، وحين اختفى عن المسؤولين الفرنسيين شرعوا يبحثون عنه، وأقاموا الدنيا وأقعدوها، وجاءوا إلى الباشا ابن بوشتى البغدادي، وقالوا له: لابد من إحضاره وتوجه صحبة عدد منهم إلى السجن وجعلوا يدخلون إلى مرافق السجن يبحثون عن ضابطهم -المحترم- لكن بدون جدوى، وأخيرا وجدوا بيتا في ركن من أركان السجن مغلقا بالأقفال، فدعا الحراس وقال لهم:

افتحوا هذه الغرفة، لما فتحوها وجدوه منكمشا بلباسه المغربي الجلباب والطربوش، فجعل يتهكم عليهم ويقول لهم: لاشك أنه دخل في الإسلام، إنه يرتدي اللباس المغربي المسلم، وحين فتحوا معه تحقيقا، وتوصلوا إلى النتيجة الحتمية، قال لأسياده: في نظري أعيدوه إلى بلدكم حيث الإباحة والزنا المتفشيين، فنحن المغاربة مسلمون ديننا يحرم علينا الفاحشة، وانتهى أمر هذا الضابط.

ثم دعا ذلك الرجل وقال له: صن عقيلتك وأحسن إليها إنها مثل المرأة الصالحة، وقدم له هدية، وأوصاه بها خيرا.

ويقال إن ابن بوشتى البغدادي كان أكثر عقابه للمجرمين الضرب الشديد، فأثناء سؤاله للجاني إذا رأى منه مراوغة، وعدم الإفصاح بالواقع ينادي: ابن عتروس، (الماعون)، والماعون عنده سوط الجلد -جلد البقر- المبروم والمبلل في الماء لأيام وليال، عند ذلك يسقط في يد الجاني، فلا يسعه إلا أن يعترف ويدلي بالحقيقة، وابن عتروس كان قويا شديدا، لا شفقة ولا رحمة، يؤدي أوامر سيده بكل أمانة وإخلاص.

وقصة خامسة لعلها أكثر غرابة :

قيل إن رجلا يتوجه كل يوم عند الضحى إلى وادي الجواهر، الوادي الذي يخترق مدينة فاس ويقسمها إلى شطرين، يغوص في مياهه الجارفة -ويدعونه: (الفلاس) - يبحث فيه عن الأشياء الضائعة التي تفلت من أيدي الناس-وخصوصا النساء- فتجرفها المياه كالمعالق والسكاكين والخواتيم والعقيق والفرشات، وصاحبنا الفلاس يصطاد تلك الأشياء الضائعة، ويجعلها في جراب معه، يبيعها فينتفع بثمنها، أو يتخذها في ممتلكاته، وذات يوم -وهو في عمله هذا- ماذا يجد؟ يجد يد امرأة جرفها الوادي وهي منقوشة بالحناء، أخذها حينا ووضعها في الجراب، وتوجه بها إلى دار أو محكمة الباشا البغدادي، فلما مثل بين يديه، قال له: سيدي

أنا حرفتي فلاس، أصطاد في الوادي، وقد وجدت ما ترى، وأخرج يد المرأة التي عثر عليها، فشكره الباشا على صنعه، وقال له فعلت خيرا، والآن اذهب لتواصل عملك، وأكرمه ببعض الدراهم.

سؤال : ماذا يفعل الباشا؟ أيأتي برجال الشرطة ويكلفهم بالبحث ليكشفوا له عن الحقيقة؟ الجواب : (لا)، إنه أرسل على أمينة الحنايات، لأن مدينة فاس -عادة- كل حرفة لها أمينها الخاص يفضي النزاعات بين المتخالفين، فحضرت تلك الأمينة، فأخرج لها يد المرأة المقتولة، فقال لها : من تصنع هذه الزواقة؟ ففكرت، وقالت سيدي فلانة أو فلانة، فقال لها: حققي جيدا، فقالت الغالب فلانة، فقال لها : اذهبي إلى حال سبيلك، ولا تذكري هذا لأحد، فأرسل على المرأة التي تتولى عملية الحناء للنساء، ولما حضرت سألها عن عملها أولا، ثم أخرج لها يد المرأة، وقال لها : أأنت صنعت هذه الزواقة؟ قالت : نعم، صنعتها قريبا لامرأتين اثنتين، فلانة امرأة فلان، أو فلانة امرأة فلان، فقال : انظري جيدا وقولي من صاحبة هذه اليد، قالت : لاشك أنها فلانة -مثلا- يدها رقيقة، قال : اذهبي لحال سبيلك ولا تذكري هذا لأحد، فأرسل لزوج تلك المرأة، ولما حضر بين يديه، سأله : أأنت متزوج؟ أجابه : نعم، قال : زوجتك الآن في دارها معك؟ قال : لا يا سيدي، إنها عند أبيها منذ ثلاثة أيام، وسأذهب إليها هذا المساء لأجيء بها إلى منزلها، قال له الباشا : اذهب إلى دار أبيها، هل هي هناك؟ فذهب فلم يجدها، فرجع وقال : سيدي ليست هناك، وقالوا إنهم لم يروها، فكر الباشا وقال له : هل لها صندوق خاص بها تضع فيه أثاثها؟ قال : نعم، قال له : اذهب وافتحه، أو قال له كسره، فما وجدته فيه ليس من مشترياتك فأتني به، فذهب وكسر الصندوق، فوجد فيه مجدولا لم يعرفه عندها من قبل، فأتى به، فقال له : اذهب إلى حال سبيلك ولا تخبر أحدا، فأرسل إلى أمين المجادلية، ولما حضر قال له : من يصنع هذا النوع من المجاديل؟ أجابه الأمين : فلان أو فلان، قال له حقق جيدا، قال : لاشك أنه فلان، فأرسل عليه، فلما حضر الصانع، أخرج

المجدول، وقال له : أأنت صنعت هذا؟ قال : نعم، قال له : لمن صنعته؟ قال : لفلان الموجود في المكان الفلاني، والذي عمله كذا وكذا، فقال له : اذهب إلى حال سبيلك، ولا تخبر أحدا بهذا الأمر، فأرسل على المعني بالأمر، وهو القاتل، فلما حضر أمامه، نادى على ابن عتروس قائلا له : (الماعون)، فما على الجاني إلا أن اعترف بجريمته.

للتعليق فقط : انظر في طرق البحث التي سلكها ليتوصل بها إلى اكتشاف الحقيقة، إنها الفراسة، إنه الدهاء وبعد النظر في بواطن الأمور.

وخلاصة القصة، أو نتيجة الأمر، فإن القاتل عادة لا يبقى في سر الكتمان مهما حاول هذا القاتل.

قصة الدائن والمدان :

ويحكى عنه كذلك أن رجلا أدان رجلا مالا، ثم أنكره، فجاء الذي أدان صاحبه يشكوه إلى الباشا، ولما حضر المدان له أمامه سأل الأول، وقال له : متى؟ وأين أدنته هذا المال؟ فقال له : سيدي كنا في طريقنا إلى السوق، فأعطيته ذلك عند شجرة في الطريق الفلاني، فقال للذي أنكر : اجلس هناك، وقال للآخر: اذهب إلى تلك الشجرة واسألها، وعد إلي حينا، ثم مكث برهة من الزمن وقال للرجل مفاجئا له بهذا السؤال : أيكون قد وصل أم لا؟ فأجابه المنكر (بكسر الكاف) لا يا سيدي المكان بعيد، فقال له : أعطه ما أدانه لك، إنك على علم بالمكان الذي أدانك فيه، إنه على حق، وهذه أيضا من النباهة بمكان، ومن الدهاء الخارق، إلا أن هذه القصة وردت في كتاب (ربيع الأبرار، وقصص الأخبار) للإمام الزمخشري ج:1 ص: 799، وهي بالحرف كما يلي : (جحد رجل مال رجل، فاحتكما إلى إياس بن معاوية، فقال للطالب : أين دفعت إليه هذا المال؟ قال : عند شجرة بمكان كذا، قال فانطلق إلى الشجرة لعلك أن تذكر كيف كان الأمر؟ فمضى وجلس خصمه، فقال إياس بعد ساعة : أترى خصمك بلغ موضع الشجرة؟ فقال : لا بعد، قال : يا عدو الله أنت خائن، فقال : أقلني أقالك الله، وأقر).

للتعليق: فإن القصة لها جذورها في التاريخ، فباشا مدينة فاس إما أن يكون على علم منها -رغم عدم قراءته- فحكم بها وجاء بمضمونها، وإما أن يكون قد هدي إليها بعقله ودهائه.

إياس بن معاوية بن قرة المازني، أبو وائلة قاضي البصرة، يضرب المثل بذكائه، توفي بواسط عام 122 هـ في خلافة هشام ابن عبد الملك بن مروان.

حكاية أخرى :

أن رجلا له بندقية- فاستعصت في يده ولم يتحرك زنادها، فجاء لأحد صناع أنواع الأسلحة ودفعها له، وقال له: انظرها، فما كان من الصانع إلا أن غمس أصبعه في مادة الزيت ودهنها، فتحرك الزناد ولم تبق البندقية مستعصية، فطلب من صاحبها ريالا أجرة أتعابه، فقال الرجل : على ما تأخذ الريال؟ إنك لم تكلف نفسك أي مشقة في إصلاحها، فاضطر الصانع أن يذهب إلى الباشا يشكو صاحبه، فما كان من الباشا إلا أن طلب البندقية وأخذها بيده، وقال للصانع (المعلم) : إنك نسيت أن تصلح مسمار (سر وجي) أي اذهب وعد، حتى لا يعلم صاحبه ماذا صنعت فيها، فانتبه وقال : سيدي سأصنعه، ووضع البندقية أمامه وكلما عاد إليه صاحبها يقول له : اذهب وعد، ولما طال عليه الزمن أعطى ما طلب منه من الأجرة وذهب مطمئن البال، والحكمة في قوله (سر وجي).

حكايـة أخـرى

وهذه حكاية أخرى قريبة من التي قبل الأخيرة، وهي أن رجلا أدان رجلا آخر مالا، فأنكره، فإذا خلا به يعترف له بما عليه من الدين، إلا أنه يقول له: أنكرتك ولا أعطيك شيئا، وفي أحد الأيام رصد له بعض العدول في غابة، وقال له: قم نترافق إلى السوق فجاءا يتحدثان ويتسامران، وحين وصلا إلى المكان الذي رصد

فيه العدول، قال له: اجلس لنستريح بعض الوقت، فجلسا وقال صاحب الدين ما هو كذا وكذا، قال له المدان له : نعم ولكني أنكرتك ولا أعطيك شيئا، فإذا بالعدلين يخرجان من الغابة ويقولان له : إذن عليك دين للرجل وقد اعترفت، فكتبا رسما فيه اعتراف أن عليه دينا للرجل، فلما وصلا إلى السوق صار الرجل الثاني المدان يعلن للناس ويقول لهم: يا من يذهب إلى قبيلة بني فلان، تيقظ واحذر فإن كل ضَرْوَةٍ بعدل، وإياك أن تقول الحقيقة أو تصرح بشيء.

والضرو شجر معروف، ويكتب أحيانا بالسين : السرو، قال أحد الشعراء :

(لا تغرنك اللحي ولا الصور تسعة أعشار من ترى بقر
في شجر السرو منهم مثل له رواء وما له ثمر)

والشاعر يستصغر ويحط من همة الذين يعتنون بهيئاتهم وأجسامهم، وهم لا علم لهم ولا ثقافة عندهم، وصدق من قال : (ثيابك يرفعك قبل جلوسك، وعلمك يرفعك بعد جلوسك).

ويحكى عن سيدي أحمد بن الجيلالي المغاري شيخ العلماء بفاس ورئيس جمعيتهم في وقته، أن رجلا دعي إلى حفلة فيها الفقهاء والعلماء والوجهاء، فجاء أحد المدعوين وقد تأخر في مجيئه، ولما وصل جلس حيث انتهى به المجلس، فدعوه أن يتقدم إلى صدر القاعة، فأجابهم : لا، أجلس هنا -تأدبا منه- فقال له سيدي أحمد بن الجيلاني : قم واجلس حيث طلبوا منك، ولكن إذا جلست، وقالوا لك قم وعد إلى المكان الذي أنت فيه الآن، عند ذلك أظهر شجاعتك وقوتك وقل لهم لا أعود.

قصة التاجر الذي يريد أن لا يسمع الآذان

ومن قصص ابن بوشتى البغدادي، وهي من الغرابة بمكان، قيل إن رجلا من وجهاء مدينة فاس ومن تجارها وأغنيائها، يقطن داخل المدينة العتيقة حيث المساجد والمآذن، وكان دأبه -عفا الله عنا وعنه- يتكاسل عن الصلاة، ويزعجه

الآذان والنداء إلى الصلاة، وخصوصا عند الفجر، فجاء إلى ابن بوشتى البغدادي باشا مدينة فاس يشكو عنده ويطالبه أن يجعل حدا لهؤلاء المؤذنين الذين يزعجونه بأصواتهم ونداءاتهم.

سمع منه الباشا ابن البغدادي -ثم فكر مليا- فأجابه : اذهب إلى حال سبيلك حتى أفكر في الموضوع، وبعد تفكير عميق أرسل على حبر اليهود الذي يقطن بحي الملاح، ثم قال له : اختر أحسن دار في حيكم الملاح واشترها بأغلى ثمن وهيئها لرجل يريد السكنى بينكم، وحين تمت الصفقة، وصارت الدار جاهزة استدعى عددا من العاملين الذين يحملون الأثقال في المدينة ويدعون (الزرزاية) ثم بحث عن عمل الرجل، قيل له أنه يخرج في الصباح إلى دكانه ولا يعود إلا بعد الزوال، ثم أمر أولئك العمال أن يتوجهوا إلى دار الرجل ويخرجوا أهله من نساء وأطفال، ويسوقونهم رغما عليهم إلى دارهم الجديدة في الملاح حيث يقطن اليهود، ومباشرة ينقلون كل أثاثه ومدخراته بأسرع وقت ممكن، وأوقف بعض معاونيه من رجال المخزنية عند باب دار الرجل ليخبروه أخيرا أن أفراد أسرته، وأثاثه ومتاعه في داره الجديدة في الملاح مع اليهود، حيث هناك لا يسمع الآذان، وصدق الله العظيم: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)، وفي اليوم الموالي أرسل إليه الباشا يسأله هل وصلت إلى بغيتك بعد أن لبينا رغبتك، وعملنا على حصول مطلوبك، وصرت لا تسمع : (حي على الصلاة حي على الفلاح)، ولا تسمع : (الله أكبر، لا إله إلا الله)؟

وصدق الله العظيم: (إنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)، نسألك اللهم يا مولانا أن تهدينا فيمن هديت.

وهذه قصة القاتل والمقتول

مر في قصص ابن بوشتى البغدادي باشا مدينة فاس قصة المرأة التي قتلت ورميت في الوادي، وكيف توصل إلى قاتلها، وهذه قصة تروى هي أشبه بالخيال

منها إلى الحقيقة، قيل إن رجلين اثنين كانا في سفر، بينما هما في الفلاة، قال أحدهما لصاحبه: لو قتلتك ودفنتك في هذا القفار، من يعلم بخبرك؟ فأجابه الآخر: السلطان الأكبر يبلغ السلطان الأصغر فيأخذ بثأري ويعاقبك على الجريمة، فما على الأول إلا أن قتله ودفنه في ذلك القفار، وبقي ضميره يوبخه طول المدة، وذات يوم قال مع نفسه، أعود إلى هناك، لأرى ما حال قبر ذلك الرجل، وبوصوله إلى مكان القبر وجد أن كرمة نبتت على القبر، وفيها عنقود من العنب لم ير مثله، وهو في زمن ووقت غير وقت العنب، فحدثته نفسه أن يتوجه به إلى سلطان ذلك الزمن يقدمه له هدية، وينال بذلك جائزة، فقطع عنقود العنب وحمله في جراب خاص، وبوصوله إلى قصر ذلك السلطان قال للحاجب: إني جئت بهدية إلى السلطان، وأود أن أقدمها له بنفسي، فلما مثل بين يدي السلطان وعزم على إخراج عنقود العنب فإذا به رأس المقتول، فسقط في يديه، فقال له السلطان : أصدقني القول، فقال : سيدي، قلت لصاحب هذا الرأس : إن قتلتك من يعلم بخبرك أني قتلتك؟ قال لي : السلطان الأكبر يخبر السلطان الأصغر، فيقتص منك، فقتلته، فقال ذلك السلطان : السلطان الأكبر هو الله، والسلطان الأصغر هو أنا، فأقام عليه الحد وقتله، وصدق الله العظيم : (وجزاء سيئة سيئة مثلها).

الباشا ابن البغدادي يتجول داخل ساحة القرويين

ويحكى أن الباشا ابن بوشتى البغدادي أرسل ولده المسمى الطيب إلى جامعة القرويين قصد التعلم، وأوصاه أن يأخذ العلم عند العلامة البليغ سيدي العباس بناني، وصدفة توجه الباشا المذكور إلى مسجد القرويين، وهو يطوف على حلقات العلماء، حتى وقف حيث ولده المذكور، فألقى سؤالا على سيدي العباس بناني قائلا له : هل يتعلم ولده ويفهم؟ فأجابه العلامة سيدي العباس بناني : المستوى أعلى منه، لو رأيت له مكانا عند غيري من العلماء، فأجابه الباشا ابن بوشتى البغدادي:

أرسلته إلى حلقة دروسك ليتعلم بعض سلوكك ونباهتك وسبر غور فراستك، (بالدارجة : يتعلم تحرميت ديالك)، أما العلم فليس من شأن آبائه ولا من أجداده، فضحك العلامة سيدي العباس بناني، وقال للباشا: الآن اتركه ودعه يتعلم.

شاعر الحمراء يهجو البغدادي

يحكى أن شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم السراج المولود 1900م والمتوفى 1954م مات وعمره 54 سنة، قد هجا باشا مدينة فاس ابن بوشتى البغدادي، في قصيدة من أربعين بيتا، عنونها بقوله : (الدمعة الخالدة).

وهذا الشاعر وجد وعاش في فترة حرجة من حياة المغرب، فالأحداث جسام، والصراع كان محتدا بين أبناء المغرب المخلصين وبين المستعمر الفرنسي، فمن وقت ولادة هذا الشاعر بالتاريخ أعلاه، ومرورا بحادث عقد الحماية في 30 مارس 1912م، حروب وصراعات وقعت هنا وهناك، وعلى سبيل المثال: حرب الريف الأولى التي خاضها الشريف سيدي محمد أمزيان ضد الاسبان لمدة خمس سنوات 1907-1911م في المنطقة الشرقية من الريف قرب مليلية، وحرب الريف الثانية التي خاضها -كذلك- البطل المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي ضد الدولتين إسبانيا في الشمال، وفرنسا في الجنوب، ولمدة ست سنوات 1921-1926م وحوادث وثورات في جهات مختلفة من المغرب، ثورة حمو الزياني في الأطلس المتوسط، وثورة أحمد الهيبة في سوس، أضف إلى هذه الثورات إبرا[راز : (الظهير البربري) الذي اختلقته وأظهرته فرنسا لتفرق بين البربر والعرب، جريا على عادتها: (فرق تسد) سنة 1930م.

هذه الأحداث وغيرها على مستوى وطننا المغرب ومع أحداث أخرى على المستوى العالمي كالحربين العالميتين الأولى سنة 1914-1918م، والثانية 1939-1945م.

فشاعرنا محمد بن إبراهيم وباقي رجال السياسة عاشوا هذه الفترة وعاصروا هذه الأحداث، بما فيها وما عليها من لذة ومرارة، بل المرارة فقط ولا لذة عند من يحمل هم الوطن، وخصوصا الشعراء منهم، فالشاعر يتألم أكثر من غيره، فهو حينا يحن، وحينا يتألم، وتألمه أكثر من حنانة، لما يراه ويشاهده من اعتداء وتظلم، لأن من شيم النفوس الظلم كما ورد عند ابن خلدون في مقدمته :

(والظلم من شيم النفوس فإن   تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم)

وها نحن نورد من قصيدة شاعر الحمراء ابن ابراهيم في ابن بوشتى البغدادي باشا مدينة فاس، بعض الأبيات فقط، حسب تسلسل القصيدة، لأنها طويلة، ومن أراد الاطلاع عليها كاملة، فليراجعها في كتاب شاعر الحمراء في تاريخ الأدب المعاصر) لمؤلفه (الخلاصة أحمد)، الكتاب طبع 1407 هـ-1987م، مكتبة الشاطر جليز- مراكش.

وإليكم الأبيات اللائي وقع عليهن الاختيار من القصيدة

(أسال من الأجفان عن صدره نهرا   ليطفئ ما بالقلب متقدا جمرا
ومن أدمع الباكي الغزيرة ما به   تخفف أحزان قد أقلقت الصدرا
دعوا قطرات الدمع تنزل فوقه   فإني بما في مهجتي بكم أدرى
فما تكد مثل الرعاة تراهم   إذا نهيهم نهيا وأمرهم أمرا
وذا الأرعن المشدود بالحبل نصفه   متى ساس الضأن جاز به وعرا
فأصبح والشكوى إلى الله وحده   يقلبهم بطنا ويجلدهم ظهرا
أسجن وضرب مؤلم وإهانة   وزجر وتعزير وما اقترفوا وزرا
وما ذنبهم إلا الشعور بأنهم   أصيبوا فصاحوا من تألمهم جهرا
أحسوا جميعا بالتألم والضنى   وهل يجهل المضرور إن به ضرا
أيا زائري فاس إذا ما مررتما   بسجن حوى أبناءه خضعا (مرا)

وكم من طليق عاش في السجن عمره	وساكن سجن بات في عينه قصرا
فقل لطغاة طال بالجاه سكرهم	هو الدهر لا يبقي برأسكم سكرا
فصبرا جميلا يابن فاس عن الردى	فحقك في الدنيا يقضى وفي الاخرى
أشاعر فاس دون سابق رؤية	عليك سلام الله من شاعر الحمراء)

فالقصيدة رائعة، لها مغزاها العميق، وفي نفس الوقت هي وصف لما يجري -وقتذاك- من رجل أعطي السلطة، وتناولها بيد من حديد، ولكن الشاعر الذي رصده، وصفه بهذا الوصف الدقيق، وقد رماه وما أخطأه، وكلاهما -الآن- في مقرهما عند الله يحاسبون، وهو سبحانه وتعالى : ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾.



وهذه صورة لشاعر الحمراء محمد بن ابراهيم السراج، هذا الشاعر عاش الفترة الحرجة ولادته نهاية القرن التاسع عشر 1900م ووفاته سنة 1954م.

فترة من الزمن قصيرة، لم ير منها إلا الشدائد والألم، وكأنه ما وجد ليتمتع ويرى الخير، ولكنه وجد ليشقى ويتعب فهو جزء من أمته، التي حملت هم الوطن، فجاء ليشاركها، وخصوصا حيث هو شاعر والشعراء هم من يحملون هموم الأمة وهموم الوطن.

وهذه قصة الخادمة وجهاز الهاتف (التليفون)

ومما يحكى عن باشا ابن البغدادي، لما وصل جهاز الهاتف وشرع في استعماله، قرر الفرنسيون أن يزودوه بهذا الجهاز وأثبتوه له في منزله، حتى يسهل الاتصال به عند الضرورة.

وحين عودته يوما من العمل الإداري إلى منزله، ماذا يجد؟ يجد الخادمة تتحدث في الهاتف ولم يدر من المتحدث معها ولم يسأل من يكون هذا المخاطب (بكسر الطاء)؟ وإنما أسرع إلى خيوط الجهاز يجذبها ويحاول تمزيقها وتقطيعها، وهو يردد: وهل أنا زدت معي رجلا آخر في البيت؟.

وقرر أن يقطع هذا الجهاز ويصبح في غنى عنه، لأن جهاز الهاتف، قد صار وسيلة للاتصال، أحيانا في أعمال الخير والمصلحة، وأحيانا أخرى في أعمال الشر، نعوذ بالله من كافة الشرور، وما يجلب الضر والسوء في الدنيا والدين، آمين.

وفي نصف العقد العاشر من عام 1294-1295هـ.

القطار والهاتف يحلان بالمغرب

ففي كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي المغربي، الجزء التاسع صفحة 162 قال : (وفد على السلطان – عنى بالسلطان : المولى الحسن الأول ابن محمد بن عبد الرحمن بن هشام العلوي رحمهم الله.

والذي حكم المغرب الفترة ما بين 1290-1311هـ، ومدة حكمه كانت إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، الاستقصا الجزء التاسع ص : 207 قال.

وفد على السلطان أيده الله عدد باشادورات السفراء) للأجناس مثل باشادور الفرنسيس والأصبنيول والبرتغال وغيرهم.

وتكلم الفرنسيس في شأن بابور البر (بفتح الباء) وعنى به القطار، والتلغراف، وإجرائهما بالمغرب، كما هما بسائر بلاد المعمور.

وزعم أن في ذلك نفعا للمسلمين والنصارى، وهو والله عين الضرر، وإنما النصارى أجربوا سائر البلاد، فأرادوا إجراب هذا القطر السعيد، الذي طهره الله من دنسهم، نسأله سبحانه أن يكبت كيدهم، ويحفظ المسلمين من شرهم.

للتعليق : إن نظرة هؤلاء السلف في المستقبل القريب منه والبعيد نظرة بريئة، لا شائبة ولا شبهه، ولا عداء، ولا خذلان.

فهمهم الوحيد العمل على حفظ الدين، والسير على منهاج السلف الصالح، وصدق الله العظيم : ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ الأعلى الآية 17 ﴿وإن الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ العنكبوت الآية 64 ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ الضحى الآية 4.

هكذا كان نظر السلف الصالح رحمهم الله.

موت ابن بوشتى البغدادي ومدفنه

وحين وفاة ابن بوشتى البغدادي، عام 1352هـ سنة 1932م أوصى أن يدفن ويوارى جسمه في مسجد سيدي بلقاسم ابن رحمون. الكائن بالطالعة الصغرى، في الموقع المدعو (زقاق الحجر) وهو عن يمين الهابط الى ضريح المولى ادريس (رضي الله عنه) وقبل الوصول الى سلاليم وأدراج ساحة النجارين، جهة اليمين، وعين علو والعطارين جهة اليسار.

ومسجد سيدي بلقاسم ابن رحمون، هو أحد المساجد الأحد عشر الكائنة بهذا الزقاق، الذي هو الطالعة الصغرى،

وبوفاته حل محله في وظيف الباشوية الباشا التازي وهذا الأخير استمر في هذا الوظيف الى سنوات المحنة 52-53-1954-53 بقيت جزئية لم أتوصل لمعرفتها، ألا وهي لفظة : بغادة) التي ينتسب إليها هو وأبوه، وأين موقعها في أرض المغرب؟، لكن أخيرا وقفت في (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية) معلمة المدن والقبايل، ملحقة (2) في صفحة 101 العمود الثاني، (بغادة قبيلة...) في غرب المغرب، منها أبو الشتاء البغدادي، كان عاملا على فاس قبل الحاج عبد الرحمن ابن عبد الصادق، وقد كان ولده باشا مدينة فاس بين 1914-1932م.

وأيام مرافقتي لشيخنا الراحل سيدي محمد الطاهري، كان إذا وقع وجرى الحديث بينه وبن زواره، في بعض الأحداث التي تقع عادة في البلاد - وما ينبغي لها أن تقع - كان يردد رحمه الله : ويا ليت يعود ابن بوشتى البغدادي الذي كان ضابطا لأمور مدينة فاس ونواحيها، فأثبت الأمن وأرسى الأمور لوحده، من غير أن يحتاج لكتاب ومحامين وقضاة، وإن الفرق لشاسع بين القديم والحديث.

هنا تنتهي قصص ابن بوشتى البغدادي.

نـــادرة وفتـــوى :

قيل إن رجلا حلف يمينا معلقا، وهو إن وقع ما هو كذا وكذا - وكأنه يتحدى وقوع ما حلف عليه - أنه سيتوجه إلى بلاد النصارى وسيمكث فيها مدة عامين كاملين، وإن لم يفعل ذلك فزوجته طالق، فنزل ووقع ما حلف عليه، ولم يخطئه الحنث، وأصبح الرجل بين أمرين اثنين : التوجه إلى بلاد النصارى والمكث فيها مدة عامين، أو طلاق زوجته، وشرع يستفتي علماء مدينة فاس واحدا واحدا، عله يجد حلا لمعضلته، وصار العلماء يفتون له : لابد له من إحدى اثنتين الغربة في بلاد النصارى، أو طلاق زوجته، وأخيرا أشار عليه أحدهم أن يتوجه الى العلامة البليغ سيدي العباس بناني رحمه الله، وبمجرد أن طرح عليه السؤال أجابه - توا - : أفي هذه المسألة أنت حائر؟ اذهب وتوجه إلى قبيلة بني فلان وهي إحدى القبائل المغربية القريبة من مدينة فاس - ولا حاجة لذكر اسمها - وامكث فيها عامين، ثم عد، وقد بررت حلفك ويمينك، ويقصد أن القبيلة لجهلها بأمور الدين هم كالنصارى الذين يجحدون الدين الإسلامي، إنه من الأهمية بمكان.

هذه بعض قصص رجل من جنس إسباني، طبيب يدعونه في مدينة فاس : (قدور العلج)

قيـل إنه كان مسجونا في بلده، ففكر وقـرر أن يصعد إلى أعلى السجن ويرمي بنفسه، فإن سلم ولم يصب بأذى يعتنق دين الإسلام، ففعل ما نذره، ونجا، ودخـل ارض المغرب وصار مسلما، وقطن مدينة فـاس، واتخـذ رجلا من المدينة مرافقا له، وممرضا معه، وهذا الأخير هو الذي صار يحكي قصصه العجيبة، ومن قصصه :

القصة الأولى :

قيل إنه مر في حي الرصيف حيث سوق بيع الخضر، فوقف ينظر إلى رجل في دكانه يبيع ويشتري، فرآه مرافقه الممرض وقد تغيرت ملامحه، فسأله: رأيتك يا طبيب وقفت تنظر إلى الرجل، وملامحك قد تغيرت فأجابه الطبيب: إن الرجل غدا يبيت في قبره، فاستغرب الممرض قوله لكنه قال: سأرى ما صدق قول الطبيب، قال: لما صليت العشاء في مسجد جامع القرويين قلت أمر على دار الرجل لأستيقن ما قاله الطبيب، فلم أر ولم أسمع شيئا لكن عند الفجر لما صليت الفجر والصبح مررت على دار الرجل فإذا بالمغسل والمحمل قد وضعا عند باب داره، وقد مات الرجل رحمه الله.

وقصة أخرى :

قيل إنه مر في زقاق من أزقة حي النخالين فسمع بكاء في دار، وكان الطبيب يعرف الرجل الذي يسكن تلك الدار، فدخل بدون استئذان – فسألهم، فأجابوه: إن فلانا قد مات، وقد غطوا وجهه، فكشف عن وجهه وأخرج من محفظته قارورة وجعلها له عند أنفه، فأفاق الرجل من غفوته وقام وقعد، ثم جعل يلومهم ويقول لهم إن الرجل حي وأنتم تقولون إنه ميت وأعطاه بعض الدواء وانصرف.

وهذه أخرى :

قيل إنه استدعي إلى وليمة فيها عدد من الوجوه وصار الحاضرون يقولون له: جس نبضي وقل لي ما مدى صحتي، فكلما جس نبض احدهم، قال له: أكثر من أكل كذا وكذا، يفيدك في مرض كذا، وتجنب كذا وكذا لتقاوم به مرض كذا وكذا، ولما وصل إلى أحدهم، قال له: أنت ستعيش طويلا وستطأ برجليك على قبور هؤلاء، لكن ملامحه قد تغيرت كما رآه مرافقه الممرض فلما خلا به قال له: قلت للرجل ستعيش طويلا وستطأ قبورهم ولكن ملامحك تغيرت، قال له إن الرجل يموت داخل الأسبوع، فكان الأمر كما قال.

وهذه أخرى :

قيل إنه من أعمال مهنته الطبية يأتيه الناس بفضلة من بولهم، يقلبها لهم، ويعرف بها نوع المرض الذي أصيبوا به - كما يفعل الأطباء المختصون في وقتنا الحاضر- فرأى أحدهم أن يأتي له ببول كبش كان يربيه، يريد معرفة صحة تطبيبه للناس بهذه الطريقة، فلما قلب له ما أتى به قال له الطبيب قدور لعلج : هذا لم يسمن بعد، زد في علفه، فإذا ذبحته فأتني ببعض لحمه ومن نوع كذا وكذا.

إذن فالطبيب عرف أن نوع البول هو من الكبش لا من الإنسان.

وآخر جمع له في زجاجة ماء القطر القريب من فرن النار في منزله، وجاءه وقال له : قلب لي هذا، فلما أخذه الطبيب، قال للرجل : (زد الطين لسقف دارك حتى تتحاشى قطر المطر في بيوتك).

ويقال في آخر أيام عمره مرض، وبدأ الناس يعودونه، فقال له بعضهم : أنت طبيب، كيف ولم تعرف نوع مرضك لتنتقي له الدواء الناجع؟ فمد يده إلى محفظته وأخرج منها ما هو أشبه بدقيق، فجعله في كوب وصب عليه الماء فصار ذلك الغبار أشبه بحجر يابس، فقال لهم : نعم، ولكن مولانا ما أراد الحياة، ولكن أراد الانتقال إليه، وأنا أستودعكم، وقد عشت من العمر ما قد كفاني، ولا أزيد على ما قدر الله لي.

وقصة أخرى وهي سر من أسرار الله :

ويحكى عنه، جاءه رجل مريض بحبوب حمراء انتشرت في جسمه وتسيل ماء ولما عرض نفسه على هذا الطبيب، قال له : (مثقال) وهو ما يساوي عشر أوقيات، والأوقية تساوي أربع موزونات، والموزونة وحدة نقدية، وهو أجرة الطبيب، ولعل هذا المريض لم يكن معه المثقال المطلوب منه، فغادره، وتوجه إلى ضريح سيدي علي بوغالب الكائن بباب الفتوح، فدخل إلى الروضة وزار ودعا الله، وخرج من

الضريح فلقيه رجل قصير بلحية بيضاء لابسا لجلباب ابيض، فسلم عليه، وقال له: هذا المرض دواؤه أن تدهن جسمك بماء الورد وتغبر عليه الحناء المدقوقة، وتشفى بإذن الله، فلم ير الرجل، فمر عند أخت له في طريقه، ودخل عندها يسألها هل عندها ماء الورد والحناء، فأجابته: نعم، فجاءته بهما ودهن جسمه وذر عليه الحناء، فبرئ من حينه وشفاه الله، وفي الغد لقي الطبيب وأخرج يده وقال له: **أنظر ها قد** برئت، وأنت تطلب مني المثقال، فأجابه الطبيب: أنا لست سيدي علي **بوغالب.**

وسيدي علي بوغالب ومسجده فيه مبرة يلجأ إليها المرضى والعجزة، مقام مشهور بفاس منطقة باب الفتوح.

والغريب، كيف عرف الطبيب قدور العلج أن المريض كان برؤه بسبب ماء الورد والحناء، الذي أشار به ذلك الرجل على المريض الزائر سيدي علي بوغالب.

قصة رجل ميت وهو حي :

حكاية أخرى عجيبة – إلا أنها ليست بغريبة – قيل أن رجلا جاء إلى غسال الأموات، ودعاه إلى غسل ميت، ولما ذهب معه إلى حي الرميلة الواقع بين المدن غرب باب الخوخة، وحين وصل الغسال ودخل إلى البيت الذي فيه الميت وخلع جلبابه ليشرع في الغسل، فكشف عن وجه الرجل فوجده حيا، وقال لأهله إن الرجل لم يمت بعد، ثم لبس جلبابه، وعاد إلى مقره، وبعد مضي 33 سنة جاءه رجل وقال له : تعال لغسل أحد الأموات، فتبعه إلى أن وصل إلى تلك الدار نفسها، ودخل إلى البيت نفسه كذلك، فتعجب وقال للرجل سائلا إياه: إنني جئت إلى هنا منذ مدة كذا وكذا لغسل أحد الأموات، ولكني وجدته حيا، فأجابه الرجل: إن الذي جئت لتغسله آنذاك هو هذا العبد الذي أمامك، إني لازلت حيا، والذي جاء بك يومذاك هو الذي أتيت الآن لتغسله، وقد مات موتة حقيقية فالآجال والأعمار بيد الله، وهو سبحانه هو الذي يحيي ويميت.

صـورة لثلـة مـن العلمــاء



هؤلاء ثلة من العلماء الذين يسر الله التعرف عليهم، والاتصال بهم، والأخذ عنهم، وهم من القطرين المجاورين المغرب والجزائر، أتناولهم واحدا واحدا، وأذكرهم حسب ما توفر لدي من معلومات، وما عاينوه اثناء وجودهم في هذه الحياة، والله من وراء القصد.

وهذه الصورة يظهر فيها :

سيدي محمد الطاهري، وسيدي محمد الجواد الصقلي بينهما: محمد سعيد رمضان من علماء الأزهر الشريف.

وعن يسار سيدي محمد الطاهري العلامة سيدي الحبيب المهاجي.

وفي أقصى اليسار أحد العلماء من أسرة المرابط السلمي، ويظهر سيدي أحمد لحبابي الى يساره، ووراء الكل سيدي محمد بن علي الكتاني رحم الله الجميع رحمة واسعة.



الشريف العلامة
سيدي محمد الطاهري

1 - الشريف العلامة الجليل سيدي محمد بن سيدي محمد بن سيدي عبد السلام الطاهر الصقلي الحسيني.

شيخي وأستاذي العظيم، ورفيقي في السلوك والمعاملة الحسنة شيخ شيوخ مدينة فاس في وقته، ولادته 1314هـ-1895م حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وهو لم يتجاوز اثنى عشر عاما، تابع في جامعة القرويين، عن شيوخه الذين درس عليهم: سيدي أحمد بن الجيلالي المغاري شيخ الجماعة في وقته، سيدي أحمد بن الخياط الزكاري سيدي أحمد بن المأمون البلغيثي، سيدي محمد الراضي السناني، والعلامة سيدي عمر العراقي، وآخرون.

نال العالمية بامتحان من المجلس العلمي عام 1346هـ، عمل مدرسا قبل النظام بدءا من عام 1351م.

وعمل مراقبا - مفتشا - للتدريس بالقرويين بظهير شريف عام 1360هـ.

أحيل على التقاعد في شهر أكتوبر عام 1484هـ -1964م عمل أستاذا بكلية الشريعة بعقدة إلى 1971م أشبه بمن يستعار من دولة أجنبية.

أعيد إلى عضوية المجلس العلمي الجديد وهذه العضوية كان قد عمل فيها من بداية 1955م بجانب سيدي محمد الجواد الصقلي، وسيدي محمد (فتحا) السراج،

ورجوعه الى هذا المجلس العلمي الجديد للاشتغال هو ورفقاؤه في تحقيق تفسير: (المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز لابن عطية الأندلسي المغربي.

عرض عليه رئاسة المجلس العلمي في عهد الحسن الثاني بواسطة الحاج أحمد بن سودة، والحجوي، لكنه اعتذر، واقترح عليهما الحاج أحمد بن شقرون، فأسندت إليه، وبقي فيها إلى وفاته سنة 2000م-1420هـ.

سيدي محمد الطاهري أدى فريضة الحج ضمن الوفد الرسمي 1390هـ 1970م.

سيدي محمد الطاهري حياته مليئة بالمكرمات، كرمه وصل إلى حد الإيثار، معاملته مع من يخالطه كانت المثل الأعلى، اسألوني عنه، أنا الذي رافقته فترة من الزمن مدتها إحدى وعشرون سنة وشهر واحد وسبعة أيام، بدءا من 27 نونبر 1967م إلى يوم وفاته يوم الخميس 5 يناير سنة 1989م.

وذلك حين اكتريت منزل كريمته للا خديجة وأبنائها الذي بني إلى جانبه في حي ابن دباب بمدينة فاس العامرة.

ولي معه ذكريات ونوادر، قل أن يعرفها أحد غيري، فهو رحمه الله تحفة من التحف، أو صندوق من الصناديق، أو جراب من الأجربة التي تتخذ لحزن أو إخفاء ما قل وعز مناله، وكان رحمه الله سريع البديهة يدرك من الأمور الخفية ما وراء الستور. (جمع ستر) وخصوصا في المواد العلمية، يهتدي إليها في لحظة وجيزة، وبعضها ما خفي في أمهات الكتب، ورحم الله الشاعر.

حين عبر قائلا:

(العلم في الرأس وفي العينين   لكن تبقى صنعة اليدين)

خطب وصلى صلاة الجمعة في مسجد الضريح الإدريسي مدة 56 سنة كما أخبرني بذلك شفويا.

في المجلس العلمي الأخير تولى الأجوبة عن الأسئلة التي كانت ترد على هذا المجلس وجلها أنا الذي كنت أتولى كتابتها، لملازمتي إياه، وهذا العمل -ولله الحمد- زدت منه اطلاعا وغوصا في أمهات الكتب، وخصوصا الكتب الفقهية واسأل الله تعالى أن يصدق على (أو في) شطر الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (إنما مثل الجليس الصالح كحامل المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة...) أو كما قال الشاعر : (من خالط العطار نال من طيبه...).

سيدي محمد الطاهري أكرم بوسام العرش من درجة فارس عام 1388هـ 1968م.

وقد شملته المحنة كما شملت إخوانه المواطنين بصفة عامة، وإخوانه العلماء بصفة خاصة، وخصوصا حين امتنع عن الخطبة بابن عرفة الذي نصبته فرنسا مع بعض العملاء ذوي الضمائر السيئة، والذين لأخلاق لهم كما وصفهم الله في القرآن الكريم : ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق﴾ البقرة 200.

ونختم هذه النبذة وهذا العرض بأبيات شعرية أنشدها فيه أحد تلامذته، واصفا إياه قائلا :

(يا بن عبد السلام أنت منار ... يستضيء بضوئه البصراء
يا بن عبد السلام أنت فخار ... يتباهى بمدحه الشعراء
أنت حقا للمتقين إمام ... ولهم بك إسوة واقتداء
فلتدم ناشرا أمينا لعلم ... فيه للناس رحمة وشفاء
وليصاحبك ما بقيت سلام ... وأمان وسؤدد وارتقاء)

أثاره هو ما جمعته عنه أيام مرافقتي إياه، ووجودي إلى جانبه، ألا وهو الكتاب الذي أبرزته للوجود عام 1420هـ 2000م بعنوان (عقد الجواهر الحسان).

مجلد ومهذب عدد صفحاته : 551 صفحة،
وهو عبارة عن كشكول من العلوم، في مختلف الفنون هـ.

فسيدي محمد الطاهري يمتاز عن معاصريه من العلماء بالسلوك الحسن، والمعاملة الطيبة والأخلاق الحميدة، فإنه رحمه الله كما قال سيدنا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، قال رضي الله عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ما قال لي يوما لشيء فعلته. لم فعلته؟ أو لشيء لم أفعله لم لم تفعله؟ وإنما كان يقول : (قضى الله وقدر) حضرت جماعة عنده يوما، وجرى الحديث بينه وبينهم في مسألة فيها خلاف بين الايمة، فقال رحمه الله : الإمام الشافعي يقول، وقبل أن يتم كلامه بادره أحدهم: يكفينا من الشافعي، ورفع يديه، وكأنه، يستصغر الشافعي وفي هذا اليوم رأيت الغضب باديا على وجهه، وقال ضع يدك، بعيدا أن أكون أنا وأنت مثل التراب الذي كان يمشي عليه الشافعي، ثم قال للجماعة : أأنتم مقلدون أم مجتهدون؟ بادره أحدهم قائلا : أنا مجتهد - وهو رجل أمي، ليس له من العلم لا قليلا ولا كثيرا - فقال لهم رحمه الله، إذا كنتم مجتهدين، فأنا مقلد.

أردت التدخل، فقلت للجماعة جئتم زائرين أم جئتم للمناظرة والنقاش، وهنا تصدى إلي قائلا : اتركهم فلست في مرتبتهم، ثم دعا الله بالهداية لهم ولكافة المسلمين، ومن الصدف لم يتركهم ينصرفون حتى قدم لهم طعام العشاء، وصار يلاطفهم، ويومئ لهم أن يسلكوا طريق الامتثال والتبع خصوصا مع السلف الصالح، وعليهم أن لا يخوضوا في مسائل العلم الدقيقة، حتى يكونوا في ذلك على بينة من حكم الله وحكم رسوله ﷺ، ثم تلا قول الله تعالى : ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ الحشر الآية 10 .

عودة الدراسة للعلوم الشرعية
في جامعة القرويين

ومن الأعمال الخيرية لسيدي محمد الطاهري، والفضل يعود لأهل الفضل، عودة الدراسة للعلوم الشرعية في جامعة القرويين، فجامعة القرويين منذ تأسيسها في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة، وهي أول جامعة على وجه الكرة الأرضية، فرحم الله مؤسستها أم البنين فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري القيرواني، وجامعة القرويين مهد العلوم، ومركز الإشعاع، الديني والثقافي أنجبت من فطاحل العلماء، وحراص هذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده دينا (إن الدين عند الله الإسلام) ومنذ أن وجدت هذه الجامعة وروادها في جزر ومد، ولم يثبت في التاريخ أن توقفت فيها الدراسة بالطريقة المعهودة، جلوس الطلبة على الحصر وشيخهم أو فقيههم أو أستاذهم على كرسي أمامهم يدرس لهم، ويحل لهم ما استعصى عليهم فهمه، وجل علماء جامعة القرويين مشاركون، كل واحد منهم يتقن من العلم فنونا شتى إلا أنهم عند التقديم كل منهم يتصدى لفن خاص، منهم من يدرس علم العربية، من نحو وصرف وإملاء وبلاغة وما تفرع عن ذلك، ومنهم من يدرس مادة الفقه عبادات كانت أو معاملات، ومنهم من يدرس التفسير -تفسير كتاب الله العزيز- ومن يدرس علم الحديث، السنة النبوية، إلى جانب السيرة النبوية، ومنهم من يدرس الأدب العربي شعرا كان أو نثرا، إلى علوم أخرى كالتاريخ والجغرافية والفلسفة والرياضيات، وعلم الاجتماع، وحتى علم الفلك إلا أنه للأسف الشديد عند بداية الاستقلال 1956م 1376هـ -وهذه الخطة كان يدبر لها في الخفاء من قبل المستعمر الفرنسي عدو الإسلام الأول، توقفت الدراسة بجامعة القرويين وأخرجوها منها، وجيء بها أولا إلى مستشفى الزربطانة، بعد أن بني مستشفى عمر الادريسي بحي البطحاء، ثم شطروها الابتدائي في المدرسة المذكورة الزربطانة، والثانوي في قصبة

الشراردة التي كانت أيام الاستعمار ثكنة عسكرية للجنود السنيغاليين أو الأفارقة بصفة عامة الذين يعملون في الجيش الفرنسي، ومن التاريخ المذكور 1956 إلى أواسط الثمانينات، صارت جامعة القرويين قاعا صفصفا، خالية من دروس العلم لكن لما أراد الله لهذه الدروس أن تعود وتدرس كما كانت في عهودها الأولى، هاهي كلية الشريعة التي مقرها ظهر المهراز تحتفل بعيد العرش في يوم 3 مارس 1984م، ويشارك في هذا الاحتفال سيدي محمد الطاهري بقصيدة شعرية يمدح فيها ملك البلاد آنذاك الحسن الثاني بصفة خاصة، والدولة العلوية بصفة عامة، ويحضر هذا الاحتفال وزير التربية والتعليم وقتذاك الدكتور عزالدين العراقي، وإذا بسيدي محمد الطاهري يخاطب الوزير قائلا له: سيادة الوزير، أبلغ جلالة الملك تحية العلماء وقل له أن يرد لنا الدراسة إلى القرويين كما كانت في عهودها الأولى فأجابه الوزير: سيدي: (مبلغ)، قيل إنه لما عاد إلى الرباط واجتمع بالملك قدم له طلب سيدي محمد الطاهري، فما كان من جلالة الملك الحسن الثاني إلا أن التفت إلى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية مخاطبا إياه: (اشرع في العمل...) لأن الدراسة في القرويين نظامها تابع لوزارة الأوقاف من عهودها الأولى، وفي ظرف أقل من سنة قرر المسؤولون أن يعلنوا على الصعيد العام أن يحضر لأداء الامتحان من لا يتجاوز عمره 20 سنة لاستظهار القرآن الكريم أولا، ثم بعض المتون كمتن الأجرومية وألفية ابن مالك في العربية، ومتن ابن عاشر ومتن الرسالة ومتن مختصر خليل في الفقه ومما قاله أحد العلماء الممتحنين : (والله ليس إنصافا أن يمسك الممتحن كتابا، والممتحن (بفتح حرف الحاء) أن يستظهر، وإلا لم يقبل، ويعد ساقطا.

وكان قد تقرر أن يكون عدد الطلبة في المرحلة الأولى 300 طالب وأخيرا تقرر أن لا يزيد عن 150 طالبا فقط، وأغرب من ذلك تقرر أن لا يواصل هذا العمل في كل عام حتى تنتهي المرحلة الأولى التي مدتها ثلاث سنوات، لتقييم النتيجة الأولى، لأن التعليم في جامعة القرويين في أصله أربع مراحل، كل مرحلة ثلاث

سنوات، الثلاثة الأولى للحصول على الشهادة الابتدائية، والمرحلة الثانية للحصول على الثانوي الأول، والمرحلة الثالثة للحصول على السنة السادسة، والمرحلة الرابعة يدعونها النهائي، وهي للحصول على شهادة العالمية، فالمدة اثنى عشر عاما.

وحين انتهت المرحلة الأولى في ثلاث سنوات، كانت النتيجة باهرة وحسنة جدا، وانتقل الفوج الأول إلى المرحلة الثانية من التعليم الثانوي، وحل محله الفوج الثاني الذي هو التعليم الابتدائي، وهكذا إلى أن تخرج الفوج الأول سنة 1996م بالشهادة العالمية، وتخرج الفوج الذي تبعه 1999م وتخرج الذي بعده 2002م، وهلم جرا وهذا إجحاف من المسؤولين ولم لا يكون الولوج كل سنة، حتى يزداد العلم انتشارا، ويزداد العلماء عددا.

ولا يفوتنا أن أذكر يوم الافتتاح يوم انطلاق الشرارة الأولى لهذه الدروس المباركة، مساء يوم الجمعة 9 محرم عام 1405 هـ الموافق 5 أكتوبر 1984م، حيث افتتح الحفل - بعد تلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم- معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، تلاه عدد من المسؤولين في الحكومة المغربية، منهم مستشار جلالة الملك الحاج أحمد بن شقرون ودشن هذه الدروس العلامة سيدي محمد الأزرق، وألقيت قصيدة شعرية لشاعر القرويين وشاعر فاس الفيحاء الأستاذ الأديب الشاعر محمد الحلوي قصيدة من ثمانية وأربعين بيتا، قافية حرف الباء، عنونها بقوله: (البيت المظلم) العنوان الذي وصف به جامعة القرويين عدو الله المريشال ليوتى الذي جاء يقود الجيوش الفرنسية -بعد عقد الحماية يوم 30 مارس 1912م- عازما على استعمار المغرب واستهل الشاعر قصيدته بالأبيات قائلا:

(مودعة وليس لها إياب ... وراحلة تناساها الصحاب
أهذي أنت أم أضغات حلم ... تهاوت من شوامخك القباب
وأجدب روض أنسك بعد خصب ... وناح على منابرك الغراب)

وفي البيت التاسع عشر والعشرون

سألت الكراسي الخرساء عمن تربعها فأخرسني الجـواب
مضوا لسبيلهم فوجا ففوجا وهيـل على مآثـرهم تـراب

وفي البيت الخامس والعشرون والسادس والعشرون

رآهـا الأجنبـي مثـار شـر وبيتا مظلمـا خطـرا يهـاب
فكاد لها ولـم يعـدم نصيـرا وعاثت في مراتعها الذئاب

وفي البيت خمس وثلاثون وست وثلاثون

فهل لي أن أبشرها بعهد جديد لا يشوبه استيلاب
وهل لي أن أرى بغداد تحيا ودعوة من بنى فاسا تجاب

وفي الأبيات الأربع الأخيرة 45-48.

ففيك كتبت أبياتي العـذارى وعنك رويت فامتلأ الوطاب
وفيك عبدت ربي في قنـوت وفتح لي الى الإيمان بـاب
إذا افتخرت بما أعطتـه فـاس فإنك في جواهرها اللبـاب
على أيامـك الزهـر الغوالي سـلام الله ما تلي الكتـاب

إنها قصيدة رائعة عبر صاحبها عن مجد القرويين الغابر وحاضرها الأليم، ومستقبلها المنشود الباسم، ومن أراد الاطلاع عليها كاملة فعليه بالديوان في صفحة 135-139 من ديوانه : (الشموع) كما هي في أحد أعداد مجلة : (دعوة الحق) إلا أنه ضاع من يدي، وها هي جزئية أخرى لا تفوتني أسجلها هنا انتصارا للحق والحقيقة بعد طلب سيدي محمد الطاهري من وزير التربية والتعليم الدكتور العراقي في قاعة كلية الشريعة، طلبه المقدم الى ملك البلاد جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله، وقبوله لهذا الطلب، وإعطائه الأمر لوزير الأوقاف أن يشرع في العمل، وفي مدة لا تتعدى شهورا.

وها أنا وسيدي محمد الطاهري في منزله يدرس معي بعض العلوم، يدخل علينا أستاذنا سيدي محمد الزيزي، وبعد التحية والسلام بادر قائلا:

سيدي إن طلبكم قد لبي، وأصبح جاهزا، فقال سيدي محمد الطاهري، وما هو طلبي؟ قال سيدي محمد الزيزي طلبكم للحسن الثاني مع وزير التربية والتعليم بإعادة الدراسة للقرويين، فاستبشر سيدي محمد الطاهري وقال: جزى الله ملكنا الحسن الثاني، إنها حسنة من الحسنات التي يكتب الله ثوابها لكل من سعى فيها.

ويوم الافتتاح يوم الجمعة

توصل باستدعاء للحضور في الحفل المذكور، ونظرا لكبر سنه وضعف بصره أعطى لي الاستدعاء، وقال لي توجه إلى الحفل نيابة عني، وقد حضرت، وعاينت الحفل من بدايته إلى نهايته، وكان اليوم مشهودا سر به كل من حضره وقد غرست الشجرة من جديد، وها هي صارت تثمر، وتعطي أكلها.

إلا أنني قرأت على صفحات جريدة : (ميثاق الرابطة) لسان حال رابطة علماء المغرب مقالا لأحد الكتاب المرموقين رأيته قد نسب فكرة إعادة هذه الدراسة للقرويين من جديد إلى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وإنه صاحب الفكرة الأولى، والأمر عكس ذلك، فالفكرة كما ذكرتها هي لسيدي محمد الطاهري، والذي أمر بإنجازها هو الملك الحسن الثاني رحمه الله، ووزير الأوقاف هو الساهر على إنجازها وتسييرها فقط، وليس هو صاحب الفكرة الأولى.

فعلى من يتتبع الأحداث أن يتحر الصدق، ولا يعتمد الظنيات والتخمينات، ويعطي لكل حادثة أو خبر نزل إلى الساحة حقه الكامل، فعلى كل من يتصدى للكتابة وتسجيل الأحداث أن يتصور بين عينيه المثل القائل: (الطريق بعينها والغابة بأذنها) لا تفعل ما تلام عليه، ولا تقل ما تنتقد على قولك إياه).

إن الصدق وقول الحق، أفضل ما يوصف به الإنسان العاقل في حياته المديدة، والسلام.

الحوار الذي جرى حول الحضرة أو العمارة

حضر يوما جماعة من العلماء الى دار الشريف العلامة الراحل سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري، وشرعوا يتحدثون عن القوم الذين يتعبدون بالرقص والاهتزاز، أو ما يدعى : بـ (الحضرة أو العمارة) وصار كل منهم يقول ما عنده، إلا أن أحدهم بادر يسأل سيدي محمد الطاهري أن يبدي برأيه، ويقول ما عنده، فأجاب رحمه الله : (ما تتحدثون عنه هو في كتاب من الكتب المتداول بين ايدينا، فقال أحدهم : وما هو هذا الكتاب؟ أجاب رحمه الله : إنه حاشية سيدي الطالب ابن الحاج على شرح الشيخ ميارة الصغير).

ثم خاطبني: العزوزي أخرج لنا الكتاب المذكور، فأخرجته من مكتبته الغنية -لأني كنت مدربا على ذلك- وشرعت أتصفح الفهرس، وأنا لا ادري أين أقف على ذلك؟ فبادرني -رحمه الله- إن المسألة في باب التصوف، وحتى لا تطل بنا، انظر صفحة 158، وقل لنا ما كتب بالهامش فقلت: سيدي قول صاحب المرشد المعني:

(يصحب شيخا عارف المسالك   يقيه في طريقه المهالك)

ثم أردف قائلا : أسرد لنا ما في الحاشية، فشرعت أسرد، فقال الموضوع طويل، انتقل إلى صفحة 164، وصرت أقرأ: (وأما الرقص والتصفيق وهز الرأس والتحرك، فقال الشيخ زروق في شرح المباحث الأصيلة، إن كان يغلبه، فالمغلوب معذور، وإن كان بغير غلبة، وهو للإيهام فهو حرام لما دخله من الرياء والتصنع، والتظاهر مما ليس له حقيقة عنده) وأخيرا أملى عليه قائلا:

الأول وهو المغلوب معذور، فهذا لا كلام لنا معه.

والثاني قريب إلى الباطل أو إلى الضلال، وهو من في تمام عقله، ولكنه يقصد إراحة نفسه أثناء رقصه واهتزازه وهو يردد ويقول : (الله حي، الله حي، الله حي).

والثالث ضال مضل، إنه مراء، وليس من الحق في شيء، ثم قال: واستدرك العلامة سيدي احمد بن زكري على الشيخ زروق، فقال: نسي زروق الرابعة ، ألا وهي قصة جعفر بن أبي طالب حين قال له رسول الله ﷺ : أشبهتني خلقا وخلقا فقام يرقص على رجل واحدة، والمرأة[1] التي جاءت إلى رسول الله ﷺ، وقد رجع من إحدى غزواته، فقالت : يا رسول الله، نذرت إن عدت من هذه الغزوة سالما منتصرا، أضرب الدف على رأسك، فتبسم رسول الله ﷺ. وقال : افعلي، فجعلت ترقص حوله، وتضرب الدف، وهو لا ينهاها، حتى انصرفت، والرجل الذي توجه إلى مكة للحج والزيارة، فلما أبصر البيت صار يرقص ويقول : من أنا؟ وعلى من أقبلت؟ وفي ضيافة من أنا؟ ثم قرأ لنا بيتي القاضي عياض رحمه الله :

(ومما زادني طربا وتيها ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمدا لي نبيا)

وبعد هذا الإملاء، وهذا الحوار قال أحد العلماء الحاضرين والله إننا مقصرون، نشتري الكتب ولا نطالعها.

وعلى القراء أن يراجعوا الكتاب المذكور حيث أشير إلى ذلك.

---

(1) المرأة اسمها : (سديسة) مولاة حفصة (رضي الله عنها)

الخاتمـــــة:

سيدي محمد الطاهري عالم متمكن، حافظ لعلوم الدين تخصصه علم التوحيد والعقائد، وعلم المنطق الذي هو علم الكلام، أما الفقه على مذهب إمامنا مالك رحمه الله، فحدث ولا حرج، إلى جانب العلوم العربية من نحو وصرف وإملاء وبلاغة، فهو رحمه الله لا تفوته نادرة من نوادر هذا الفن الذي - هو في الحقيقة - المفتاح لكافة العلوم، سواء ما جاء منها على القياس وما أتى شاذا، ووالله إنه كثير الشبه بالأصمعي عبد الملك بن قريب، أو صاحب كتاب الفصيح إمام العربية أبي العباس (ثعلب) المتوفى عام 291 هـ.

أو من جاء بعدهم، كالجاحظ، وابن جني، وابن قتيبة، والزمخشري إلى ابن مالك وابن هشام الأنصاري وابن أجروم المغربي الفاسي.

وبالإضافة - كذلك - إلى علم الحساب - الرياضيات - فهو رحمه الله يحفظ: (الروضة اليانعة في أصول الجامعة)، يحول الكسر العشري إلى الكسر العادي، والعكس. أما علم الموارث، فمتى ذكرت له فريضة من الفرائض إلا ونطق قائلا، (المسألة من كذا وكذا) من غير أن يلتجئ إلى العمليات الحسابية، فهو رحمه الله صندوق من العلوم المختلفة، رحمة الله عليه رحمة واسعة. هـ



سيدي
عبد الله كنون

العلامة الجليل، الأديب المشارك، صاحب التأليف البديعة ذات الصيت الذائع سيدي عبد الله بن سيدي عبد الصمد بن سيدي التهامي ابن المدني كنون الحسني أطلقوا عليه أخيرا أستاذ الجيل، أعماله ومنجزاته في ميدان الثقافة، تفوق كثيرا عن الأيام والشهور والسنون التي عاشها، ولادته - رحمه الله - كانت يوم 30 شعبان عام 1326 هـ 1906م في مدينة فاس ووفاته رحمه الله كانت يوم الأحد 5 ذي الحجة الحرام عام : 1409 هـ الموافق : 9 يوليوز سنة 1989م بمدينة طنجة موطنه ومقر سكناه، ويوافق يوم وفاته يوم ذكرى ستين سنة عمر جلالة الملك الحسن الثاني، وعمره رحمه الله ثمانية وسبعون عاما، مؤلفاته تزيد عن مائة مؤلف خمسون منها: سلسلة (ذكريات مشاهير رجال المغرب) وهي لشخصيات مغربية شهيرة بدءا بعبد العزيز الفشتالي، وانتهاء بأبي الحسن المسفر وسلسة ذكريات مشاهير رجال المغرب عبارة عن دراسة مختصرة لعلماء وأدباء وشخصيات لها دورها في الحقل الثقافي والسياسي والاجتماعي، وأشهر كتبه : (النبوغ المغربي في الأدب العربي ضاهى به كتاب الشرق كأحمد حسن الزيات في كتابه : (تاريخ الادب العربي) ومارون عبود - في كتابه : (أدباء العرب) والشيخ علام سلامة في (معراج البيان) ومحمود عاطف ومن معه (في أدبيات اللغة العربية).

وباقي كتبه الأدبية : (خل وبقل) و(التعاشيب) و(أحاديث عن آداب المغرب الحديث) و(أدب الفقهاء)، و(أزهار برية) و(العصف والريحان)، و(لقمان الحكيم) و(أشداء وأنداء) و(أنجم السياسة) و(القاضي عياض بين العلم والأدب)، و(أحمد زروق دفين مصراته) بليبيا، والقائمة طويلة. فهو رحمه الله علامة مطلع، وغائص ماهر، ومشارك متمكن، وله أعمال في الحقل الثقافي، نذكر من ذلك تأسيسه لمجلة (لسان الدين) بمدينة تطوان عاشت ثماني سنوات 1946-1955م، ثم رئيس تحرير (مجلة الأنوار) وجريدة (الميثاق) الشهيرة، وهي أشبه كثيرا بجريدة البصائر التي كان يصدرها الشيخ البشير الإبراهيمي في القطر الجزائري الشقيق، حتى في حجمها وصفحاتها، وجريدة الميثاق لا تزال تناضل، وتواصل العمل الذي بدأه الشيخ كنون بعد إدخال تعديل على اسمها وعنوانها بـ (ميثاق الرابطة) وقد بلغ الرقم إلى هذا الوقت 1140م كما أصدر رحمه الله في السنوات الأخيرة قبل وفاته مجلة (الإحياء) وقد صدر منها قيد حياته اثنى عشر عددا وكانت تصدر عددا في كل ثلاثة أشهر، لكن صارت الآن عددين في السنة فقط، تصدر مرة في كل ستة أشهر.

ومن أعماله -رحمه الله- سعى لتأسيس منظمة : (رابطة علماء المغرب) سنة 1961م وتولى رئاستها بإجماع العلماء، وكلما عقد الاجتماع السنوي للرابطة جددوا له البيعة في تسيير هذه المنظمة المباركة، وكان له دور كبير وشراكة في منظمات إسلامية وعربية، منها: عضو في المجلس العلمي العربي بدمشق، وعضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وعضو مؤسس في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضو شرفي في مجمع اللغة العربية بالأردن، وفي المجمع العلمي العراقي وعضو بهيئة القدس العلمية.

وداخل وطننا: عضو بالمجلس العلمي بتطوان، وعضو بالمجلس التنفيذي لمكتب تنسيق التَّعْريب، وعضو في أكادمية المملكة المغربية ورئيس المجلس العلمي بطنجة وأعمال أخرى يضيق المقام عن ذكرها.

منح عددا من الأوسمة تقديرا لأعماله من المسؤولين داخل المغرب وخارجه.

اتصالي به، وزيارتي له، استقبلني رحمه الله في منزله بحي القصبة رقم 39 بمدينة طنجة المرة الأولى كانت في صيف 1977م وكان أول اجتماعي به في مكتبته الغنية والتي أوقفها وجعلها حبسا في مدينة البوغاز على رجال الثقافة والعلم، وكنت أظن – حين غامرت وعزمت على زيارته – أن أجد رجلا قويا شديدا ذا هيبة، لكن بجلوسي معه قليلا، وجدت الشيخ كنون متفتحا بشوشا، يحدثك وكأنه من معارفك من سنوات وأعوام، ومما جرى بيني وبينه في هذه الزيارة، بدأت أنظر في مكتبته قبالة ويمينا وشمالا، ثم قلت له سيدي من مؤلفاتك التي تنقصني: (خل وبقل) أجابني رحمه الله: إن نسخة هنا بين الكتب، متى عثرنا عليها نقدمها للطبع، كما فعلنا مع كتاب آخر طبعناه ثانية، قلت له سيدي تقصد : (التعاشيب) فإني قد اشتريته وطالعته، فسر بذلك كثيرا، ثم قلت له : استسمحك لما سمعت أن عندكم كتابا اسمه التعاشيب، تصورت في ذهني أنكم توجهتم إلى رؤوس الجبال فقطفتم بعض التعاشيب مثل الصعتر، وفليو، والخزامى والنبطة وأزير، ولكني وجدت أنكم عصيتم -أعطيتم العصا-.

هكذا عبرت آنذاك، الأستاذ أحمد توفيق المدني، وقد نقده في مسالة هي في صفحة 134-136 من كتاب التعاشيب، فقال لي -رحمه الله- من هو أحمد توفيق المدني، أجبته : أنتم نقدتموه وتسألونني عنه، -ويظهر لي إنه أعجب كثيرا- وقصصت عليه معرفتي به في عاصمة الجزائر، ثم قال لي : أنا ما تعرفت عليه ولا اتصلت به شخصيا، إلا أنه كلما اصدر مؤلفا جديدا أرسل به إلي.

وأعامله بالمثل أرسل له بعض مؤلفاتي، ورجال الثقافة والعلم تلتقي أرواحهم، قبل أن تلتقي أجسادهم وأشباحهم، سنة الله في خلقه.

والموضوع الذي نقد فيه الأستاذ أحمد توفيق المدني، هو في صفحة 20 من كتابه: (كتاب الجزائر) حين عبر عن تأسيس المولى ادريس الأكبر لمدينة فاس، 172هـ وفاس

لم تؤسس إلا في: 192 هـ من طرف المولى ادريس الأزهر، وذكر انتشار مذهب الإمام مالك رضي الله عنه بالمغرب، والحقيقة في انتشار هذا المذهب كان بعد هذا التاريخ، لأن وفاة الإمام مالك كان عام: 179هـ، وبواسطة عبد الرحمن ابن القاسم المتوفى عام: 126 هـ والإمام سحنون عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي المتوفى عام: 240 هـ جاء وأوصل المذهب المالكي إلى المغرب.

إذن فسيدي عبد الله كنون كان شديدا ودقيق الملاحظة والنقد، لا يترك جزئية من جزئية التاريخ أن تفوته.

وأكرمني رحمه الله بكتابين اثنين، أحدهما : (أنجم السياسة) فيه خمس قصائد شعرية (1) قصيدة أنجم السياسة (2) قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب عائشة الصديقية (3) القصيدة الشقراطيسية في مدح المصطفى (ﷺ)، (4) تائية أبي إسحاق الألبيري، (5) نونية أبي الحسن المسفر.

ثانيهما، (النسق الغالي والنفس العالي) وهو لوالده سيدي عبد الصمد كنون.

وبينما أنا معه في حديث الكتب، قلت له: سيدي، ألا تزيدوننا من فاكهتكم الشهية (ذكريات مشاهير رجال المغرب) فأعجبه ذلك، وقال لي: كم عندك منها؟ قلت له: أربعون عددا قال لي: قد أرسلت إلى لبنان عشرة أعداد وأخاف أن تكون قد ضاعت، بسبب الحروب الأهلية هناك.

ثم زرته في العالم الموالي : 1978م، وقدمت له هدية متواضعة، وسر بها، وحين تناولت عنده كؤوس الشاي، وبعض توابع الشاي، تناولت حبة (كعب غزال)، وها هو يتناول ثانية ومد بها إلي، فقلت له، (لا) يكفيني، فقال لي رحمه الله: - وهذه ليست لك، وإنما هي لشيخنا سيدي الفقيه الطاهري، تأكلها عنه بالنيابة، فما علي إلا أن تناولتها وأكلتها.

وحين عدت إلى فاس، أخبرت شيخنا سيدي محمد الطاهري، وقلت له إني غصبتك، قال لي فيما غصبتني قلت أكلت حبة كعب غزال نيابة عنك، فضحك، وقال: إن سيدي عبد الله كنون أديب ولبق، قلت له: سيدي ما معنى: (لبق) أجابني: حاذق، وصاحب حكمة وظرافة، وهو كما وصف، وزارنا في فاس عند سيدنا الفقيه الطاهري، مرات، حاولت أن يتشرف عندي في منزلي، إلا أنه كان يعتذر، ولم يتيسر ذلك، وكنت أراسله حينا بعد حين، وما ثبت أن تخلف يوما عن الجواب، وتحت يدي للساعة خمس رسائل، احتفظ بها، واعتز بوجودها عندي وها أنا أثبت إحداهن بالصورة، على صفحات هذا الكتاب، كدليل على علاقتي بالشيخ كنون رحمه الله.

وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم :

طنجة في 20 صفر 1405هـ

المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

المجلس العلمي الإقليمي، بمدينة طنجة.

أخانا العلامة الأستاذ سيدي محمد العزوزي حفظه الله.

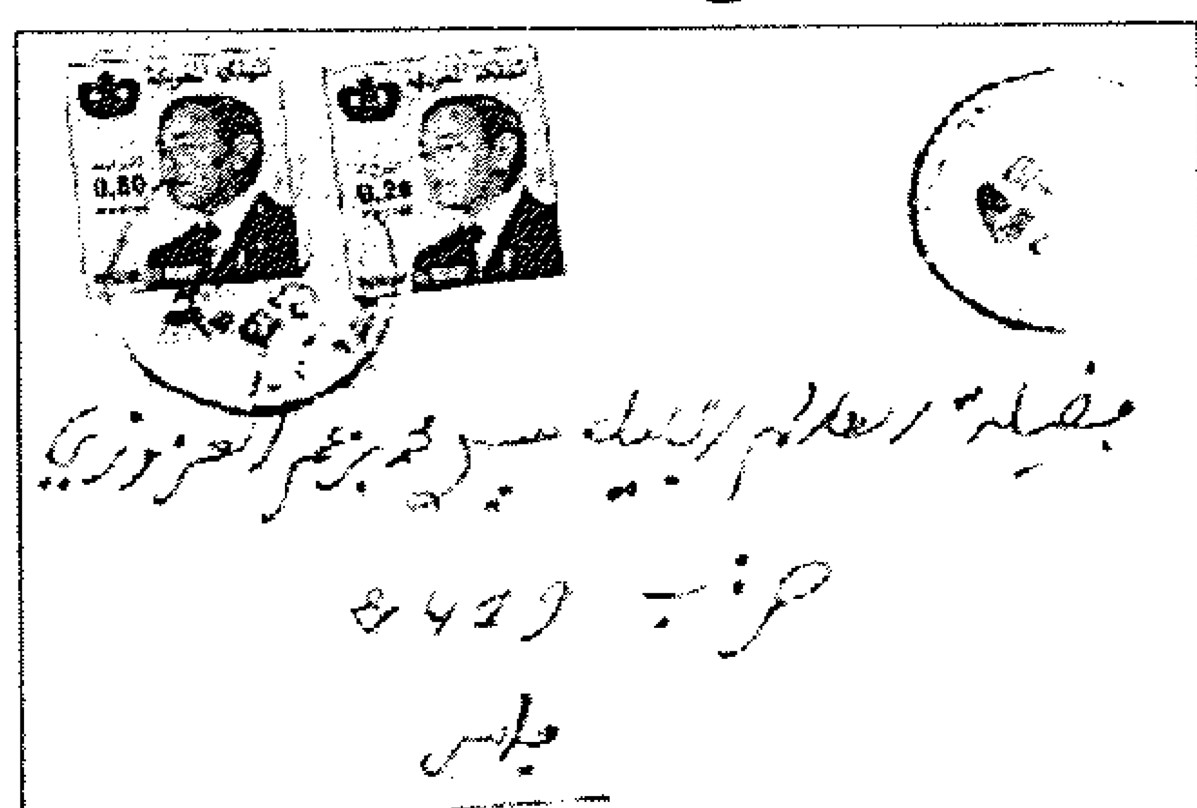
السلام عليكم ورحمة الله

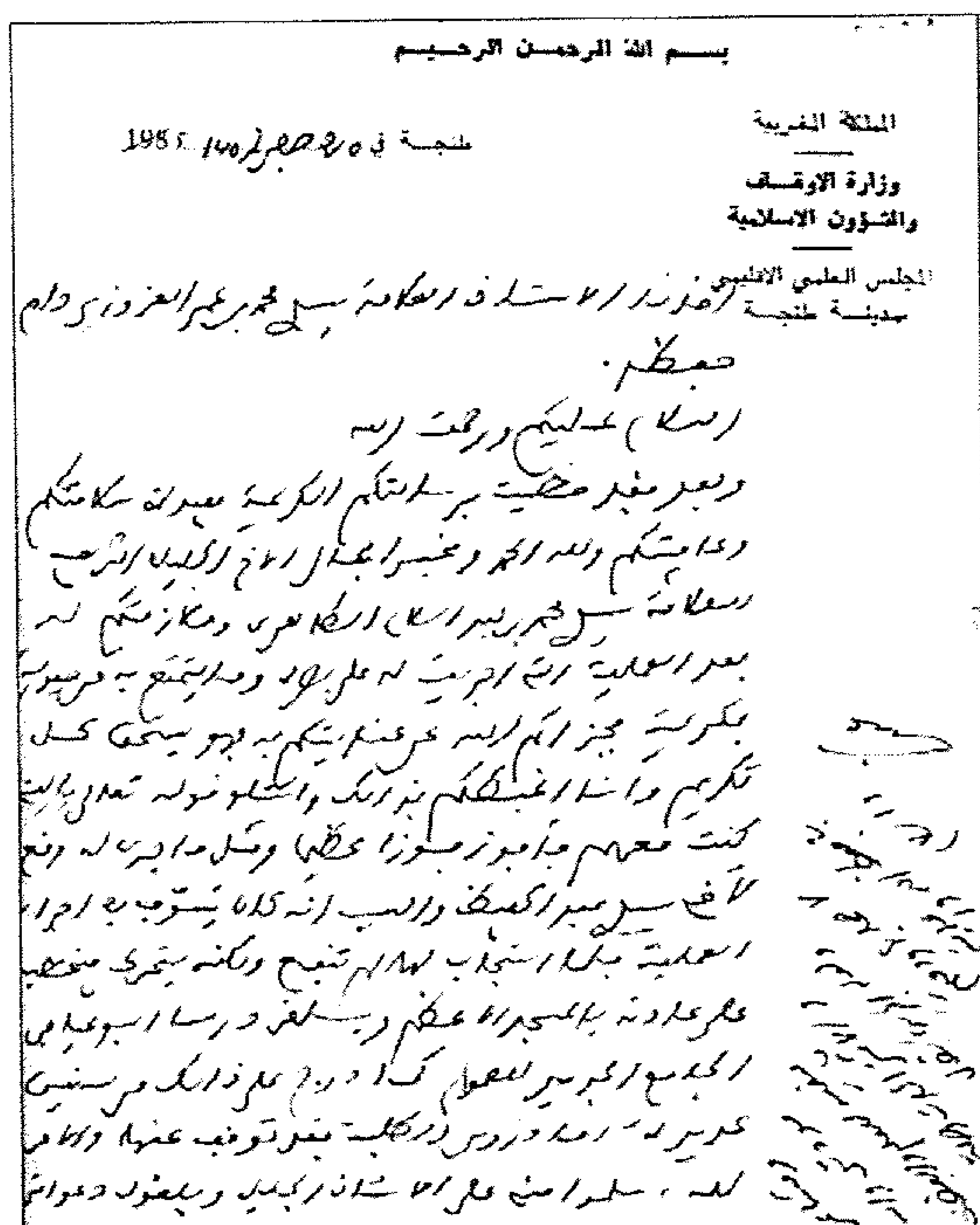
وبعد : فقد حظيت برسالتكم الكريمة،...مفيدة سلامتكم وعافيتكم، ولله الحمد، مخبرا بحال الأخ الجليل الشريف العلامة سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري، وملازمتكم له بعد العملية التي أجريت له على بصره وما يتمتع به من حيوية فكرية، فجزاكم الله على عنايتكم به، وهو يستحق كل تكريم وأنا أغبطكم بذلك، وأتلو قوله تعالى : ﴿يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾، النساء 73.

ومثل ما جرى له وقع لأخي سيدي عبد الحفيظ والسبب أنه كان يتشوف في إجراء العملية، فلما استجاب لها لم تنفع، ولكنه يتحرك، فيخطب على عادته بالمسجد الأعظم، ويلقي درسا أسبوعيا في الجامع الجديد للعموم، كما درج على ذلك من سنين عديدة، أما دروس الطلبة فقد توقف عنها، والأمر لله، سلموا مني على الأستاذ الجليل، وبلغو له دعواتي ومشاعر مودتي، والله يبقيه للعلم والفضل.

والاشتراكات وصلت، ولعل الجريدة تصل لأصحابها، ودمتم في حفظ الله ورعايته والسلام.

لتوقيع





بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
المجلس العلمي الاقليمي مدينة طنجة

طنجة في

السلام عليكم ورحمة الله

وسيدي عبد الله كنون واسع الاطلاع، خفيف الروح، علمت أنه دخل المستشفى وأجريت له عملية جراحية بعدها زاره العلامة الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي، فجرت بينهما مساجلة شعرية، في المؤسسة الصحية (المستشفى) قال الشيخ كنون: (ومستشفى ليس به شفاء).

فأجاز الدكتور الهلالي قائلا : (فداخله يعاجله الفناء) فقال الشيخ كنون : (إذا حققته أبدلت شيناً) فقال الهلالي : (بواو وهي في التصريح فاء).

والبيتان هكذا :

(ومستشفى ليس به شفاء فداخله يعاجله الفناء
إذا حققته أبدلت شيناً بواو وهي في التصريف فاء)

ويذكر علماء الأدب أن المساجلة نوع من الشعر لا يوجد إلا عند العرب، يبدأ أحدهم الشطر ويتمم الآخر الشطر الثاني، فيحصل المعنى تاما، وفي نفس المعنى حصلت مساجلة بين خليفة وشاعر، قيل إن الخليفة عبد المومن بن علي الكومي ولد 487 هـ وتوفي 558 هـ عاش 71 عاما حكم منها 34 عاما من موت محمد بن تومرت عام 524 هـ الى وفاته، 558 هـ والشاعر هو أبو جعفر بن عطية، كانا يسيران في أحد شوارع مراكش فرأى عبد المومن فتاة جميلة تطل من شباك نافذة بيتها فأنشد قائلا:

(قدت فؤادي من الشباك إذ نظرت)

فأجاز ابن عطية :

(حوراء ترنوا الى العشاق بالمقل)

فقال عبد المومن :

(فكأنما لحظها في قلب عاشقها)

فأجاز ابن عطية :

(سيف المؤيد عبد المومن بن علي)

إنها موافقة عجيبة، وتعبير صادق له مغزاه العميق، والبيتان يقرآن هكذا :

(قدت فؤادي من الشباك إذ نظرت حوراء ترنوا الى العشاق بالمقل
فكأنما لحظها في قلب عاشقها سيف المؤيد عبد المومن بن علي)

وعلى ذكر النافذة والشباك ومن يطل منهما، قيل إن رجلا ركب حمارا له وسار في أحد دروب مدينة من المدن (وقيل إنها بغداد)، فرأى فتاة جميلة تطل من شباك نافذة بيتها، فقال :

(قلت للمليحة وهي بالطاق يا مليحة:.........................[1])

(أشارت برأسها وأجابت أيها العاشق المتيم: ....[2])

(ومذ سمعت الجواب قلت لجحشي قد يئسنا من المليحة: ....[3])

وهذا النوع من الكلام أو الشعر فيه من أسماء الأصوات التي يحصل به المعنى، ولا يكتب ولا يقرأ :

سيدي عبد الله كنون منذ وفاته 1989م 1409هـ صار شغل الشاغل للكتاب والادباء، يقيمون كل سنة ندوات، ويكتبون عنه مقالات، فهو حي لا كميت، عكس ما يقولون في غيره : (فهو حي كميت والسلام).

وبوفاته وانتقاله إلى جوار ربه، لم يوجد من يخلفه في منظمته التي أسسها وعمل على إثبات وجودها ألا وهي منظمة (رابطة علماء المغرب) التي نرجو لها البقاء والدوام.

بعد وفاته أسندت رئاسة هذه المنظمة للعلامة المفسر الشيخ المكي الناصري، لمدة أربع سنوات.

وبوفاته هو بدوره - أسندت الرئاسة لأستاذنا ورفيقنا الحاج أحمد بن شقرون.

وبوفاته رحمه الله يوم الأحد 5 جمادى الأولى عام 1421 هـ الموافق 6 غشت سنة 2000م، استمر في تسييرها نائبه الشيخ ماء العينين لاراباس، إلى يوم 10 رمضان عام

---

(1) .... يشير بشفتيه طالبا للقبلة منها.

(2) .... أشارت برأسها يمينا وشمالا إنها تمتنع عن طلبه.

(3) .... يلفظ من لسانه كلاما غير مقروء، ويأمر حماره بالسير، حيث لم يلب طلبه. وهذا نوع من الأدب.

1426هـ أكتوبر سنة 2006م حين عين جلالة الملك سيدي محمد السادس العلامة الجليل الحاج سيدي أحمد لحبابي، قضى فيها عاما وثمانية أيام حيث توفي رحمه الله يوم 18 رمضان عام 2007هـ، وعين جلالة الملك على هذه المنظمة العلامة السيد أحمد عبادي، وصار اسمها : (الرابطة المحمدية لعلماء المغرب).

ومجلة : (الإحياء) لا تزال تواصل عملها- بعد أن أدخل عليها بعض التحسينات في الشكل والمضمون، أما جريدة ميثاق الرابطة فقد صارت تنشر على آلة (الانترنيت)، يطلع عليها من يملك هذه الآلة، أو يتوجه إلى مقرها في الأسواق والدكاكين.

وما بقيت تصل إلى أصحابها كما كانت في عهودها الأولى.

سيدي عبد الله كنون عاش ثمانية عقود وعامين اثنين، إنه عمر قصير، ولو عاش وطال عمره أكثر لقدم للعلم خدمة جليلة، وللأمة الإسلامية عطاء كثيرا، فرحمة الله عليه رحمة واسعة. آمين.

وهاتان صورتان تنشران مع ما كتب عليهما، إثراء للكاتب، وإثراء لحياته.

هذه صورة
تذكارية لملك وعالم



صورة جمعت الملك الحسن الثاني والعلامة سيدي عبد الله كنون في إحدى المناسبات، وكلاهما مرحب بالآخر.

والملك الحسن الثاني بلباسه الأوربي وسيدي عبد الله كنون بلباسه المغربي التقليدي، الأول رجل السياسة والدهاء، وبعد النظر في أمور الدنيا، وتسييس الملك وشؤون الرعية. والثاني رجل العلم ورجل الدين والحكمة، والرأي الصائب، فالعلماء ورثة الأنبياء، وهم في الأرض كالنجوم في السماء، ورد عن أحد العلماء وكان ضريرا في عهد هارون الرشيد، قال : (العامة تخدم الأمراء، والأمراء يخدمون العلماء).

وصورة أخرى للشيخ كنون



سيدي عبد الله كنون يتوسط جماعة من رجال الثقافة والعلم، أربعة عن يمينه، وثلاثة عن شماله، وجانب من مكتبته التي وهبها وجعلها حبسا على طلبة العلم في مدينة البوغاز، طنجة الفيحاء، عروسة الشمال، إنه عمل يعود على صاحبه بالأجر والثواب ولو بعد موته، مصداقا لقول رسول الله ﷺ:

(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، وولد صالح يدعو له، وعلم بثه في صدور الرجال).

وسيدي عبد الله كنون خدم العلم في حياته وها هو يخدمه بعد مماته، رحمة الله عليه رحمة واسعة.

شيخ الإسلام سيدي محمد بن العربي العلوي
مع الممثل المصري : يوسف وهبي



شيخ الإسلام سيدي محمد بن العربي العلوي، المقدام المتحدي المجدد، السلفي المناضل، من الأسرة العلوية الشريفة، ينتمي نسبه إلى المولى علي الشريف دفين سجلماسة، أو تفيلالت، إحدى المدن السبعة القديمة التي تبتدئ بحرف التاء، ولادته عام: 1301هـ بمدغرة من قرى واد زيز في الجنوب المغربي، استظهر القرآن الكريم وهو في مرحلة الطفولة فتألقت نفسه إلى أخذ العلم من منبعه الأصيل، فقصد جامع القرويين بفاس، وكان يقطن بالمدرسة المصباحية ومن شيوخه الذي أخذ عنهم: سيدي عبد السلام بن محمد بناني خطيب مسجد الضريح الإدريسي، وهذا العالم توفي رحمه الله عام 1329 هـ، وأخذ كذلك عن العلامة سيدي محمد بن سيدي محمد بن عبد السلام جنون، وعلى العلامة سيدي أحمد بن الخياط، وعلى شيخ الجماعة سيدي أحمد بن الجيلالي المغاري، وعلى الشريف سيدي أحمد بن المامون البلغيثي، وعلى سيدي المهدي الوزاني وعلى سيدي محمد بن جعفر الكتاني وآخرين، وهؤلاء هم أساطين العلماء في جامعة القرويين، وإليهم جميعا يرجع الفضل في نشر العلوم العربية والإسلامية في هذه البقعة من أرض العروبة والإسلام فكانوا رحم الله الجميع الخلف للسلف، ثم صاروا بعد ذلك السلف للخلف.

من وظائفه رحمه الله تولى العدالة بفاس الجديد 1330هـ ثم قاضيا بها 1333هـ، ثم رئيس مجلس الاستئناف الشرعي بالرباط 1346هـ ثم وزيرا للعدل عام 1359هـ وأثناء هذه المهام كان يتعاطى خطة الإفتاء، وكان يجتهد ولا يقلد.

ومن مواقفه المشرفة رفض البيعة لابن عرفة، وأفتى بقتله، تطبيقا للحديث الشريف : (إذا بويع لاثنين، فاقتلوا الثاني منهما، وبسبب موقفه هذا ومعارضته للسياسة الفرنسية نفاه هؤلاء إلى القصابي قرب ميدلت أولا ثم إلى قصر السوق ثانيا، وبعد مضي سنتين عاد إلى فاس، وعندما أقدمت فرنسا على خلع الملك الشرعي للبلاد، فرضت عليه الإقامة الإجبارية في منزله بدرب الورد بالمدينة الجديدة، ومنع من الاتصال بالناس، واتصال الناس به، ثم نفي للمرة الثالثة إلى مدينة تزنيت في الجنوب المغربي بأرض سوس، ولمدة عام أعيد إلى فاس، وشرع يلقي الدروس بجامعة القرويين، وتصدى لمحاربة الأوهام والأباطيل والخرافات وتأثره - كثيرا- بأفكار شيخ الإسلام ابن تيمية ت 728هـ، وتلميذه ابن قيم الجوزية ت 751هـ.

وحين فك الله أسر المغرب من أيدي الاستعمار بعد فترة المقاومة وجيش التحرير، وعودة ملك البلاد مظفرا منصورا، عين وزيرا في مجلس التاج، وذلك عام 1376هـ 1956م، ثم قاضيا شرعيا بالقصر الملكي، كما عين في لجنة مدونة الفقه الإسلامي، إلا أنه حضر جلسة واحدة، ثم قطعها، ولم يوقع على البنود التي أصدرتها تلك اللجنة لمصادمتها مع بعض أفكاره المتحررة، وفي 16 شعبان 1379 هـ سنة 1959م قدم استقالته من مجلس التاج، وعاد إلى منزله في فاس، اتصالي به، لما كنت في عاصمة الجزائر 1950-1954م كان يسألني عنه بعض أعضاء الجمعية، فأقول لهم لا أعرفه، لأن جمعية العلماء في الجزائر منحوه الرئاسة الشرفية للجمعية.

وبعد رجوع ملك البلاد سيدي محمد الخامس إلى عرشه بعد المنفى السحيق، بدأت الوفود العربية والإسلامية تحج إلى الرباط، ومن هذه الوفود، وفد جمعية

العلماء ويمثل في أربعة أعضاء، هم : الشيخ العربي التبسي نائب الرئيس، والشيخ عبد اللطيف سلطاني مدير مركز الجمعية وأمين مالها، والشيخ محمد خير الدين الذي صار بعد ذلك، ممثل جبهة التحرير في المغرب، ورابعهم صديقنا الأستاذ أحمد توفيق المدني، وفي مدينة الرباط، وقع اتصال بيني وبين هذا الوفد في أحد فنادق الرباط، لكن الثلاثة الأولين فقط أما الأخير أحمد توفيق المدني فقد وجدته قد عاد إلى الجزائر لأداء بعض مهامه، وقد فرحوا بزيارتي لهم، وألقيت عليهم سؤالا متى تعودون إلى أرض الجزائر، فقال لي الشيخ خير الذين إننا سنزور مدينة مكناس، ومدينة فاس في الأيام الثلاثة القادمة، فقلت لهم: إني أدعوكم لزيارة مدينة تازة وهي في طريقكم، فوافقوا على ذلك، وعدت إلى تازة مسرعا، واتصلت بأعضاء حزب الاستقلال وعلى رأسهم الإخوة الكرام أبناء أبي عبد الله،

كما اتصلت بالإخوة الجزائريين المقيمين بتازة، أذكر منهم صديقنا السيد عبد المجيد مزيان عمل أخيرا عضوا في أكاديمية المملكة المغربية، وقد توفي رحمه الله من سنوات قريبة، وكان يحبني محبة عظيمة رحمة الله عليه رحمة واسعة، وبالأخ عزوز لجريري، وهو من مدينة المشرية، وعمل في الأمن الوطني برتبة كوميسير سنوات، وقد توفي رحمه الله، وآخرين، وعملت على الجمع بين الطائفتين أعضاء حزب الاستقلال من أهل تازة، والإخوة الجزائريين فرتبوا كيفية الاستقبال، وترتيب الضيافة، وحين علمنا بوصول الوفد إلى فاس، جئنا من تازة في وفد يتكون من سبعة أفراد، في سيارتين، ووقع الاتفاق في تازة أن ندعو مع هذا الوفد شيخ الإسلام سيدي محمد بن العربي العلوي، وزرناه في منزله، وتناولنا عنده كؤوسا من الشاي بعد صلاة العصر، وأعجبت به كثيرا، وحصل لي من السرور مالا يعلم مداه إلا الله، ووافق على هذه الدعوة، واتصلنا كذلك بالوفد المعني بالأمر في فندق ستيام، وأنا الواحد الذي صعد عندهم إلى غرف الفندق، ووقع الاتفاق أن السفر يكون في الغد عند الساعة الثامنة صباحا وقضينا تلك الليلة نحن الأفراد السبعة في فندق (باريس) بشارع محمد الخامس القريب من محطة وفندق (ستيام).

وصحبنا من فاس عدد من الإخوة الجزائريين، أذكر منهم الترجمان المحلف صديقنا: السيد فريكالي خطاب، قال لي رحمه الله أنه من مدينة قسنطينة، وأذكر كذلك منهم: الدكتور دامرجي وهو من مدينة تلمسان، وهذا عين من طرف المسؤولين في الجبهة أن يتوجه إلى ساحة المعركة، وبوصوله إلى الحدود الجزائرية المغربية قتل شهيدا رحمة الله عليه رحمة واسعة، وخرج الوفد من فاس في الصباح في الموعد المحدد وكان الاستقبال في تازة على مستوى أعلى تناول الجميع طعام الغداء في دار أولاد أبي عبد الله بحي باب الزيتون وطعام العشاء في دار أولاد الحاج الصديق بباب الريح، وألقيت عدة كلمات من طرف هؤلاء العلماء، وحصل لأهل تازة فرح عظيم لتشرف مدينتهم بهؤلاء العلماء مما زاد في محبتهم وإكرامهم لي، لأني كنت السبب والداعي لهذه الزيارة وهذا اللقاء، والأحداث - عادة تأتي عن موعد وعن غير موعد، وبعضها يأتي صدفة فقط، واذكر أن الشيخ محمد خير الدين لما وقف ليلقي كلمة في الحاضرين - والحديث وقتذاك - كان على الجهاد والقتال وعلى الاستعمار والانتصار عليه، مما جاء في قوله رحمه الله (نحن في الجزائر عندنا أن قيام الساعة يكون عند طلوع الشمس من مغربها) واليوم نقول : (إن قيام ساعة الاستعمار وأفول نجمه، هو محمد بن يوسف ملك المغرب، حين عودته ورجوعه من منفاه، مما جعل الحاضرين يصفقون تصفيقا كاد أن لا ينتهي حتى طلب مني رحمه الله حيث كنت قريبا منه أن أقول لهم بواسطة مكبر الصوت أن يكفوا عن التصفيق فقمت وقلت باللفظ : (الشيخ يقول لكم بارك من التصفيق) إنها ذكريات وأحداث.

وكان أهل تازة قد هيأوا دار النوم العلماء، في تلك الليلة. وهي دار الحاج عبد القادر الصنهاجي قريبا من درب الزاوية، وهيأوا أربع أسرة، الرابع لشيخ الإسلام سيدي محمد بن العربي العلوي، إلا أن هذا الأخير عاد إلى فاس في تلك الليلة، فجعلني أهل تازة أنام في سريره، ولكي أخدم السادة العلماء الباقين. ومن تازة توجهوا الى وجدة ثم الى بلدهم الجزائر.

عبد ربه - هذا - يلتحق بجامعة القرويين

وبعد نهاية أعمال جيش التحرير، وفي مدينة الرباط اقترح على أحد الصالحين أن التحق بالقرويين بفاس لمواصلة الدراسة، أفضل لي من الولوج والالتحاق بما كان يمنح آنذاك لأفراد جيش التحرير من الوظائف كجندي أو كشرطي أو كمخزني، لأن المسؤولين - آنذاك - الذين هرعوا إلى ميدان السياسة، والى تسلم السلطة من أيدي الفرنسيين كان هدفهم الأول أن يتخلصوا من هؤلاء البسطاء الذين حملوا السلاح لشهور قليلة وجاءوا بالاستقلال، ويجب أن يوقفوا هنا ولا يتعدوا هذه المهمة، وخصوصا أنهم من منطقة الريف.

وفي فاتح أكتوبر سنة 1956م أتيت إلى جامعة القرويين واختبرت أولا في حفظ القرآن، ثم في بعض المواد العلمية من نحو وصرف وفقه وسيرة، وتاريخ، فوفقت ولله الحمد، ثم شرعت في الدراسة مع إخوان لي من الطلبة أتوا من كل فج عميق، وفي الأيام الأولى شرعت وتوجهت لزيارة شيخ الإسلام سيدي محمد بن العربي العلوي في منزله بدرب الورد، ويدعى كذلك: طريق عين الشقف، وكان معجبا بي - رحمه الله - خصوصا حين يسألني عن ارض الجزائر وعلمائها، فأجيبه، سألني يوما قائلا لي: أسألك عن احد العلماء - إني نسيت اسمه - وقد زارني هنا، قلت له، سيدي صفه لي: قال كان من أعضاء جمعية العلماء، إلا أنه انسحب منها، فأجبته توا، أنه الشيخ (السعيد الزاهري)، ثم أردفت قائلا: إنه يلبس جلبابا مغربيا، وعلى كتفه برنس، وفوق رأسه طربوش أحمر وغالبا في جل الأوقات في فمه لفافة سيجارة يدخنها وضحك رحمه الله وأجابني في هذه الأخيرة مثلي، وكان رحمه الله هو بدوره يسف سيجارة التبغ بجعلها في أنبوبة طويلة تزيد قليلا عن أصبع الإنسان، ثم قال لي وكيف تعرفت عليه؟ قلت: سيدي بعد انسحابه من جمعية العلماء التحق بصاحبه الشيخ الطيب العقبي في (نادي الترقي) الكائن عند ساحة الشهداء، فقال

لي : تحدث لي عن الشيخ الطيب العقبي قلت له سيدي إنه من اكبر علماء الدنيا، إنه بحر لا ساحل له، فهو يحاضرنا في نادي الترقي كل مساء يوم الخميس وقد علق وراء كرسيه في إطار زجاجي : الآية القرآنية الآتية : (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله) فأعجبه رحمه الله حديثي هذا فقال لي : كل يوم جمعة إيت لتتغدى معي، وأكلت من طعامه كثيرا رحمة الله عليه رحمة واسعة.

ويوم الجمعة حين أزوره أجد عنده - دائما - من 6 إلى 10 أفراد نتناول الطعام جميعا، كثيرا ما كانوا يمزحون معه، سأله يوما أحدهم قائلا له: (هل سمعت فلانا - نسيت اسمه -) كان قبل يومين يلقي درسا في تاريخ المغرب بالإذاعة في الرباط قائلا : إن المغاربة أبوهم سيدنا المولى إدريس وهو عربي، وأمهم السيدة كنزة وهي بربرية، إذن فالمغاربة هم عرب وبربر في آن واحد لما سمع ما قال هذا المؤرخ، أجاب: (الرجل يكذب حتى يصدقه الناس، فإذا صدقه الناس، صدق نفسه فيصبح ذلك تاريخا يقرأ، فضحك الجميع)، وجرى حديث بين ضيوفه - والحديث ذو شجون - في السياسة والثقافة والتقدم العلمي، وما وصلت إليه أمم الغرب من الاختراعات والتكنولوجيا، وحيث العرب والأمم الإسلامية لم تصل لشيء بعد، فقاطعهم رحمه الله، قائلا : (حين كانت الأمم تفكر، وشرعت تخترع، نحن العرب شرع احدهم يكتب كتابا من أربعمائة صفحة، في لفظة: ألبته) أهمزتها وصيلة أم قطيعة؟ فأسرعت أسأل، وقلت سيدي : ماذا أثبت هذا المؤلف؟ أهي قطيعة أم وصيلة؟ فأجابني رحمه الله: مازال لم يتوصل إلى النتيجة الحتمية، وأردف قائلا : (... اتفقوا على ألا يتفقوا) يشير رحمه الله إلى ما ينسب لابن خلدون، في مقدمته، وهذا مثل مشهور عند رجال الثقافة والعلم، يرددونه حينا بعد حين، وهكذا والصورة التي أثبتها حصلت عليها من أحد الأصدقاء جمعت بينه وبين الممثل المصري الشهير (يوسف وهبي)، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن صيت الشيخ ذائع عند كامل الطبقات، وحتى عند الممثلين أمثال يوسف وهبي، الممثل المقتدر.

وبعد عمر مديد، مليء أخذا وعطاء، وكفاحا بالنفس والنفيس، وجهادا في سبيل الله، بلغ 83 عاما بدءا من ولادته عام 1301هـ وانتهاء بوفاته: 1384هـ حين لبى داعي ربه يوم الخميس 22 محرم الحرام نفس العام، وشيعت جنازته إلى مثواه الأخير، حيث نقل بواسطة طائرة خاصة إلى الراشدية ناحية تفيلالت ومنها إلى مسقط رأسه قرية (مدغرة) ودفن إلى جانب والده العدل سيدي العربي بن محمد بن محمد بن عبد الله العلوي، رحم الله الجميع رحمة واسعة. آمين وأنا ولله الحمد، أحمده حمدا كثيرا وأشكره شكرا جزيلا أن وفقني أن أتعرف على عدد من العلماء أين ما حللت وارتحلت في الشرق والغرب وفي الحديث : (المرء مع أحب).



العلامة المشارك سيدي محمد بن عبد القادر بن سودة

العلامة المشارك المحدث المحقق الصوفي سيدي محمد بن عبد القادر ابن سودة، شيخ شيوخ مدينة فاس خطيب مسجد ضريح سيدي أحمد الشاوي، كانت ولادته بفاس يوم الجمعة 3 رمضان 1293هـ، حفظ القرآن في سن مبكرة أتقنه حفظا وتجويدا، كما حفظ عددا من المتون في علوم مختلفة، ثم شرع يغرف من العلوم المختلفة في جامعة القرويين على شيوخ عظام أمثال سيدي أحمد بن الجيلالي الأمغاري شيخ الجماعة في وقته، وسيدي أحمد ابن الخياط، وسيدي أحمد بن المامون البلغيثي وآخرين.

من أعماله ووظائفه، تعاطى خطة العدالة أولا في طنجة وثانيا في فاس، ولكن شهرته تتجلى في التدريس والإفتاء، والخطابة خطب خطبة الجمعة في المسجد الكبير بطنجة أثناء وجوده بها وفي مسجد سيد أحمد الشاوي بفاس بعد رجوعه إليها 1325هـ كما عمل واعظا بالضريح الادريسي، وهو من العلماء الذين كانوا يحضرون الدروس الحديثية التي كانت تلقى في الشهور الثلاثة رجب وشعبان ورمضان من كل عام وأمام حضرة السلطان المولى عبد الحفيظ العلوي، 1330-1325هـ.

فسيدي محمد بن عبد القادر بن سودة عالم مشارك، وصوفي متعمق في علوم الفنون، وشاعر متمكن، من أشعاره قصيدته المعقدة الألفاظ والكلمات، أنشدها – رحمه الله – بمناسبة ختم شيخه العلامة القاضي أبي العباس سيدي أحمد

بن الطالب ابن سودة ، صحيح الإمام البخاري، وذلك في 18 رمضان المعظم عام 1313هـ والقصيدة بدأها بقوله :

(سر بي وسربي سنبسا في عربس فيه الشفاء وفيه قوت الأنفس
ساذاجه كذا برفيع وشح كللا فكأنه من عبقري **السندس**
فيه المرام وحل كل مدغمس ومدهمس كمدعمس **أودهمس)**

والقصيدة من 34 بيتا، كلها على هذا المنوال، لما قرأت **البيت الأول قلت** لأستاذنا وشيخنا سيدي محمد الطاهري رحمه الله : ما يقصد بقوله : **سربي وسربي** سنبسا في عربس الخ...

فأجابني رحمه الله : سر الأولى فعل أمر وبي جار ومجرور، وسربي الثانية، الواو واو المعية، وما بعدها مفعول معه يقصد به الجماعة التي تطلق عادة على الطيور، قوله: سنبسا سيرا خفيفا، وقوله: في عربس أراد دجى الليل وظلامه ويا ليت واصلت معه السؤال في هذه القصيدة كي يتضح المعنى أكثر في باقي أبيات القصيدة.

والقصيدة من أراد الاطلاع عليها، فقد أثبتها العلامة الراحل سيدي محمد بن الفاطمي بن الحاج السلمي في كتابه : (إتحاف ذوي العلم والرسوخ...) في تراجم شيوخه ص 126.

وبعدها قصيدة أخرى من خمس وستين بيتا في مدح المصطفى ﷺ، وهي لا تقل عن الأولى في الفاظها وكلماتها، وفي نفس الوقت عبارة عن شمائله وفضائله وأخلاقه وسلوكه ﷺ.

التحق هذا العالم بربه يوم الأحد 16 رجب الفرد الحرم عام 1368هـ الموافق لسنة 1949م رحمة الله عليه رحمة واسعة لم يكتب لي التعرف عليه، لأني في هذا التاريخ كنت أعيش في أرض الجزائر، وأنا ما أتيت إلى فاس إلا في سنة 1955م مرة واحدة، وحلولا بها سنة 1956هـ والى الآن.

أما ما كتب على الصورة، فها أنا أعيده هنا للوضوح أكثر:

هذه صورة فقيد المغرب، الشيخ العلامة المشارك المحدث المحقق الصوفي، سيدي محمد بن الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر بن سودة، الذي اختطفته يد المنون في يوم الأحد خامس عشر رجب الفرد الحرام، من سنة 1368هـ موافق 16 ماي من سنة 1949م رحمه الله، وجميع المسلمين رحمة واسعة، والحقنا بهم مسلمين آمين.

والأبيات الشعرية هي كما يلي:

(وصفي فناء والبقاء لخالقي   والفخر في نادي التقى بالزاد
والعمر مهما طال ليس بنافع   فاركن لما ينجيك يوم معاد
وأرفق بجسم قد يؤول إلى الثرى   واعبر هداك الحق للإسعاد
وسل الإلاه وكن بربك واثقا   فهو الرحيم لرائح أوغال)

إنه وصف دقيق لنهاية حياة الإنسان، وقدومه على الله.



سيدي محمد الجواد الصقلي

من علماء جامعة القرويين ومن فقهائها المتضلعين وخصوصا في فقه الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، رضي الله عنه ورحمه الشريف العلامة سيدي محمد الجواد بن عبد السلام الصقلي الحسيني.

أجداده قدموا من جزيرة صقيلية الواقعة في البحر المتوسط، شمال الأراضي التونسية، وهي تابعة للأراضي الإيطالية في عصرنا الحاضر.

وقد عاش فيها الإسلام فترة من الزمن، بدءا من يوم فتحها بقيادة القائد الفاتح زيادة الله الأغلبيى عام 212هـ، أيام حكم الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد في بغداد.

ومن أراد الاطلاع على تاريخ هذه الجزيرة، فليبحث على كتاب : (المسلمون في صقيلية وجنوب إيطاليا) لصديقنا الراحل العلامة أحمد توفيق المدني الجزائري والمتوفى في النصف الثاني من سنة 1983م، وهو صاحب المؤلفات الشهيرة، والمؤرخ، والسياسي الماهر.

ولنعد لعالمنا الجليل سيدي محمد الجواد الصقلي، فهو رحمه الله من مواليد 1325هـ حوالي 1905م، وهو شريف حسيني، ينتهي نسبه إلى سيدنا محمد الباقر بن سيدنا علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد ﷺ.

ولد مترجمنا بفاس، وتعلم بفاس، حفظ القرآن الكريم وعمره لم يتجاوز ثلاثة عشر عاما، ثم شرع ينهل من معين القرويين العلوم العربية والإسلامية على شيوخ عظام، بدءا بسيدي أحمد بن الجيلالي المغاري شيخ الجماعة في وقته، وعلى العلامة الصوفي سيدي محمد بن ادريس الراضي السناني المالكي، وعلى العلامة الأديب سيد أحمد بن المامون البلغيثي، وعلى سيدي عبد الله الفضيلي، وعلى سيدي الطائع بلحاج، وعلى سيد محمد بن عبد المجيد أقصبي، وعلى محدث المغرب الشيخ شعيب الدكالي الذي كان يتوارد على فاس شهرا في العام.

وحين أنهى دراسته، وأشبع رغبته حوالي 1350هـ بدأ يعطي مما أخذه من العلوم العربية والفقهية، وصار ينتقل من أدنى الى أعلى.

وفي السنوات الحرجة، وخصوصا عند اشتداد الأزمة، وحين عزم الفرنسيون على نفي الملك الشرعي للبلاد سيدي محمد بن يوسف سنة 1953م.

أبعد سيدي محمد الجواد الصقلي عن القرويين، نظرا لموقفه الصلب، ووقوفه ضد الاستعمار، وأعوان الاستعمار.

لكن بعد الكفاح الطويل، والقتال من طرف أفراد الشعب المخلصين بالمقاومة أولا، وبجيش التحرير ثانيا، وعاد الملك المظفر سيدي محمد الخامس الى عرشه، وعادت المياه الى مجاريها.

عين سيدي محمد الجواد الصقلي خليفة لرئيس المجلس العلمي، وبوفاة رئيسه العلامة سيدي الحسن مزور الذي توفي ليلة الخميس فاتح شوال عام 1376 هـ.

وفي نفس العام 1376هـ 1956م أصبح رئيسا للمجلس العلمي كما عين عميدا لكلية الشريعة التابعة للقرويين والتي أنشئت في ظهر المهراز بعد الاستقلال، وبأمر من جلالة الملك الحسن الثاني، وبواسطة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية شرع

رحمه الله في تحقيق تفسير ابن عطية : (المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز) إلا أنه للأسف قبل أن يتم الحزب الأول من سورة البقرة، عاجلته المنية، وكانت وفاته رحمه الله ليلة الجمعة من عام 1392هـ 1972م، وحمل جثمانه الطاهر إلى مسجد جامع القرويين، وصلي عليه صلاة الجنازة بعد صلاة الجمعة مباشرة، ودفن في مقبرة داخل باب أعجيسة، وحضر جنازته جمهور غفير من العلماء، وعلى رأسهم سيدي عبد الله كنون الذي حضر من مدينة طنجة على متن طائرة خاصة.

وبوفاة سيدي محمد الجواد الصقلي، عينت لجنة من علماء القرويين برئاسة شيخنا وأستاذنا سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري لتميم تحقيق تفسير ابن عطية.

إلا أن وزارة الأوقاف لما رأت أن العمل يسير ببطء وزعت التفسير المذكور على المجالس العلمية الأخرى، كمراكش ومكناس، وقد أنجز في سنوات.

وطبع هذا التفسير في ستة عشر (16) جزءا، وهو حاليا من ممتلكات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ولنستمع إلى المفكر الإسلامي، العالم الاجتماعي العلامة عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المتوفى عام 808 هـ.

كما جاء في مقدمته - الشهيرة - صفحة 440، قائلا : (وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى).

وقال : (وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق) انتهى.

هذا من كلام ابن خلدون.

وهذا العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، والمتوفى 875هـ يقول في تفسيره : (الجواهر الحسان) ج : 1 ص : 19، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1416هـ 1996م، قال :

(فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأيمة، وثقات اعلام هذه الأمة حسبما رأيته، أو رويته عن الأثبات، وذلك في قريب من مائة تأليف) وفي صفحة 21 يقول الثعاليبي : (وها أنا إن شاء الله أشرع في المقصود، وألتقط من كلام ابن عطية رحمه الله ما ستقف عليه من النبذ الحسنة المختارة ما تقربه العين) انتهى.

أستسمح إخواني القراء الكرام إني قد انجزت إلى الحديث عن تفسير بن عطية، حيث جاء في السياق أن سيدي محمد الجواد الصقلي هو أول من شرع في تحقيقه، فكانت البداية تتمة النهاية، وصدق من قال: (ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل).

إلا أنني علمت أخيرا: أن تفسير ابن عطية حققه بعض علماء الشرق، في الإمارات أو في الكويت، وهو في خمس مجلدات ضخام من الحجم الكبير.

بعض مواقف سيدي محمد الجواد الصقلي.

كان رحمه الله يحرر العرائض، ويوقعها معه العلماء الأجلاء، ويوجهها إلى الجهات المسؤولة.

خصوصا في إبقاء التعليم الديني والحفاظ عليه بجامعة القرويين كما كان منذ قرون وعهود سلفت.

وخصوصا - كذلك - في موضوع استنكار شيوع الفساد والعهارة، وشرب الخمور، والترخيص في الاتجار بها قانونا.

وهذه جزئية لا أتركها تفوت، أحكيها بصدق وأمانة، كما سمعتها من شيخنا وأستاذنا سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري رحمه الله.

إن سيدي محمد الجواد الصقلي قبل وفاته 1972م بثلاثة أشهر، حرر رسالة، وأمضاها معه لفيف من العلماء، يطلبون فيها - وقتذاك - من ملك البلاد جلالة الملك الحسن الثاني، أن يصدر أمره المطاع لمنع شرب الخمر وبيعها في مملكته، وفي هذا الوطن الغالي، فتوجه ثلاثة من العلماء، هم : سيدي محمد الجواد الصقلي، وسيدي أبو بكر جسوس (ونسيت اسم الثالث منهم)، وقصدوا مدينة إفران، حيث كان يقيم جلالة الملك، أثناء فترة نقاهـة، وبالمثول بين يديه، وتقديمهم للرسالة، وعرض المقترح عليه، قيل إنه أجابهم : السادة العلماء، الخمر وبيعها مورد من موارد اقتصاد البلاد، ونحن لا نرغم أحدا عن شربها، والقرآن صرح: (فريق في الجنة وفريق في السعير).

قيل أنهم سكتوا ولم يجيبوا بشيء، واستطرد قائلا :

هل من أمر آخر؟ قالوا : (لا) واستأذنوه في الانصراف وحين نهضوا للوقوف عثر سيدي محمد الجواد رحمه الله في برنسه، مما جعل رجلاه تلتويان، حتى كاد أن يسقط، بسبب ما وقع فيه من الذهول.

وبعودته إلى فاس لزم داره، قيل إنه ما كان يخرج وما كان يستقبل أحدا حتى وافته المنية وفي ظرف ثلاثة شهور.

ومن مواقفه كذلك انتقاداته على مدونة الأحوال الشخصية التي تولى إبرازها إلى الوجود جماعة من العلماء وعلى رأسهم العلامة الزعيم علال الفاسي، والعلامة سيدي عبد الرحمن الشفشاوني، وسيدي الحسين بن (البشير)، وهذا اعتزلهم أخيرا، ومن مساوئ هذه المدونة كما كان يحكي سيدي محمد الطاهري رحمه الله.

الوصية الواجبة التي جاء فيها إن الحفدة يرثون ما يرث أبوهم لو كان حيا، وأخرى إن المرأة التي نشزت، وفرت من بيت زوجها لأيام، أو أسابيع، أو شهور، فحين عودتها إلى بيت الزوج، على هذا الأخير أن يعطيها النفقة عن أيام الغياب، وأمور أخرى كثيرة.

وهذا تجرؤ على فقه الإمام مالك رحمه الله. فعلم المواريث عند علماء الأمة مدونة منذ عهد رسول الله ﷺ، وهو العلم الذي لا يجوز فيه استعمال العقل، لأن الله تعالى تولاه بنفسه. وأعطى لكل ذي حق حقه آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم، أقرب لكم نفعا. ﴿فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾، النساء 11.

سيدي محمد الجواد الصقلي - خلف رحمه الله - خزانة غنية بنفائس الكتب، بيعت من طرف ورثته زوجته وبعض عصبته، فإنه رحمه الله لم يعقب، شأنه شأن سيدي عبد الله كنون الذي لم يعقب هو بدوره رحمهما الله.

لم يخلف - على ما أعلم - آثارا، إلا كتابا صغيرا بعنوان (مناسك الحج والعمرة) من الحجم الصغير، عدد صفحاته 40 صفحة.

رحم الله هذا العالم وإخوانه العلماء رحمة واسعة آمين.

صورة تذكارية لثلة من العلماء



صورة جمعت ثلة من علماء جامعة القرويين بمدينة فاس العامرة

في الصف الأمامي تسعة علماء يتوسطهم سيدي محمد الطاهري، وعن يمينه سيدي محمد الودغيري، فسيدي محمد بن عثمان الشامي.

وفي أقصى اليسار سيدي أبو بكر جسوس.

وفي الصف الثاني من الواقفين سبعة عشر عالما خلف سيدي محمد الطاهري يظهر سيدي الطاهر الفاسي، وعن يمينه سيدي محمد الجواد الصقلي.

والرابع من جهة اليمين سيدي محمد بن علي الكتاني.

أما الصف الثالث أو المؤخر فعدد العلماء اثنى عشر عالما.

ونظرا لعددهم الجم، وهم أربعون عالما، جمعتهم صورة واحدة، يصعب التعرف عليهم واحدا واحدا، والصورة أخذت أواخر الخمسينات، وعبد ربه تعالى محمد بن عمر بن علي العزوزي، لم أكن من المعاصرين لهم في الفترة التي عاشوها.

فلنتبرك بهم جميعا، وندعو لهم بالرحمة والمغفرة والرضوان كما نسأله تعالى، أن يجعلنا على سننهم وطريقتهم المثلى، والسلام على من اتبع الهدى.



العميد الحاج
أحمد بن شقرون

الأديب الشاعر، العلامة المتفتح، المشارك المتفائل، الحاج أحمد بن الحاج سيدي عبد الرحمان بن شقرون، عائلة معروفة مشهورة في مدينة فاس.

ولد عام 1333 هـ 1914م حفظ القرآن الكريم صغيرا، والتحق بجامعة القرويين وذلك عام 1351هـ، وعمره 17 عاما، وبدأ ينهم من مختلف العلوم، ودراسته كانت منصبة كثيرا على مادتي اللغة والأدب، وكان – رحمه الله – سريع البديهة، جريء على مخاطبيه، لا يسمح بالخطأ النحوي، ويستشهد بالشعر العربي قديمه وحديثه، لكثرة حفظه واستظهاره للشعر، ومن الأمور التي تنزل إلى الساحة صدفة، كنت أسرد عليه كتابا، فعرضت لفظة: (طوال) فلفظت بها مكسورة: (طوال) فبادرني: (طوال) بالفتح، فقلت له :

(ثلث طوالا باختلاف المعنى فاكسره جمعا لطويل يعنى
واضمم مرادف الطويل وافتحا مرادف الطولي اجتهد لتمنحى)

فبادرني لمن البيتين؟ فقلت: لسيدي محمد الطاهري، فقال لي: أيها الريفي جئت البارحة فقط واستفدت من شيخنا الطاهري أكثر، بينما نحن درسنا عليه سنوات.

ويوما نطق ببيت من الشعر مشهور وهو :

(العـم صيـد والكـتـابـة قـيـده   قيد صيودك بالحـال الواثقـة)

فقلت له، سيدي، أستسمحك إن الشاعر أخطأ في تعبيره في لفظة : (الواثقة) فبادرني قبل أن أتمم كلامي، قائلا :

وهذه ليست لك، فقلت نعم إنها لسيدي محمد الطاهري، فكرر المقولة السابقة، استفدت من شيخنا كثيرا، هنيئا لك.

وفي عام 1416هـ / 1996م لما رشحتني وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن أرافق الحجاج إلى البقاع المقدسة بصفتي مؤطر ديني، وفي المدينة المنورة بقصر الأنصار بتاريخ 13 ذي القعدة 1416هـ 2 أبريل 1996م، ألقيت درسا على الحجاج، وكان قد حضر طاقم التلفزة المغربية لنقل الدرس والصورة مباشرة على الشاشة، وعرضه على المشاهدين.

وبنهاية مراسم الحج، وعدنا إلى أرض الوطن يوم السبت 4 مايو 1996م زارني في منزلي وهنأني بالحج والزيارة وألقى علي سؤالا : ماذا قلت في درسك للحجاج؟ فقلت له : سيدي نسيت ما قلته، فقال لي رحمه الله قلت لهم :

(حجاجنا الميامن مرحبا بكم، بل مرحبا بنا جميعا في مدينة المصطفى ﷺ، أيها الحجاج حافظوا على الصلوات المفروضة في المسجد التي هي بألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرم بمكة فبمائة ألف صلاة).

وقال لي: قلت لهم تأدبوا أثناء الزيارة ثم قرأت عليهم قول صاحب المرشد المعين:

(وسر لقبـر المصطفى بأدب   ونيـة تجـب لكـل مطلـب
سلم عليـه ثم زد للصديـق   ثم إلى عمـر نلت التوفيـق
واعلم بأن ذا المقـام يستجاب   فيه الدعا فلا تمل من طلاب)

ثم قال لي : غدا تتغدى عندي، فاعتذرت لكنه ألح علي، وعند حضوري إلى منزله، وجدته قد هيأ عددا من المأكولات، ولم يكن عنده سواي، فقلت له : سيدي لو دعوت عشرة من العلماء لنتعاون على هذا الخير، فأجابني : (لا أحب ولا أريد أن يكون العزوزي مضافا) وهذا شانه ودأبه في حديثه، يبحث دائما عن النكتة والغريبة.

دخلت عنده يوما فوجدته وحده، وإبريق من الشاي إلى جانبه، وبسلامي عليه وجلوسي معه أخذ الإبريق وصب لي كأسا ملأه حتى الثمالة فقلت له : سيدي ملأت الكأس حتى كاد أن يفيض، فأجابني توا : (ولا تشرب بأقداح صغار، فقد ضاق الزمان عند الصغار).

فأعجبني البيت، وقلت له : لابد أن أكتبه فقال اكتب:

(إذ العشرون من شعبان ولت   فواصل شرب ليلك بالنهار

ولا تشرب بأقداح صغار   فقد ضاق الزمان عند الصغار)

فقلت له لمن هذين البيتين؟

فأجابني أحفظهما ولا أدري ولا اعلم لمن؟

ومع مرور الأيام وذهاب الزمن، وجدتها في كتاب : (خلاصة شرح ابن عجيبة على متن الأجرومية في التصوف) صفحة : 9

وجلست معه يوما، وقلت له : إني وقفت على البيتين، في كتاب كذا في موضع كذا، فأجابني : أنت بحاثة، وقلت له : بقي لي أن أبحث على الذي أنشدهما، فأجابني ستقف على ذلك.

ومع مرور الأيام كذلك، وجدت البيتين في كتاب : (مذكرات غير شخصية) لسيدي عبد الله كنون ص: 12 نسبها لأبي نواس الشاعر البغدادي فترة حكم الرشيد وابنه الأمين، حيث توفي عام 198هـ وأبو نواس أشهر شاعر في المجون، لكثرة وصفه للخمر والنساء.

الحاج أحمد بن شقرون من العلماء الصامدين، سجن وعذب مرات من طرف المستعمر الفرنسي لمواقفه الشجاعة الثابتة،

تقلب في عدة وظائف، عمل مدرسا بالقرويين، ثم مراقبا بها، وعند بداية الاستقلال 1956م عين رئيس مصلحة التعليم العالي، وهناك تعرفت عليه وكان الى جانبه في هذه المصلحة سيدي الحسين بن البشير، والاستاذ عبد العزيز بن عبد الله، المؤرخ وسيدي عبد الله الجراري، وفي عهده ولجت مهنة التعليم في فاتح نونبر 1959م وقد عينني هو نفسه مع افراد آخرين في مدرسة الزربطانة التابعة للقرويين بفاس.

وقد عمل بجد ونشاط، أنشأ عدة معاهد تابعة للقرويين في جهات مختلفة، منها معهد تارودانت وآخر بوجدة، وبالحسيمة والناضور، ومراكش وتطوان ومكناس وشفشاون، كما أنشأ معهد الفتيات بفاس، خاص بالبنات.

واستمر في هذا الوظيف إلى سنة 1962م، ثم عين رئيس ديوان وزير التهذيب الوطني.

وفي سنة 1981م عين عضوا في المجلس العلمي بفاس، ثم عين عميدا بكلية الشريعة، وعضوا في أكاديمية المملكة المغربية، ثم رئيس المجلس العلمي، ثم مستشارا لجلالة الملك الحسن الثاني كما أخبرني بذلك شفويا، ثم أمينا عاما لرابطة علماء المغرب عام 1994م والى وفاته.

توفي رحمه الله يوم الأحد 5 جمادى الأولى عام 1421هـ، الموافق 6 غشت سنة 2000م، وبوفاته مباشرة في السابعة والنصف صباحا تلفن لي إحدى كريماته فتوجهت إلى منزله، وكنت أول داخل عليه، ثم التحق بي نائبه في المجلس العلمي، العلامة سيدي أحمد غازي الحسيني، وبعده العلامة الدكتور سيدي محمد يسف، ووالي صاحب الجلالة على فاس واقليمها وعامل زواغة مولاي يعقوب، والدكتور عبد الوهاب التازي سعود، وآخرون.

وحضر الى منزله جمهور غفير من العلماء وأعيان مدينة فاس، وبعد تجهيزه حمل جثمانه الى مسجد الإمام مالك، وصلى عليه العلامة سيدي أحمد غازي الحسيني بعد صلاة العصر، ومن المسجد الى مثواه الأخير في مقبرة الجلة بباب فتوح، وبعد مواراته في التراب أبنه الدكتور العلامة سيدي محمد يسف بكلمات رقيقة مؤثرة، وقد حضر من الرباط وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري كما حضر طاقم من أعضاء رابطة علماء المغرب أذكر منهم الدكتور السيد عبد السلام السليماني، والعلامة السيد الصديق الروندة والعلامة السيد محمد الخضر الريسوني فرحمة الله عليه رحمة واسعة.

آثاره ومؤلفاته :

أ) أولا له: سلسلة البدائع من عشر حلق في مواضع مختلفة، وحسب أرقامها:

1 - في علم النوازل	من : 40 صفحة
2 - نظام الحسبة في الإسلام	من : 40 صفحة
3 - من أخلاق المؤمن	من : 32 صفحة
4 - مناقب الصحابة	من : 55 صفحة
5 - اللؤلؤ المكنون من بحر العلامة سيدي محمد كنون	من : 52 صفحة
6 - تفسير سورة (ق)	من : 32 صفحة
7 - محمد الخامس الملك العالم	من : 128صفحة
8 - افتتاحيات مجلة كلية الشريعة	من : 84 صفحة
9 - قصائد شعرية في أركان الإسلام	من : 38 صفحة
10 - البيعة والخلافة في الإسلام	من : 56 صفحة

وله : (أرجوزة من زهر الآس من جامع القرويين بفاس عبر القرون) هي عبارة عن تاريخ القرويين نظمها شعرا عدد صفحاته مائة وعشر 110 صفحات

استهلها بتقديم من خمس صفحات، كتبها وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية - وقتذاك - الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري، وفي صفحة : 5 الإهداء من 6 أسطر ثم مقدمة من صفحتين، وفي صفحة 8 حياة المؤلف ووظائفه وأعماله في الميدان الثقافي والعلمي والاجتماعي، صفحتان كذلك.

وفي صفحة 10 مضامين الكتاب من صفحتين.

وفي صفحة 12 جامع القرويين، تقريض العلامة سيدي عبد الله كنون الأمين العام لرابطة علماء المغرب من : 3 صفحات.

ومن صفحة 15 شرع في النظم قائلا :

(وجامع من زمان سالف　　فهرية بنته للمعارف
فظل منذ الألف بل ونيف　　وزيد قرن بعد ذاك النيف
مشتغلا بالدرس والتصوف　　متزيا بالعلم والتعرف)

وعدد الأبيات : 434 بيتا، مصاحبا بشرح وتحليل أسفل الأبيات بأرقام تحت السطر في كل صفحة.

وفي صفحة : 37 من هذا الكتاب أثبت رؤساء المجلس العلمي، بدء بسيدي أحمد بن الخياط الزكاري وبعده سيدي أحمد بن الجيلالي المغاري، ثم سيدي عبد الله الفضيلي، ورابعهم هو العلامة مولاي امبارك والخامس هو سيدي الطايع بن الحاج السلمي، والسادس هو العلامة سيدي حسن مزور، والسابع هو سيدي محمد بناني والثامن هو العلامة سيدي محمد بن ابراهيم، والتاسع هو العلامة سيدي محمد الجواد الصقلي، والعاشر هو العلامة مولاي عبد الواحد العلوي المدغري والحادي عشر ختم بنفسه قائلا: هو خديم العرش العلوي الشريف المنيف الحاج أحمد بن شقرون.

ثم قال : وفي ما يلي نص الظهير الشريف المتعلق بذلك، وصورة فوتوغرافية في صفحة 38.

ويذكر أن خليفته ونائبه هو سيدي محمد الطاهري وكان الأخير قد أخبرني شفويا : أن الحاج أحمد بن شقرون، متى عقد أي اجتماع لهذا المجلس يقوم من كرسي الرئاسة، ويجلسني عليه، ويقول لأعضاء المجلس : إن الرئيس الحقيقي هو سيدي محمد الطاهري وأنا نائبه.

وهذا تواضع منه - رحمه الله - والعلماء يجلون بعضهم بعضا، والأدنى يرفع من قيمة الأعلى منه. فيكون ذلك أحيانا للعلم، وأحيانا للسن، أو الحسب والنسب، وهلم جرا.

ج : وكتاب آخر بعنوان :

تحية مدينة فاس بمناسبة أسبوع فاس.

لتحقيق فكرة الإنقاذ التي دعت إليها منظمة اليونسكو، أبريل 1400هـ 1980م.

د : وكتاب من حجم الجيب صغير، مائة وعشر صفحات بعنوان : (أدعية الصلاة).

كما في جامع الأصول في أحاديث الرسول عن الإمام ابن الأثير الجزري، فيه أحاديث معروفة ومشهورة، في عشرات الكتب مجموعها: 71 حديثا من يتناوله ويواظب على قراءته يحصل له من أقوال وأعمال رسول الله ﷺ خير كثير.

هـ : كتاب الكلمة الطيبة، كان يلقيها أسبوعيا بإذاعة فاس المحلية.

و : إن من الشعر لحكمة، مختارات شعرية من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.

ح : مختارات من صحيح الإمام البخاري.

ط : مختارات من صحيح الإمام مسلم.

ي : روائع البيان في الشعر الإسلامي والحكم.

ك : تحية مدينة فاس.

ل : مواقف وآراء رابطة علماء المغرب من التأسيس 1960م الى المؤتمر العاشر 1987م.

م : مجلة كلية الشريعة التي صدر منها تسعة عشر عددا.

ن : الموهبة السنية في شرح العشرة الثانية من الأربعين النووية لجده الحاج عبد القادر بن شقرون، هذا الكتاب بعد طبعه، وردت فيه أخطاء مطبعية فطلب مني تصحيحها، فقمت بذلك، وهي في آخر الكتاب ومما كتب عنه:

1) علماء فاس يحتفلون بالأستاذ العميد الحاج أحمد ابن شقرون.

طبع مرتين : 1402 هـ 1982م نفس التاريخ

2) أبحاث وأعلام رقم (3) (ندوة) الحاج أحمد ابن شقرون أشرفت عليها: فاطمة الجامعي) زوجة الدكتور الفيلسوف عبد العزيز الحبابي.

رحم الله أستاذنا الجليل الحاج أحمد بن شقرون رحمة واسعة وجعله هو وإخوانه العلماء الذين قضوا مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، آمين.

من علماء القرويين الصامدين
سيدي أحمد لحبابي

ومن العلماء الذين رافقتهم، ويسر الله لي صحبتهم العلامة الجليل، سيدي أحمد بن محمد لحبابي وهو من العلماء الأجلاء الراسخين في علوم الدين، وأحد طلبة سيدي محمد الطاهري، تعرفت عليه بدءا من شهر يونيه سنة 1959م، حين عين أحد الأعضاء الممتحنين في الاختبار الشفوي لطلبة مدرسة المقرئيين في المواد الفقهية.

ثم العمل معه، وهو مدير معهد الفتيات الكائن بعقبة الفيران غرب حي الرصيف، وقد عملت معه ثلاث سنوات بدءا من فاتح أكتوبر 1961م إلى يونيه 1964م، وهذا في الأقسام الابتدائية التابعة للمعهد المذكور، والكائنة موقعها بزقاق الماء الرابط بين الطالعة الصغرى عند سوقة ابن صافي والطالعة الكبرى شرق قنطرة بوروس.

وكان رحمه الله يعتمدني في المدرسة المذكورة، لأني كنت المعلم الوحيد من الرجال، والباقي من المعلمات كلهن نسوة، وعددهن أحد عشر معلمة، مع اثنتين أخريين كمراقبات نيابة عنه.

والقسم الذي كنت أعمل فيه: المتوسط الأول، والذي هو قبل القسم الخامس، أو الشهادة الابتدائية.

وها هو تجمعني معه الصدفة عند سيدنا الفقيه الطاهري - رحمه الله - بعد الجورة والخدمة لهذا الأخير من سنة 1967 إلى وفاته : 1989م.

وها هو يدعوني للضيافة عنده مع الفقيه الطاهري مرات ومرات، إلا أن الصحبة مع هـذا العالم تزداد متانـة، وتتواصل، وبدون انقطاع بعد وفـاة الحاج

أحمد بن شقرون، سنة 2000م، وكان رحمه الله يستأنس بي، ويدعوني للحضور عنده حينا بعد حين.

وسافرت وإياه، مرة إلى مدينة وجدة، قضينا فيها يومين كاملين، ومنها انتقلنا إلى المدينتين الناضور ومليلية، ليومين أخريين، وقد استغرقت الرحلة أربعة أيام، وتولى - رحمه الله - مصاريف الرحلة كاملة وحده، النقل والمبيت والأكل، ولم يتركني أن أؤدي معه لا قليلا ولا كثيرا.

وسافرنا - مرة أخرى- إلى مدينة الرباط، ومنها انتقلنا إلى الدار البيضاء، وكان رحمه الله لم يتعرف بعد على مقر رابطة العلماء، الذي سيصبح فيما بعد أمينا عاما له، وحين وصولنا إلى مقر الرابطة الكائن بشارع فال ولد عمير رقم 107 الطابق الرابع، صعدنا في المصعد، وأول ما بدأنا به، توضأ هو أولا، وتوضأت بعده، وصلينا الظهر، وقدمني إماما، وقد أديناها قصرا ركعتين، وحين حضر الإخوان العاملون في مقر الرابطة، أولهم السيد أحمد أفزاز، والسيد محمد الخضر الريسوني، والسيد إدريس كرم، والأخ محمد القاضي والأخ مصطفى ودادي والأخ السيد نبيل الأردني، وهو صهر الشيخ المكي الناصري، زوج إحدى بناته.

وحلت صلاة العصر، فقمنا لأدائها، فتأخرت أنظر من يتقدم لأدائها أماما، فأرادوا أن يقدموه فامتنع وخاطبهم قائلا : أنا أقدم محمدا العزوزي، فقدموني فتقدمت وقلت له : سيدي أنا وأنت نصلي صلاة القصر، ما العمل مع المقيمين؟ فقال لي - الآن - أنت إمامنا افعل ما تشاء، فخاطبتهم : أنا وسيدي أحمد مقصرين إذا سلمت، فأتموا صلاتكم اقتداء برسول الله ﷺ : يأهل مكة أتموا صلاتكم فنحن قوم سفر، وذلك أيام فتح مكة عام 8 هجري.

فسيدي أحمد لحبابي كان يوما عند سيدي الفقيه الطاهري، فحضرت صلاة المغرب، فقمنا لنصليها، فقال لي سيدي الفقيه الطاهري، أقم الصلاة على سيدي أحمد يصلي بنا، فما كان منه إلا أن أجاب قائلا:

صل بنا أنت أو يصلي بنا العزوزي، فأجاب سيدي محمد الطاهري: صل بنا فقد قدمك سيدي أحمد فسئل لم لا تصلي أماما؟، فأجاب : أنا من عادتي لا أتقدم للصلاة، وما اشتغلت مدة لا إماما للفريضة ولا خطيبا للجمعة.

وفي السنوات الأخيرة قبل وفاته، يتلفن لي ويخاطبني أنا في انتظارك لنصلي العصر معا، وأحيانا - أخرى - حتى نصلي العشاء، فيضطر لإخراج السيارة كي يوصلني إلى منزلي، ومرة كنت عنده، ولما قربت صلاة المغرب قلت له أستسمحك عندي الدرس في أحد مساجد منطقة ابن دباب، فأخرج السيارة، وأبلغني إلى ذلك المسجد، ووجدناهم قد شرعوا في أداء صلاة المغرب، فأديناها معهم جماعة، ثم غادرني عائدا إلى منزله.

وحين عينه جلالة الملك سيدي محمد السادس على رئاسة الرابطة المحمدية لعلماء المغرب أمينا عاما، يوم 10 رمضان عام 1426هـ دعاني للحضور عنده وسألني عن أفراد طاقم هذه الرابطة، فأخبرته بما عندي، وها هو يشرع في العمل بكل جدية ومسؤولية، إلا أن المنية لم تمهله، فقد عاجلته، ورحل عن هذه الدنيا، فرحمة الله عليه رحمة واسعة.

ومن أعماله التي عملها، والتي لا ينقطع أجرها كما في الحديث (... أو علم بثة في الصدور .....)، أن وهب مكتبته الغنية بالكتب النفيسة، وجعلها حبسا على الرابطة المحمدية لعلماء المغرب، وقد حملها ونقلها من منزله بفاس إلى الرباط في مقرها الجديد الذي فتح أخيرا، والكائن بحي لعلو، القريب من حي السفراء، وقصبة الوداية.

سيدي أحمد لحبابي عالم جليل متمكن، في علم التوحيد وعلم المنطق، والأصول، وعلم الفرائض، وكتبه التي ألفها تشهد على ذلك.

مـؤلفـاتــه :

الطرق التربوية، وعلم النفس من القرآن الكريم علم وثقافة وتهذيب الطبعة الثانية 1422 هـ / 2002م ع ص 173.

(أصول الفقه، قواعد وتطبيقات)، وهو من الأهمية بمكان، طبع مرتين، عدد صفحاته : 232 صفحة.

(الله اكبر حقا وصدقا)، هو قريبا على منوال أسئلة وأجوبة، يستشهد بالقرآن وبأحاديث رسول الله ﷺ. طبع : 1420 هـ / 1999 م ع ص : 268 صفحة.

(دلالات إيمانية من الاقسامات الإلاهية)، جائزة محمد السادس طبع 1424 هـ/ 2003م ع ص : 152 صفحة.

1 - (محمد الخامس وجامعة القرويين)، ومعه خمس دراسات عدد صفحاته 97 صفحة.

2 - (أضواء إيمانية، لتطهير العقول والأفهام مما علق ببعضها من الجهل والأوهام).

ومن مؤلفاته رحمـه الله : (الإسلام المقارن أو مرونـة الإسلام)، انطلاقا من قوله تعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها﴾ كان قد أعده درسا ليلقيه في الدروس الحسنية الرمضانية، أمام جلالة الملك الحسن الثاني، وذلك عام 1401هـ/ 1980م.

لكن لظروف خاصة، لم يلق الدرس، فطبع في كتيب من حجم الجيب، عدد صفحاته: 141 صفحة، وهو بحث نفيس في منهج الشريعة والرسالات السماوية طبع مرتين : الطبعة الأولى : 1404هـ/ 1984م، 1423هـ عدد الصفحات 142.

1 - ومن أعماله رحمه الله- في ميدان التأليف، شارك في تصحيح كتاب: (البيان والتحصيل) للإمام ابن رشد الاندلسي مع الأستاذ محمد حجي أستاذ الدراسات العليا بكلية الآداب بالرباط والكتاب من ثمانية عشر جزءا، يضاف إليها الجزء التاسع عشر كفهرس له، وقد صحح منه ستة أجزاء كما أخبرني بذلك شفويا، إنه عمل جليل، والكتاب موضوعه الخلاف العالي في الفقه الإسلامي.

وقد رشح لنيل جائزة المغرب للمؤلفين المغاربة، وقد نالها بالاستحقاق فهنيئا له بها، وأطلق عليها: جائزة محمد السادس. طبع : 2003 هـ عدد الصفحات: 158 صفحة.

وحين تولى الأمانة العامة للرابطة المحمدية لعلماء المغرب عزم على إصلاحها وتجديدها والنهوض بها إلى أعلى المستويات.

إلا أن المنية عاجلته، ولم يمكث فيها إلا عاما واحدا وثمانية أيام، من يوم 10 رمضان عام : 2006هـ إلى يوم 18 رمضان عام : 2007هـ إنه عمر قصير، وفترة زمنية محدودة، وللأسف لم احضر جنازته، وصباح يوم السبت توجهت إلى منزله، لتقديم التعازي لأهله وذويه وقد استقبلني أولاده الأربعة وبنته المتزوجة في الدار البيضاء، ثم زوجته الموقرة، وخاطبتني جزاها الله خيرا قائلة: سيدي أحمد كان يحبك كثيرا، ويثني عليك دائما، وأثناء وجودي بمنزله طلب مني أحد أولاده أن أدعو بواسطة الهاتف الثابت من أعرف من العلماء والأصدقاء للحضور مساء ذلك اليوم، لتناول طعام الفطور والعشاء، وإقامة ليلة بالقراء المجودين، وفرقة من المادحين بالأناشيد والصلاة على نبي الرحمة ﷺ، ولولا الخيمة المضروبة في الشارع الذي يفصل بين داره، وإدارة الأمن الوطني، ما وسع من حضر من العلماء وأعيان مدينة فاس.

وبحلول آذان المغرب، تناول الحاضرون طعام الفطور المكون من الحساء والتمور والحلويات، ومرتبات أخرى متنوعة، صلى الحاضرون صلاة المغرب بإمامة العلامة سيدي محمد بن علي الكتاني، رئيس المجلس العلمي المحلي لفاس، وبعدها فترة الاستراحة والمذاكرة.

وحين قرب وقت آذان صلاة العشاء، طرح بعضهم جزئية صلاة التراويح، ورغم حضور عدد كبير من القراء، وفيهم العلماء، اقترح أحدهم أن يتلفن إلى جهة يرسلون لهم من يؤدي بهم صلاة التراويح، فقلت لهم : إن لم يكن بينكم من يؤدي بكم صلاة التراويح، فأنا على استعداد أن أقوم بهذه السنة، فقبلوا ذلك بإجماع.

فقلت لهم: هل تختارون حزبا أو سورة لهذه الصلاة، فإني قد وقفت صباح الذي ولى عند سورة : ﴿**الرحمن علم القرآن**﴾ الحزب الرابع والخمسون، فوافقوا جميعا، فأذن أحدهم آذان العشاء، وتقدم العلامة سيدي محمد بن علي الكتاني كما تقدم في صلاة المغرب.

وبنهايتها تقدمت لصلاة التراويح، حزب ﴿**الرحمن**﴾ من ثماني ركعات بأربع تسليمات، أوقفني السيد رئيس المجلس العلمي، وقدم آخر للختم، وهو:

صلى الركعة التاسعة بالفاتحة وبداية سورة البقرة إلى قوله : ﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾ والركعة العاشرة بالفاتحة وآية الكرسي، وانتهت هذه الصلاة، وشرع بعدها في إحياء الليلة بالأناشيد والسماع والذكر، وتخلل ذلك تقديم كؤوس الشاي والحلويات والمرتبات على الحاضرين.

ختم ذلك بتقديم طعام العشاء، وما يتبعه من الفواكه على اختلاف أنواعها وأشكالها، والكل ممزوج بالمشروبات المصنوعة من الفواكه والمياه المعدنية.

وأخيرا ألقيت كلمات من طرف السادة العلماء، استعرضوا بعض حياة الراحل، وأعماله الفكرية، وما كان يقوم به في ميدان الثقافة والعلم.

وختمت الليلة بالدعوات والرحمة على الفقيد.

والى يوم اللقاء معه ومع باقي العلماء الذين تعرفنا عليهم، وعلى من لم نعرفهم، (يوم يجمع الله الناس ليوم لا ريب فيه) وصدق رسول الله ﷺ :

(المؤمن مع من أحب).

الأستاذ الجليل الخطيب المصقاع

إنه العلامة سيدي محمد بن علي الكتاني -حفيد الشهيد- تعرفت عليه، وأنا طالب بمدرسة المقرئين سنوات : 1956م 1959م. حين عينه المجلس العلمي ليدرس لنا مادة الجغرافيا، وهو الذي درس لنا نحن طلبة الفوج الأول لهذه المدرسة :

الكرة الأرضية قسمان : نصفها مائي – وهو ثلاثة أرباع – ونصفها يابس، وهو الربع الباقي، وكل من المائي واليابس خمسة أقسام، المحيطات: المحيط الأطلسي، والمحيط الهندي والمحيط الهادي، والمتجمد الشمالي، والمتجمد الجنوبي.

والقارات، قارة آسيا، وقارة افريقيا، وقارة أمريكا وقارة أروبا، وقارة استراليا الأقيانوسية. إنها بداية جد مفيدة لمادة هذه الجزئية من علم الاجتماع، كما يطلق عليه.

لكن للأسف، لفترة زمنية قصيرة، أبدل بعالم آخر، إنه الشيخ الوقور الرياضي، العارف بالاسم الأعظم، سيدي أحمد الرجراجي السبعي، وهو رحمه الله لا يقل خبرة بهذه المادة – الدسمة ذات الاهمية والمكانة – من هذا العلم الذي هو صنو علم التاريخ.

سيدي محمد بن علي الكتاني، ما من مناسبة حلت، أو حفلة أقيمت، إلا وحلاها – (من الحلاوة) – بخطبه الرنانة، وفصاحته البيانية، فهو – رحمه الله – قس بن ساعدة الايادي، زمانه، أو الحجاج بن يوسف وقته، أو الجاحظ عصره.

لكن ولله الحمد معرفتي له، واتصالي به شخصيا، حين عين رئيسا للمجلس العلمي المحلي بفاس بعد وفاة الحاج أحمد بن شقرون أواخر سنة 2000م، وحين وقع اتصالي به في مقر المجلس العلمي، – وحينذاك – أهديت له كتاب : (عقد الجواهر

الحسان) الذي جمعته عن شيخنا سيدي محمد الطاهري - رحمه الله - وشكرني على هذه الهدية، وخاطبني قائلا : إن أفضل هدية يهديها العبد المومن لأخيه المومن، هي (الكتاب).

وقد عبر أحد الشعراء فقال :

(يا مستعيرا كتبي دعني فإن إعارة الكتب عار
فمحبوبي من الدنيا كتابي وهل رايت محبوبا يعار)

ومرت أيام، وها هو يخاطبني : كنا نقول : إن الفقيه الطاهري، قد مات، وبموته، مات ما كان عنده من العلم، ولكن - ولله الحمد - فإنك ايها العزوزي، قد أبقيته حيا بما جمعته عنه من هذه الدرر الغالية وهذه النوادر التي قل أن يجدها القارئ الباحث في كتاب مستقل لتنوعها وندرتها، ونطق قائلا: جزاك الله خيرا أحسن الجزاء، وها هو يدعوني لزيارته الى منزله الجديد الذي يقع غرب ولاية فاس بعمارة شمس الضحى زنقة .... وكثيرا ما كان يخاطبني بواسطة الهاتف، ويقول لي: أنا في انتظارك، وإذا ما حللت بمنزله، يسرع الى تقديم القرى (بكسر القاف) قبل كل شيئ وهو عبارة عن كؤوس الحليب والتمر، يتبعه الشاي والمرتبات (أو الكعك) كما يدعي في أرض الجزائر.

وقبل وفاته - رحمه الله - بأقل من شهر ما خاطبني به : لا تغب عني كثيرا، فحديثك شيق، ومذاكرتك ذات ابعاد، فأنت رجل اجتماعي مشارك.

فجزاه الله خيرا على هذا التعبير، ورحمة الله عليه رحمة واسعة ووالله إني أكون في المجلس العلمي، وقبل أن أودعه يخاطبني انتظر لنوصلك إلى منزلك، وهذا زيادة منه في الإكرام، وتقديم المساعدة والعون، وخصوصا في من في مثل سني وعمري، وقد أشرفت على الثمانين وخصوصا - كذلك - ما داهمني من مرض (الروميتزم) أو مرض (بوزلوم) أو (مرض عرق النسا)، أسماؤه كثيرة، وعلاجه مستعص نادر، شفانا الله، والمسلمين أجمعين آمين.

وحين وفاته رحمه الله، كنت غائبا عن مدينة فاس ولم أحضر جنازته، وصدق الله العظيم : ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾ ولا يقع في الأزل إلا ما قدر الله، وما أراده كان، وما لم يرد لم يكن، ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾.

رحمة الله على هذا العالم، وعلى من سبقه من العلماء، أو يلحق بهم، إن عاجلا أو آجلا، وجعلنا ممن سيحشر في زمرتهم، آمين، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله وهذه الصورة أخذت لي، مع هؤلاء في المجلس العلمي المحلي بفاس، وأنا أتحدث إلى السيد أحمد قسطاس الكاتب العام لوزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، حين جاء من الرباط مرافقا لشاب أردني متخصص في علم الفلك، لإلقاء محاضرة في هذه المادة.

وبيني وبينه رئيس المجلس العلمي العلامة، سيدي محمد ابن علي الكتاني، بطربوشه الأبيض وابتسامته العريضة وبيني وبينه الأستاذ الدكتور الجيلالي المريني، أحد أعضاء المجلس العلمي، وخلف السيد أحمد قسطاس العلامة السيد : غازي بن الشيخ من منطقة التسول، بطربوشه الرمادي، ولم يظهر منه إلا حنكه وأذنه الأيسر، وآخر خلفي، ولم اعرف اسمه، ومن هو؟ فمعذرة.



حياة الإنسان أطوار

هذا جزء من حياة الإنسان عبر الأيام والليالي

والأسباب لابد لها من مسببات، والمستقبل غامض، لا يدرك كنهه، والمفاجآت تاتي عفويا.

وقد عبر الشاعر الجاهلي السموءل بن عدي :

(واعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي)

وهذه جزئية من حياتي وقعت ومر عليها قريبا من سبعين سنة، في أوائل الأربعنيات : 1941 أو 1942م، والزمن شهر المحرم الحرم، والمناسبة عيد عاشوراء، خاطبتني جدتي من أبي رحمها الله، وأنا من المتعلمين للقرآن الكريم في الكتاب بمسجد قرية تستيت، قالت لي: قل للطلبة المتتبعين لحفظ القرآن الكريم، أن يأتوا ويأخذوا هذا الجدي الذي هو من فصيلة الماعز ليأكلوه، فأخذوه وذبحوه وسلخوه، وأنا معهم، وكلهم أكبر مني سنا، وعمري حينذاك بين 9 سنوات أو أحد عشر سنة، فزودتهم بشيء من الزيت، وشيء من الأفاويه، أو (التوابل) أو (العطرية) ثم أتيتهم كذلك بخضرة : (السلجم) التي هي اللفت.

قالوا لي أنت معنا في هذه المأدبة، وأنا شبه خادمهم، أتيت لهم بالحطب، وسقيت لهم الماء من العين : (أغبال تستيت) وأحيينا الليلة روحا ومعنى، أما الخبز فكل واحد منهم - وعددهم حوالي اثنى عشر فردا - أتى بقدر منه، وشربنا كؤوسا من الشاي، وكل ذلك ممزوج بقراءة آيات من القرآن الكريم، حينا يقرؤون ثمنا أو ربعا من القرآن جماعة بصوت موحد، وحينا يقرأ كل واحد ما يختار من الآيات.

فالطلبة لهم تخطيط ونظريات يتخذونها ويطبقونها ولا أدري كيف يهتدون إليها؟ وهي من الأهمية بمكان، وأول ما بدأوا به، أخرجوا اللحم إلى صحن ووضعوه جانبا، ثم صبوا ما في القدر من المرق والسلجم في صحن آخر، وأكلوه حتى أتوا على نهاية ما طبخوه وأنضجوه والسرور يغمرهم.

وها هم يقسمون اللحم (كرعة كرعة) و(عرمة عرمة) حسب عدد الحاضرين، وحين أتموا التقسيم، وأنا لا أعلم بما سيفعلون، ولا ما سيقدمون عليه.

بدأوا - أولا - يقولون : صاحب هذه : سيحج إلى بيت الله الحرام، وصاحب هذه سيتوجه إلى فاس ليدرس العلم في جامعة القرويين، وصاحب هذه سيتزوج ويولد له أولاد كثيرون، وصاحب هذه سيتزوج ولا يولد له مولود، وصاحب هذه سيموت قبل أن يتزوج، وصاحب هذه بعد أن يحفظ القرآن سينساه حتى يصير أميا، وصاحب هذه سيتزوج امرأة بلهاء، وصاحب هذه يصاب في عقله فيخالف الجماعة، وصاحب هذه يلازم مهنة الشرط في المساجد إلى نهاية حياته، وصاحب هذه يموت في بلد بعيدة، وصاحب هذه يصير غنيا، وسيملك مالا كثيرا. وهكذا ...

وحين أتموا هذه التسميات، قالوا على أي عدد سنحسب، واتفقوا على عدد معين، وهو عدد 57 وهذا العدد هو حال ضرب 19 في ثلاثة 3، والعدد 19 فيه سر من أسرار الله، وهو عدد حروف البسملة وعدد - كذلك - ملائكة العذاب المكلفين بتعذيب العصاة، (عليها تسعة عشر).

وشرعوا في الحساب، واتفقوا من أين يبدؤون، وعلى من سيقع العدد المعين، واتفقوا - كذلك - أن ينقص عدد واحد في كل دورة، مثلا : عدد 56 و 55 و 54 إلى النهاية، إنه تقسيم غريب وعجيب.

وقد تتبعت ذلك من تلك الحقبة من الزمن، فوالله ما أخطأوا في ما فعلوا

وصنعوا، لعلهم يقصدون الفكاهة واستجلاب الروحيات، ولكن كما ورد في حديث : (ألسنة الخلق أقلام الحق).

وأستسمح إخواني القراء الكرام، إن حظي ونصيبي من ذلك الحساب، وما أحرزت عليه، أن آتي إلى مدينة فاس لأتعلم العلم، وصدقت القرعة، وصدق الفأل، والفأل عادة - لا يخطئ، ورغم كوني قضيت في أرض الجزائر مدة من الزمن، قريبا من تسع سنوات فيها الجولة إلى أرض تونس وليبيا ومصر، وقريبا من ثلاث سنوات أخرى، قضيتها في وطني، بعضها في تازة، وبعضها في الناضور، والعمل في منظمة حركة جيش التحرير، وها هو الفأل يتحقق، وأن في النصف الثاني من العقد السادس، فآتي إلى فاس، وأشرع في نهم العلم على شيوخ وعلماء أجلاء.

ومن درست عليهم في مدرسة المقرئين، هم في نفس الكتاب : (مدرسة المقرئين الفتاة المدللة أو المعلمة التاريخية)، ولم أتوقف ولله الحمد - ولجت مهنة التعليم، ورافقت، وتعرفت على كثير من رجال التربية والتعليم، يعدون بالعشرات، فيهم المديرون المسيرون، والمفتشون أو المراقبون، إلا أن الذين يسر الله صحبتهم ومرافقتهم والأخذ عنهم، ويعدون من الشيوخ العظام أولهم سيدي محمد الطاهري، رافقته مدة إحدى وعشرين سنة ونيف، بدءا من أواخر سنة 1967 - إلى بداية : 1989، يأتي بعده الحاج أحمد بن شقرون لفترة إثنى عشر سنة، وبعد هذا الأخير العلامة سيدي أحمد لحبابي لمدة سبع سنوات من سنة 2000 إلى سنة 2007م، يأتي بعده العلامة سيدي محمد بن علي الكتاني لمدة سنتين تقريبا، من سنة 2007 - إلى سنة 2009م.

وإني أحمد الله تعالى واشكره أن ساقني لمعرفة ومصاحبة هؤلاء العلماء الأخيار الأجلاء، وصدق من قال : (الطيور تقع على أفنانها).

أي تختار أعلى غصن في الشجرة، كي يرقص بها، خصوصا عند مهب الريح بل مهب الرياح، فالأقدار – خيرا كانت أو شرا – تأتي على حين غفلة، وليس للإنسان فيها يد، فهو (مسير لا مخير) ومن عرف الله (فقد هدي إلى صراط مستقيم).



سيدي
محمد العربي الخطيب

من العلماء الأعلام العاملين في العاصمة الشمالية للمغرب تطوان الفيحاء، المدينة المجاهدة الصامدة برجالها المخلصين وعلمائها المتضلعين، وزعمائها السياسيين الماهرين.

نتناول أحدهم في هذه العجالة، بشيء من التفصيل مع بعض الاختصار ما أمكن فيما كتب عنه وعرف به.

إنه العلامة سيدي محمد العربي الخطيب التطواني ولادة ومنشأ ووفاة وقبرا، عاش القرن الرابع الهجري كله، إلا أربعة أعوام، حيث ولادته 1304هـ ووفاته 1400هـ، الموافق 1885م - 1980م.

تعلم في مسقط رأسه تطوان مبادئ القراءة والكتابة، حفظ القرآن الكريم وهو في مرحلة الطفولة، ولم يبلغ بعد سن الشباب، ثم شرع يقرأ العلوم بدء باللغة العربية وببعض مبادئ الفقه، وببلوغه ثمانية عشر عاما وذلك عام 1322هـ ارتحل إلى فاس، العاصمة العلمية ذات المكانة العظيمة في هذا المغرب العزيز بوجود جامعة القرويين العتيدة بها، وفي هذه الفترة الممتدة من بداية القرن الرابع عشر الهجري فما بعده كان بالقرويين من العلماء الفطاحل ذوي المكانة السامية في مختلف العلوم أمثال سيدي أحمد بن المامون البلغيثي، وسيدي أحمد بن الجلالي المغاري، وسيدي أحمد بن

الخياط الزكاري وسيدي عبد الصمد كنون، وسيدي محمد أقصبي، وسيدي عبد الرحمان القرشي، بالإضافة إلى الشيخ شعيب الدكالي الذي كان يحضر إلى فاس شهرا في العام، يدرس بها. وآخرين كثيرين.

وقد قضى في جامعة القرويين بفاس 5 خمس سنوات ينهل من معينها الفياض، وعاد إلى تطوان 1327هـ وعمره ثلاث وعشرون عاما، ولم يمر عليه الحول في تطوان، حتى غادرها إلى الشرق، قاصدا الأزهر الشريف بمدينة القاهرة، حاضرة أرض الكنانة، وذلك عام 1328هـ، فدرس بالأزهر الشريف، وتعرف هناك على السلفي الشهير الشيخ محمد رشيد رضا، ودرس عليه التفسير، وعلوما أخرى كثيرة والشيخ رشيد رضا الذي اشتهر بتفسيره الكبير : (المنار) الذي كان قد ابتدأه أستاذه الشيخ محمد عبده المتوفى: 1905م، والذي قيل عنه إنه أوصله إلى قوله تعالى: ﴿... رب قد - آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ...﴾ يوسف 101 ثم أتمه الشيخ رشيد رضا، وتفسير المنار من التفاسير المعتمدة عند المفسرين.

وبعد ثلاثة أعوام ها هو مترجمنا العلامة سيدي محمد العربي الخطيب يعود إلى وطنه، ويستقر بمدينته تطوان، وأول عمل بدأه وشرع فيه، أسس مدرسة عربية إسلامية حرة، جمع فيها عددا من الطلبة يدرس لهم فيها بعض العلوم العربية والإسلامية كالتفسير والحديث والسيرة النبوية وعزم على أن يقوم ببعض الأعمال الاجتماعية في مدينة تطوان إلا أن سلطة الاستعمار الاسباني وقفت عائقا في مشروعه، فقرر أن ينتقل إلى قرية قصبة ابن أحمد القريبة من مدينة خريبقة في بلاد الشاوية وذلك عام 1339هـ وبعد مضي ثلاثة أعوام انتقل إلى الدار البيضاء، وعمل بها في خطة العدالة، وفي عام 1350هـ عرض عليه القضاء ورفضه معللا إنه سيتوجه الى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحجج وزيارة قبر المصطفى ﷺ. وفعلا سافر لقضاء

مأربه، ويوم عودته بعد غياب دام قريبا من عام آوى إلى مسقط رأسه تطوان، وحط العصا من على كتفيه كما يقولون، لكن هذا بالنسبة إلى التنقل والترحال، والى السفر والتجوال.

أما العمل في ميدانه العلمي والتثقيفي، فلم يحط العصا وإنما واصل السير والعمل، شأنه شأن العلماء العاملين، فها هو يدرس التفسير والحديث والسيرة النبوية بالإضافة إلى الإمامة في الصلوات الخمس بالمسجد الأعظم بتطوان.

ومن أعماله الأخرى إنه كان يعمل في الصحافة، عمل محررا في جريدة : (شمال إفريقيا) التي كانت تصدر بتطوان، كما تولى كذلك تحرير صحيفة : (الإصلاح) وهذه الأخيرة كان يشرف عليها المجمع العلمي بتطوان لذلك دعي سيدي محمد العربي الخطيب : (رائد الصحافة المغربية) هذه الجريدة عاشت خمسة عشر عاما صدر العدد الأول منها في 29 يناير 1917م وآخر عدد في 31 دجنبر 1931م، ومجموع الأعداد الصادرة في هذه الفترة 435 عددا مصادر هذه الفذلكة من ترجمة سيدي محمد العربي الخطيب التطواني،

1) إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين. ص: 452 ضمن مجموعة من العلماء الأفاضل القريبي العهد بحاضرنا، وقد بلغ مجموع من تناولهم وترجم لهم الأستاذ الراحل سيدي محمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج مائة وواحدا وهو من تلامذة شيخنا سيدي محمد ابن عبد السلام الطاهري، وكان يزوره كثيرا، وقد حضرت زيارته إن لم أقل مائة مرة فعشرات المرات يتأبط ملفا فيه أوراق وقلما يسأل ويسجل يناقش ويكتب.

2) محمد العربي الخطيب رائد الصحافة بالمغرب، لنجله الفاضل أخينا وصديقنا الدكتور العلامة سيدي إسماعيل الخطيب، أطال الله عمره، وأعانه على ما فيه الخير من العمل الصالح.

بعد تناولنا للشخصية الفذة العلامة الجليل سيدي محمد العربي الخطيب رأيت أن أكتب نبذة مختصرة، - كتتمة لأعماله ونتاجه الذي يشير إليه الحديث الشريف، إذا مات ابن آدم انقطع عمله، إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم بثه في صدور الرجال، أو ولد صالح يدعو له، رواه أبو داود والترمذي والنسائي ورواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) من هذه الثلاثة التي عملها جار بعد موت صاحبها، الولد الصالح، إذن فثمرة هذا العمل، هي : «ابنه البار، فلذة كبده صديقنا وحبيبنا العلامة الدكتور إسماعيل الخطيب، وفي المثل : (هذا الشبل من ذاك الأسد) والمثل الآخر الذي ورد فيه : (العصا من العصية - وفي رواية : العصية من العصا - والحية لا تلد الأحيية).

فالدكتور إسماعيل الخطيب نسخة من أبيه، وصورة من صور أعماله، شق الطريق - طريق العلم - الذي شقه أبوه، إن لم نقل زاد عليه، فهو علامة جليل، أستاذ بكلية أصول الدين، وخطيب الجمعة بالمسجد الكبير وخطيب العيدين الفطر والأضحى، وواعظ بمسجد الحسن الثاني، ومساجد أخرى بتطوان.

وهو مؤلف لعدد من الكتب نذكر منها :

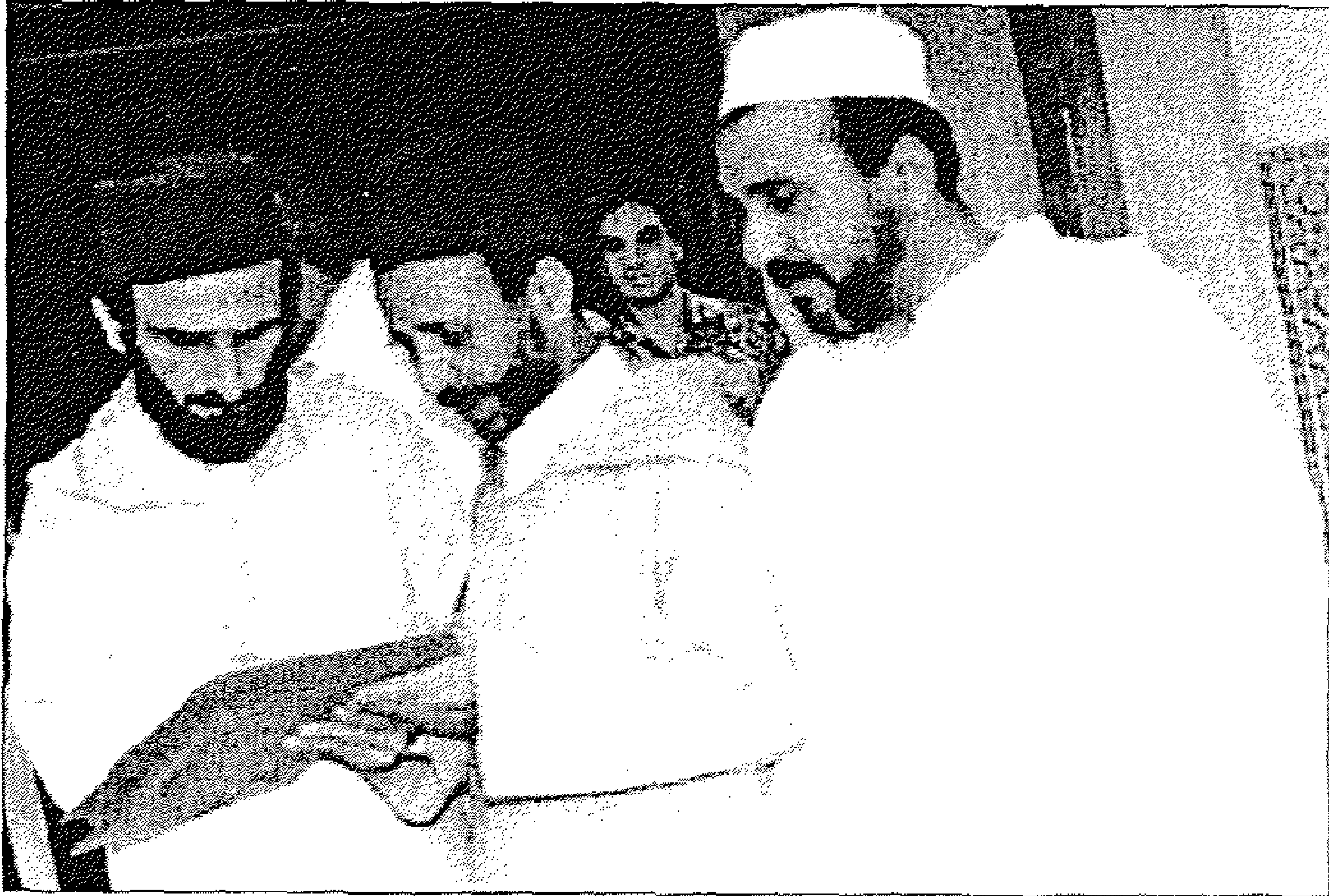
1) محمد العربي الخطيب، رائد الصحافة بالمغرب، وهو دراسة ذاتية لوالده.
2) الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع.
3) نحن وفلسطين واليهود.
4) خطب الخطيب ثلاثة أجزاء.
5) لماذا الأحد؟
6) المختار من المعيار
7) الإشراف على أعلى شرف
8) معجم أعلام سبتة

وأخيرا جاء على مجلة النور العدد 445 الصادر بتاريخ دجنبر 2005 إنه أصدر:

9) خطب الخطيب بالجامع الكبير.

10) في فقه السياسة

11) وأخيرا إنشاؤه لجريدة النور، الذي هو مديرها المسؤول، ورئيس تحريرها منذ 36 سنة، وكانت نصف شهرية إلا أنه بعد أن صدر منها426 عددا حولها إلى مجلة وقد جعلها شهرية، ومجلة النور صحيفة إسلامية تعالج مواضع شتى عقائدية، وفقهية: عبادات ومعاملات، وأدبية وتاريخية وسياسية، نرجو لها الدوام والاستمرار، لخدمة العروبة والإسلام، وأخر عدد صدر لغاية ربيع الاول عام 1431 هـ الموافق لشهر مارس 2010م، 461.



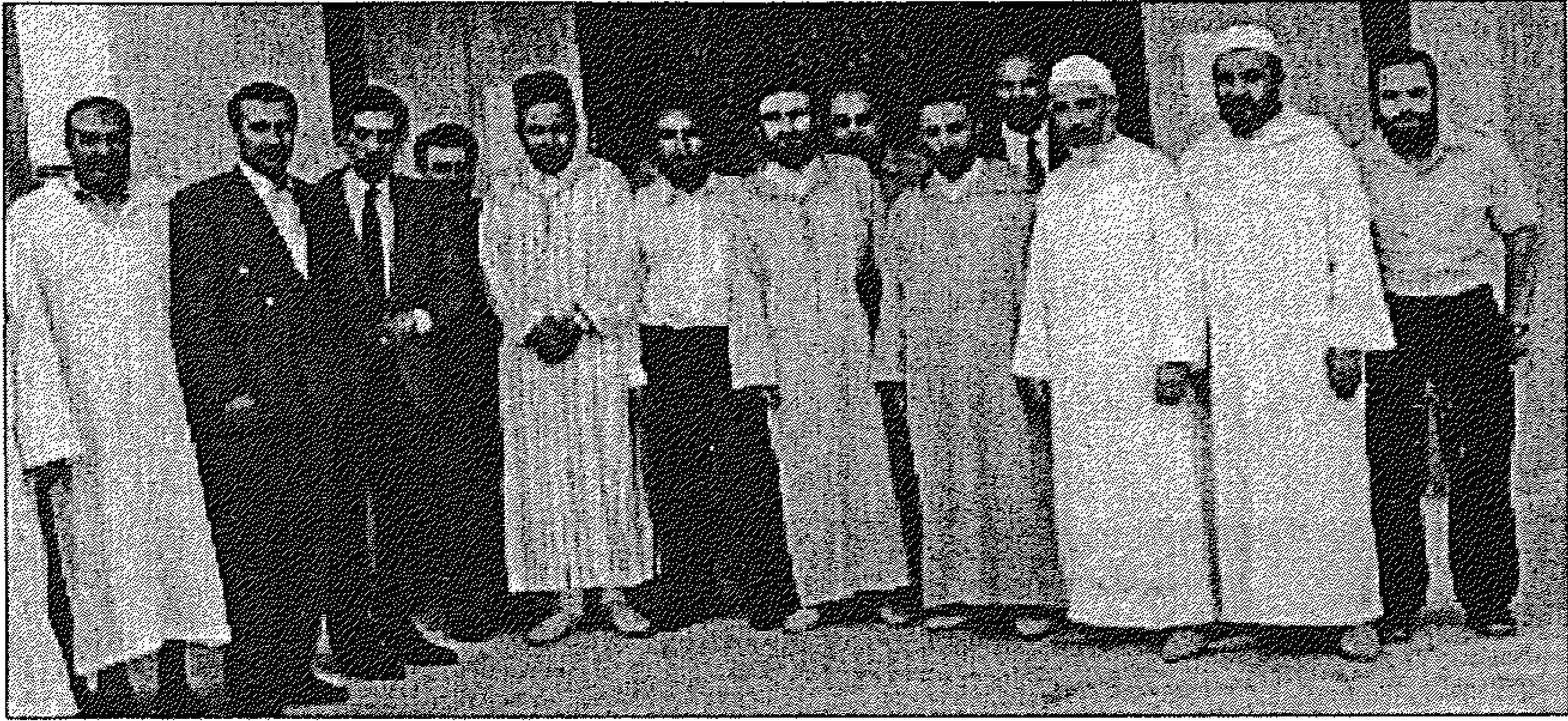
وهذه الصورة جمعتني مع الدكتور اسماعيل الخطيب مساء يوم الثلاثاء 18 محرم الحرم عام 1415هـ/ 28 يونيو 1994م بقاعة الجماعة الحضرية التابعة لعمالة زواغة مولاي يعقوب كونه حضر إلى فاس لإلقاء محاضرة تحت عنوان :

العبادة في الإسلام، مفهومها ومزاياها.

وها هو يكتب عنواني لإرسال جريدة النور.

والى يساري السيد بن سالم العمراني وهو أخ وصديق لنا، وهذا بعد خروجنا من القاعة التي ألقى فيها محاضرته، وإلقاء محاضرته كان قيما، وجزئية أسجلها هنا تعرض لها في محاضرته، وهي عجيبة، قال إن المصريين القدامى كانوا يعبدون حشرة (الجعلان) وهو نوع من الخنافس، لا يعيش، إلا على ما فيه الروائح الكريهة، وقيل عنه : إن شم رائحة زكية مات في حينه، والجعلان مثلث الجيم.

وفي المصباح المنير الجعل وزن عمر (الحرباء) وجمعه (جعلان)



بسم الله الرحمن الرحيم

وهذه رسالة أرسل بها إلي:

تطوان 3 ربيع الأول 1423
2002 - 5 -16

فضيلة الأخ المكرم الأستاذ السيد محمد بن عمر العزوزي حفظكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

تسلمت خطابكم من يد أخينا الكريم حفظه الله ورعاه، وقد اغتبطت بهديتكم القيمة، كتاب (عقد الجواهر الحسان) للعلامة سيدي محمد الطاهري رحمه الله وأثابه الثواب الأوفى على ما ترك من علم ينتفع به جيلا بعد جيل وأثابكم على هذا المجهود الكبير الذي بذلتموه في جمع الكتاب وتبويبه وطبعه وإخراجه، حتى جاء في حلة قشيبة تمتع القارئ وتفيده، فلله درك من محب للعلم والعلماء.

كما تسلمت من الأخ الكريم مبلغ اشتراككم مع بعض إخوانكم في جريدة (النور) وإن مداومتكم على دعم جريدتكم دليل واضح على ما تكنونه للعمل الدعوي من تقدير فلكم خالص الشكر والثناء.

وقد سعدت بالصورة التي تجمعنا وهي ذكرى عزيزة مع إخوة أعزاء أسأله تعالى أن يجعلنا من المتحابين فيه وأرجو أن نلتقي في القريب بحول الله وقوته كما أرجو أن تبلغ سلامي وتقديري للإخوة أحمد، المسري وعزيز الوزاني الطيبي ومحمد أبياط حفظهم الله ورعاهم وجعلنا جميعا من أهل كرامته والسلام عليكم ورحمة الله.

محبكم :
إسماعيل الخطيب
ص.ب 375 تطوان
هـ: 039974450
محمول: 067065611
زنقة بيروت رقم 112
حي سفير تطوان

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة المغربية
وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
نظارة أوقاف زواغة مولاي يعقوب

دعوة

يتشرف ناظر أوقاف زواغة مولاي يعقوب باستدعاء جنابكم للمحاضرة التي سيلقيها فضيلة :

• الاستاذ إسماعيل الخطيب •

استاذ مادة الفكر الاسلامي بكلية اصول الدين بتطوان تحت عنوان :

" العبادة في الاسلام مفهومها ومزاياها "

وذلك يوم الثلاثاء 18 محرم 1415 الموافق 28 يونيو 1994 على الساعة الخامسة والنصف بالقاعة الكبرى للجماعة الحضرية زواغة مولاي يعقوب - فاس.

بسم الله الرحمن الرحيم

وهذه رسالة أرسل بها إلي:

تطوان 3 ربيع الأول 1423
2002 - 5 - 16

فضيلة الأخ المكرم الأستاذ السيد محمد بن عمر العزوزي حفظكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

تسلمت خطابكم من يد أخينا الكريم حفظه الله ورعاه، وقد اغتبطت بهديتكم القيمة، كتاب (عقد الجواهر الحسان) للعلامة سيدي محمد الطاهري رحمه الله وأثابه الثواب الأوفى على ما ترك من علم ينتفع به جيلا بعد جيل وأثابكم على هذا المجهود الكبير الذي بذلتموه في جمع الكتاب وتبويبه وطبعه وإخراجه، حتى جاء في حلة قشيبة تمتع القارئ وتفيده، فلله درك من محب للعلم والعلماء.

كما تسلمت من الأخ الكريم مبلغ اشتراككم مع بعض إخوانكم في جريدة (النور) وإن مداومتكم على دعم جريدتكم دليل واضح على ما تكنونه للعمل الدعوى من تقدير فلكم خالص الشكر والثناء.

وقد سعدت بالصورة التي تجمعنا وهي ذكرى عزيزة مع إخوة أعزاء أسأله تعالى إن يجعلنا من المتحابين فيه وأرجو أن نلتقي في القريب بحول الله وقوته كما أرجو أن تبلغ سلامي وتقديري للإخوة أحمد، العسري وعزيز الوزاني الطيبي ومحمد أبياظ حفظهم الله ورعاهم وجعلنا جميعا من أهل كرامته والسلام عليكم ورحمة الله.

محبكم :
إسماعيل الخطيب
ص.ب 375 تطوان
هـ : 0539974450
محمول: 0667065611
زنقة بيروت رقم 112
حي سفير تطوان



الشيخ محمد داود

مدينة تطوان عاصمة المنطقة الشمالية لمغربنا العزيز، وهي حاضرة من حواضر العروبة والإسلام أنجبت العلماء والفقهاء والزعماء والسياسيين، لعبت دورا هاما أيام الكفاح وأيام القتال مع المستعمر الفرنسي ومن أبنائها المخلصين وعلمائها العاملين الأستاذ الشيخ سيدي محمد بن الفقيه العدل الحاج أحمد بن محمد داود الأندلسي أصلا، .... التطواني منشأ ودارا كانت ولادته : 1318هـ 1900م، حفظ القرآن الكريم مع عدد من المتون، وهو صغير ثم شرع يدرس العلوم العربية على اختلاف أنواعها، وببلوغه 20 سنة 1338م أم جامعة القرويين بفاس ليكرع من حياضها ويرتشف من ينابيعها ومن العلماء الذين أخد عنهم: سيدي أحمد بن الخياط الزكاري، وسيدي أحمد بن الجيلالي المغاري شيخ الجماعة في وقته، وسيدي عبد الله الفضيلي، وعلى سيدي الفاطمي الشرادي، وعلى سيدي الراضي السناني وعلى الشريف سيدي المهدي الوزاني، وعلى الشيخ شعيب الدكالي وقت حضوره الى فاس شهرا في كل عام، وآخرين.

وحين أنهى دراسته عام 1340هـ لم يغادر فاسا إلى مسقط رأسه تطوان، بل بدأ يزاول بعض الوظائف في المدينة التي قرأ فيها العلم، أصبح خطيب الجمعة بالجامع الكبير بفاس الجديد، وخطيب هذا الجامع هو الذي يصلي خطبة العيدين الفطر

والأضحى في المنطقة الغربية لمدينة فاس، وهي منطقة فاس الجديد، ومن وظائفه أيضا تولى خطة العدالة، بأحباس فاس الجديد أولا، ثم بأحباس القرويين ثانيا، وتولى عدة وظائف أخرى، يضيق المقام لذكرها.

ومن أعماله الأخرى : أسس المدرسة الأهلية بتطوان عام 1343هـ، وكان مديرا لها، وأنشأ بعدها شركة المطبعة المهدية بنفس المدينة، وأصدر جريدة (السلام) عام 1352هـ وكان مديرها، ثم بعدها جريدة (الأخبار) الأسبوعية، ومثل المغرب مرتين في المؤتمر العالم الإسلامي في بغداد، وفي القدس، وحج الى بيت الله الحرام مع زيارة قبر المصطفى ﷺ، 3 مرات 1353هـ و1372هـ 1375هـ وتجول في عدد من بلدان العالم في الشرق الأوسط، وفي أوربا كذلك.

يشتهر الشيخ محمد داود بكتابه القيم : (تاريخ تطوان) في ثماني مجلدات، وله كتب أخرى، ولا نعلم أهي طبعت أم لا؟

توفي رحمه الله يوم الاثنين 4 رمضان عام 1404هـ/ 1984م وقد أقام له المجلس البلدي بتطوان مع اتحاد كتاب المغرب ندوة بعنوان (محمد داود الحركة الوطنية في الشمال...) بتاريخ 24-25-26 نونبر 1989 شارك فيها خمسة عشر مشاركا، بدءا بوزير الثقافة الحالي السيد محمد الأشعري، ومرورا بكريمته: حسناء محمد داود وآخرين.

الشيخ محمد داود، عالم جليل، من العلماء العاملين، ومن رجال الدين المخلصين، ملأ حياته كلها علما وتعليما، أخذا وعطاء، كافح في سبيل وطنه، وجاهد في سبيل الله، حتى لقي ربه، فرحمة الله عليه رحمة واسعة.



الشيخ العربي اللـوه

عالم أصولي، وفقيه من فقهاء المذهب المالكي، ومدرس لعلوم الدين في المنطقة الشمالية، وموظف سامي في عدة مناصب من وظائف الدولة، إنه العلامة الأستاذ سيدي العربي بن الحاج علي الشهير بـ (اللوه) ابن عمر بن زيان بن حمو العمارتي، نسبة إلى بني عمارت في قبيلة بقيوة (أو بني بيقو) المحسوبون على قبيلة بني ورياغل إحدى قبائل الريف، وبقيوة (أو بني بيقو) قبيلة ممتدة على ساحل البحر المتوسط بين جزيرة النكور عند مدينة الحسيمة (بيا سنخرخو) شرقا، وجزيرة باديس غربا عند مصب وادي اللهو (وادي لاو) (واللوه) كلمة محرفة من اسم علي إلى (أعليلو) وأعليلو، محرفة كذلك إلى (اللوه)، واسمه مشهور عند الخاص والعام: الشيخ العربي اللوه.

ولادته كانت 1323هـ في قبيلته بقيوة، حفظ القرآن الكريم وهو صغير، إلى جانب عدد من المتون كالأجرومية والمرشد المعين، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وانتقل إلى بعض القرى الجبلية في الجهة الغربية للريف يتلقى العلوم على اختلاف أنواعها، وأخيرا قرر أن يهاجر إلى تونس الشقيقة، ليلج كلية جامعة الزيتونة، ويندرج في نظامها، فتاقت نفسه إلى علوم الدين، فدرس بهمة عالية علم العقائد (التوحيد) وعلم أصول الفقه، وباقي العلوم الأخرى إلى جانب العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة، وبعد ست سنوات من الدراسة والتحصيل عاد إلى وطنه، وكان ذلك عام 1349هـ فهو رحمه الله من الذين يصدق عليهم قول الله تعالى :

(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) فالعصاميون - عادة - قليلون غرباء، يصنعون مستقبلهم بنفسهم، - وطبعا - توفيق الله حليفهم.

وها هو يتولى خطة القضاء في قبيلة بني يدر، ثم نائبا لمدير الأحباس بناحية الناضور، ثم مستشارا شرعيا بنيابة الأمور الوطنية بتطوان، ووزيرا للأحباس في المنطقة الخليفية، ثم أستاذا بالمعهد الديني العالي، وأخيرا أستاذا بكلية أصول الدين التابعة لجامعة القرويين بفاس، وتولى منها الفتوى بمنطقة الشمال، وانتخب نائبا في مجلس النواب في أول برلمان وطني أنشئ بالمغرب سنة 1963م، حج إلى بيت الله الحرام، وزار قبر المصطفى ﷺ.

آثاره ومؤلفاته:

1) أولا : كتاب : (أصول الفقه) من 440 صفحة الحجم الكبير طبع بتطوان 1970م مطبعة : (كريماديس)

وأذكر إني لما اقتنيته أواخر السبعينات، أطلعت عليه شيخنا سيدي الفقيه الطاهري، وبدأت أسرد عليه بعض الفصول، فطلب مني رحمه الله أن اقتني له نسخة منه، ومما قال لي رحمه الله: (يشهد الله أن هذا الرجل أو هذا العالم واسع الاطلاع في هذا العلم، علم اصول الفقه، لأنه العلم الذي تعرف به الأدلة، وهو المصدر الذي يرتكز عليه التشريع، فالفقيه المتضلع إن لم يكن عارفا بعلم أصول الفقه لا ينبغي له أن يتصدر للفتيا والإفتاء.

2) كتاب : (الرائد في علم العقائد) من 232 صفحة الحجم المتوسط، وهو نفيس جدا.

3) كتاب : (المنطق التطبيقي)، كتاب متوسط الحجم طبع 1974م عدد صفحاته 174 صفحة.

4) كتاب : (المنهال في كفاح أبطال تطوان) وهذا الاخير لازال ينقصني لم أعثر عليه.

ملأ رحمه الله حياته من يوم أن رأى النور، بل ومن وقت شبابه الى يوم وفاته وقبره، درسا ودروسا، تعلما وتعليما.

كانت وفاته - رحمه الله - يوم الخميس 22 ذي القعدة الحرم عام 1408هـ 1988م، وعمره 85 عاما رحمة الله عليه رحمة واسعة.

ومن الصدف الغريبة إنه كان يدرس بجامع الزيتونة بتونس السنوات الستة 1944-1949م كان من رفقائه في الدراسة الشيخ عبد اللطيف سلطاني العالم الجزائري، - وحيث كل منهما عاد إلى وطنه، هاهما سيلتقيان صدفة في مدينة تطوان حمل معه كمية من كتابه : (المزدكية هي أصل الاشتراكية) وفي مكتبة الأخ السيد عبد السلام العافية بتطوان يلتقي الرجلان، ولا احد منهما يعرف الآخر، - حسبما حكى لي الشيخ عبد اللطيف - قال : الشيخ العربي اللوه: أأنت من علماء تونس أجبته: لا، أنا من علماء الجزائر، إلا أني قرأت في جامع الزيتونة قلت له في أي السنوات؟ قال السنوات كذا، قال لي أين كنت تسكن؟ قلت له في مدرسة كذا، قال لي : هل كان معكم من الطلبة المغاربة آنذاك؟ قلت له : أحدهم اسمه: نور الدين، قال أنا هو نور الدين، لأني كنت آنذاك باسم مستعار، قال لي الشيخ عبد اللطيف فدعاني إلى منزله وأضافني عنده، وزرت وإياه مدينة سبتة وفي سيارته التي تسوقها كريمته الدكتورة آمنة اللوه، وهذه الأخيرة ترجم لها عبد الوهاب ابن منصور في كتابه (أعلام المغرب العربي) وهي الترجمة الثانية بعد ترجمة الأميرة آمنة بنت محمد الخامس.

ويعد هذا اللقاء بين العالمين الجليلين: الشيخ العربي اللوه المغربي التطواني، والشيخ عبد اللطيف سلطاني الجزائري مناسبة كانت على غير موعد، ولعلها تتمة لمعرفة مرت عليها سنوات طوال.

العلامة المشارك سيدي عبد الله
ابن عبد القادر التليدي

من العلماء الأجلاء الغائصين في العلوم المختلفة من تفسير وحديث وفقه، وسيرة وتاريخ، الى جانب علم الحساب والتوقيت، والفلك والجغرافية، إنه حفظه الله علامة مشارك.

أبو الفتوح سيدي عبد الله بن عبد القادر التليدي، ولادته سنة : 1926م بقرية الصاف، من قبيلة بني جرفظ (ينطق العامة حرف الجيم) - من جرفظ - كافا مصريا، مقره وسكناه طريق القرية، دار القرآن والعلوم الدينية حي مرشان مدينة البوغاز، طنجة الفيحاء.

في كتاب : (أهل السنة والشيعة بين الاعتدال والغلو) صفحة 227، حيث لخص حياته، وذكر بعضا من سيرته الذاتية، يذكر أنه ينحدر نسبه من سيدي عبد الله، بن مولانا إدريس الأزهر ابن مولانا إدريس الأكبر، فاتح المغرب عام 172هـ ابن مولانا عبد الله الكامل، ابن مولانا الحسن المثنى ابن مولانا الحسن السبط، ابن مولانا علي كرم الله وجهه، ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ.

وجدت أن اللقيا به، في هذه الشجرة المباركة في المولى ادريس الأزهر رضي الله عنه.

فجده عبد الله بن ادريس، وجدنا نحن ذرية علي بن عزوز أبناء محمد بن ادريس، وهو الأكبر في هذه السلسلة.

ففي كتاب : الجراب لسيدي عبد الصمد بن سيدي التهامي كنون، والد سيدي عبد الله كنون المتوفى سنة 1989م، صفحة : 133، إن العلامة سيدي عبد السلام بن الطيب القادري، أنشد هذين البيتين في أولاد المولى ادريس الأزهر، فقال :

(أبناء ادريس بن ادريس الولي محمد أحمد قاسم علي
حمزة داود ويحيى عمر ادريس عبد الله عيسى جعفر)

فجده عبد الله هو العاشر في البيتين، وجدنا نحن أولاد علي بن عزوز، هو الأول فيهما، وجدنا المولى إدريس الأزهر، ترك اثنى عشر ولدا ذكرا، ولم يترك بنتا أنثى ولو واحدة وهذا العقب من هذا الولي إدريس الثاني ابن الولي إدريس الأول، هو سر انتشار أبناء المصطفى ﷺ، في هذا المغرب العزيز.

وذرية رسول الله ﷺ، حين قال لأم سلمة رضي الله عنها، بعد أن أجلس سيدنا الحسن على فخذه الأيمن وسيدنا الحسين على فخذه الأيسر وأمهما فاطمة الزهراء أمامه، واجلس عليا خلفه، وقال لأمي سلمة : (أحيطي بنا هذا الإيزار) ثم دعا : (اللهم هؤلاء أهل بيتي).

فقالت أم سلمة رضي الله عنها : وأنا يا رسول الله أجابها ﷺ : (أنت مكانك) يعني أنت مقامك، إحدى زوجاته ﷺ ومقام زوجاته ﷺ، يكفيهن فخرا وشرفا، إنهن أمهات المومنين، ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ سورة الأحزاب بعض الآية : 6.

وخاطبهن كذلك : ﴿فإنّ الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾ نفس السورة، بعض الآية 29.

ورفع من شانهن، فخاطبهن : ﴿يا نساء النبيء لستن كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ نفس السورة بعض الآية 32.

«اللقيا معه، والمعرفة به»

معرفتي بسيدي عبد الله التليدي، واتصالي به،

أولا : اشتريت كتابه : (المرأة المتبرجة وسلوكها السيء).

ثانيا : كتاب: (المبشرون بالجنة).

ثم علمت أنه يسكن مدينة طنجة، فعزمت على زيارته وفي فصل الخريف من سنة 2003م - وأنا في مدينة طنجة، امتطيت سيارة أجرة صغيرة، فأوصلتني الى زاويته ومسجده حيث سكناه، بحي مرشان القريب من القصر الملكي، وكنت - ولله الحمد - على وضوء فانتظرته إلى أن خرج لأداء صلاة الظهر بالجماعة وجل المأمومين معه، هم طلبته، الذين أتوا من كل حدب وصوب، للأخذ عنه العلوم المختلفة، وحين برز من باب متصل بمسجده، وكأنه أسد فارق عرينه وترك الغابة .... يميل إلى الطول، لحيته خفيفة خضبها بعض الشيب، على رأسه عمامة خضراء، ربطها على طربوش أحمر، لباس مغربي فضفاض، علامة الجد والحزم، والسكينة والوقار، بادية على محياه، صلى بنا صلاة الظهر، صلاة متأنية، أطال في ركوعها وسجودها، وقد أعطى لها حقها، وحين أتم بنا الصلاة، تقدمت إليه، وأردت تقبيل يده اليمنى، ولكنه جذبها ولم يتركني أتشرف بها، قدمت له نفسي: محمد بن عمر بن علي العزوزي، من منطقة بلاد الريف، أقطن - حاليا - مدينة فاس، تقاعدت من مهنة التربية والتعليم، بعد أن أشرفت على سن المعاش، ثم أخرجت من محفظتي كتاب (عقد الجواهر الحسان) الذي جمعته عن شيخنا الطاهري رحمه الله وقلت له: هدية تقبلوها مني، فأخذ الكتاب ونظر في عنوانه، وبدأ يتصفح بعض فصوله، وأخيرا انتقل إلى الفهرس، ثم طوى الكتاب وشكرني ثم قال لي: انتظر فدخل من حيث قد خرج، وجاءني بكتابين اثنين:

أحدهما : (دلائل التوحيد، انطلاقا من القرآن والكون).

شرح سبعمائة آية، في الدلالة على الله، مجلد ضخم، الوجه الأول محلى بماء الذهب، عدد صفحاته : 424 صفحة.

ثانيهما : (أهل السنة والشيعة بين الاعتدال والغلو) متوسط الحجم، عدد صفحات الكتاب 238 صفحة وتناولت عنده طعام الغداء، غداء متواضع - مشفوع بفاكهة العنب الاسود.

ومن مؤلفاته التي اقتنيتها، بعد التاريخ السالف الذكر:

1 - إتحاف أهل الوفا، بتهذيب كتاب الشفا. مجلد ضخم - محلى بالذهب - من 584 صفحة.
المطرب بمشاهير أولياء المغرب، مجلد متوسط الحجم عدد صفحاته 256 صفحة.

2 - فضائل الصحابة والدفاع عن كرامتهم، مجلد متوسط من : 237 صفحة.

نصب الموائد لذكر الفتاوي والنوادر والفوائد جزآن غير مجلدين، ووصل أخيرا الجزء الثالث مجلد من 320 صفحة، وهو مملوء وعامر علوما وفوائد.

الجزء الأول عدد الصفحات : 176 صفحة .

الجزء الثاني عدد الصفحات : 278 صفحة.

وله كتب أخرى، في علوم مختلفة، فهو أطال الله عمره، من الذين قيل فيهم : (خير خلف لخير سلف).

المراسلة بيني وبينه :

وحين عودتي الى فاس، تجولت في الكتابين اللذين أهداهما إلي : (دلائل التوحيد) و(أهل السنة والشيعة)، بعثت إليه برسالة أشكره على استقبالي، وضيافته لي، وحسن معاملته.

ها هو يراسلني ويخاطبني برسالة ليست بالطويلة، ولكنها جامعة لمعان كثيرة، واحتوت ثناء كبيرا، وتشجيعا لي على ما قمت به من جمع كتاب، (عقد الجواهر الحسان) وقدر العمل حق تقدير، جزاه الله عنا خير أحسن الجزاء، وها هي الرسالة أنشرها على صفحات الكتاب بالصورة الفوتوغرافية، وكذلك الغلاف الذي أرسلت فيه.

ثم أعيد كتابتها :

الشيخ محمد بن عمر العرزوزي
زنقة 4 الدار 8
حي الموظفين / الدكارات
فاس المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

من عبد الله التليدي إلى أخيه الكريم العلامة الجليل
المتفنن الباحث السيد محمد بن عمر العرزوزي.
وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته
وبعد فقد وصلنا خطابكم الكريم الذي تعرفون فيه
بزيارة [illegible] عبيد ربه [illegible]
[illegible] التي تقتبسونها من طلبة العلم والتعلم
[illegible] ومن [illegible] في طلب
العلم [illegible] بالتعرف عليكم فإن أمثالكم
قليل في زمننا هذا من النوادر الغرباء فقد ذهب
العلم والعلماء ولم يبق إلا المتشبهون المتطفلون
أصحاب الشهادات الجوفاء [illegible]
[illegible] العلم والعلماء...
أخي الكريم لقد قرأت كتابكم القيم الذي جمعتم
فيه طائفة من العلوم والمعارف والفوائد
الغريبة والعزيزة مما يتعذر وجود مثله في
المكتبة الإسلامية فجزاكم الله خيرا وكثر من
أمثالكم ونفع بكم وختم أعمالكم بالسعادة

وختاما والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
وكتب عبد الله التليدي بتاريخ ٢١/٦/١٤٢٣هـ
بطنجة

[illegible] عبد ربه تجدونها آخر كتابي [illegible]
[illegible] وسيطبع قريبا : ذكريات
من حياتي إن شاء الله تعالى، والسلام.

نص الرسالة التي أرسل بها إلي :

بسم الله الرحمان الرحيم،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

من عبد الله التليدي إلى الأخ الكريم العلامة الجليل المتفنن الباحث، السيد محمد بن عمر العزوزي، وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلني خطابكم الكريم الذي تعرضتم فيه لزيارة طنجة، وزيارة عبيد ربه وتعريفكم بحياتكم الطيبة التي قضيتموها في طلب العلم والتعليم، وفي مشاركتكم في مقاومة العدو، والجهاد في سبيل الله، وإننا معتزون بالتعرف عليكم، فإن أمثالكم في هذا الوقت من النوادر الغرباء، فقد ذهب العلم والعلماء، ولم يبق إلا المبتورون السطحيون، أصحاب الشهادات الجوفاء، المتفرنجون، فعزاؤنا في العلم والعلماء.

أخي الكريم قد قرأت كتابكم القيم الذي جمعتم فيه طائفة من العلم والمعرفة، والفوائد الغريبة والعزيزة، ما يقل وجود مثله في المكتبة الإسلامية، فجزاكم الله خيرا، وكثر من أمثالكم، ونفع بكم، وختم لنا ولكم بالسعادة آمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب عبد الله التليدي بتاريخ 21/6 جمادى II 1423هـ بطنجة، وحياة عبد ربه تجدونها آخر كتابي : (السنة والشيعة) موجز، وسيطبع قريبا، ذكريات من حياتي إن شاء الله تعالى، والسلام.

أمين تجار فاس وأمين تجار مصر

ومن الحكايات والنوادر الغريبة، إن رجلا من أهل فاس يعمل تاجرا بين فاس والقاهرة في أرض مصر، وفي نفس الرحلة يؤدي الحج أو العمرة، وأثناء سفره كان إذا وصل إلى مصر يتوجه إلى أمين تجار ذلك البلد، فيترك عنده ما حمله من أموال التجارة، إلى أن يعود من البقاع المقدسة، وحينذاك يتسلم أمواله ويبيع ويشتري، وهذا دأبه في كل رحلة.

لكن في إحدى رحلاته، لما عاد من البقاع المقدسة، أنكره أمين تجار مصر فسقط في يديه، وبقي هناك لأيام وشهور، وهو أشبه برجل مجذوب يجوب الأزقة والشوارع، وينادي وحده الله الله أينك يا فلان، ويذكر اسم أمين تجار فاس – نسيت اسمه – رآه بعض أهل المغرب، وسمعوه، وحين عادوا إلى بلدهم فاس، أخبروا أمينهم فما كان منه إلا أن قال، إن الرجل قد وقع في ورطة عند المصريين، لابد من إغاثته واستجابة طلبه، فسافر، وبوصوله إلى أرض مصر بحث عن الرجل المغربي أولا وعلم منه الحقيقة، ثم اتفق معه على أن يفاجئه بالحضور عند أمين تجار مصر حين يكون بحضرته، ويطالبه بما أودع عنده فتوجه أمين تجار مدينة فاس إلى أمين تجار مدينة القاهرة، فرحب به وقال له: إني جئت من أرض المغرب ومعي تجارة كبيرة تتكون من كذا وكذا، وعدد له أموالا كثيرة، وهي عند طرف المدينة – وليس معه شيء – وأود أن أضعها عندكم الى أن أعود من البقاع المقدسة، فقال مرحبا بكم على السعة والرحب، وإذا بالرجل المغربي الذي كان قد أنكره يدخل عليهما ويفاجئه قائلا: سيدي الأمين جئت لأتسلم ما أودعته عندك فما كان من أمين تجار مصر إلا أن أجابه نعم، أمانتك عندي تعال وتسلمها فقال أمين تجار أهل مدينة فاس، هذا أمر يجب إنجازه قبل إنجاز أمرنا فذهب معه وسلم له أمانته، وذهب ينتظر الأموال

أو التجارة الموعود بها ولكن، أمين تجار مدينة فاس غادره واختفى، ولم يأته بشيء، وقد رد على الأول ما كان أمين تجار مصر قد أنكره فيه، ويذكرون إن لأهل المغرب، وأهل مصر، أحداث ووقائع .

ومن الحكايات - كذلك - أن المصريين بلغهم أن شاعر الحمراء ابن ابراهيم كثير السخرية والاستهزاء فلا يغلبه أحد، لذكائه وسرعة جوابه.

وقد قام برحلة إلى ارض الكنانة، وصدفة اجتمع مع أحد علماء ذلك البلد، فعزم العالم المصري أن يحرجه بسؤال قائلا له: وهما جالسان في إحدى المقاهي كل منهما على كرسي والطاولة بينهما، فقال له العالم المصري أسألك وأريد جوابا سريعا، (ما الفرق بين العالم المغربي والحمار؟)

فأجابه ابن ابراهيم: مشيرا بيده (هذه الطاولة)

أراد أنا عالم مغربي، وأنت حمار، لأن الطاولة كانت الحاجز بين الاثنين.

انتهى

المحتسب وصاحب الحمار

ومن النوادر والحكايات التي وقعت وجرت في مدينة فاس أن رجلا يملك حمارا يحمل عليه الأثقال للناس، وينتقل بين أزقة وشوارع مدينة فاس وعند الزوال، وحين وقت الغداء، حمل على حماره الذي هو مورد رزقه ورزق أولاده كيسا كبيرا مملوءا بضاعة، ووصل إلى صاحب المطبخ الذي يهيء الطعام للغرباء والعمال والمارين، فأوقف الحمار ودخل إلى ذلك المطعم ليتغدى، فإذا بمحتسب المدينة يمر فيجد الحمار مثقلا بما على ظهره من السلع، فانتظر قليلا، حتى خرج صاحب الحمار من المطعم، ليتم سخرته وعمله، فسأله المحتسب كيف ترك الحمار مثقلا ودخل إلى المطعم ليتغدى؟ ثم قال كم تعطيه من العلف قال: (كاميلا) أي صاعا الذي هو أربعة أمداد، فقال له إيت بذلك الآن فلما أتى بذلك، وضعه في المخلاة، وعلقها في رأس الحمار ليتغدى هو بدوره كما تغدى صاحبه، لكن بعد أن أخذ الأثقال من على ظهر الحمار، وجعلها على ظهر صاحبه، وقال له: ابق على هذا الحال الى أن يتم الحمار علفه وطعامه، عقابا لك، فالرأفة بالحيوان البكماء هي أولى من الرأفة بالإنسان الذي يستطيع الدفاع عن نفسه.

(قنطرة ابن طاطو)

اجتمع أهل الحل والعقد من أعيان مدينة فاس، وقرروا أن يبنوا قنطرة على وادي الجواهر الذي يخترق مدينة فاس ويشطرها إلى شطرين، وشرعوا في عملية الاكتتاب يجمعون المال من أغنياء المدينة، وكونوا لجنة تطوف على من يتوسمون فيه أن يساهم في مشروع بناء القنطرة وقصدوا دار السيد ابن طاطوا، وبوصولهم إلى باب منزله سمعوا إنه يضرب ابنته ويخاصمها حيث أشعلت النار بحبة كبريت (وقيد) كاملة ولم تقسمها، اعتبر ذلك إسرافا منها، لما سمع الوفد المكون لجمع المال، عدلوا عن طرق باب منزله، وأداروا بظهورهم منصرفين، ولما فتح الباب وخرج ورأى الجماعة قد غادروا منزله، نادى عليهم يسألهم عن مجيئهم ومغادرتهم، قالوا له: لاشيء، لكن السيد ابن طاطو ألح عليهم فصارحوه بالمشروع وقالوا له: سمعنا ما جرى بينك وبين ابنتك، كونك تضربها حيث أنها لم تقسم حبة كبريت إلى شطرين عند إشعالها للنار، وظنوا أنه بخيل وشحيح، وبعيد من هذا حاله أن يساهم في بناء القنطرة، عند ذلك قال لهم : إنه سيتولى بناء القنطرة وحده ولا يشاركه فيها أحد، أما أنه يضرب ابنته كونها لم تقسم حبة الكبريت فإنه يعلمها الاقتصاد عندما تذهب إلى بيت زوجها، خصوصا إن تزوجت رجلا فقيرا، أما أبوها فغني.

وقريبا من هذه القصة حكى لي أحد الأعمام، وكان مهاجرا بأسرته في أرض الجزائر، وكان له عدد من الأولاد ذكورا بينهما ابنة واحدة، وصدفة جاء يخطبها رجل من نفس الأسرة، كلاهما من ذرية علي بن عزوز.

حكى لي هذا العم أمرين اثنين، قال :

1) بعد أن تمت الخطبة كلمت هذا الصهر ناصحا إياه، فقلت له : أحذرك إن وقع بينكما خصام يوما من الأيام أن تلعن جدها كما يفعل بعض الأزواج، لأنك إن نطقت بذلك فهو جدك أنت كذلك.

2) قلت لابنتي يوم عرسها، وقبل خروجها الى بيت زوجها، بنيتي فاطمة، ها أنت ستغادرين بيت أبيك، والى رجل لم تعرفيه عليك بالسمع والطاعة.

إذا قال لك قفي على رجليك، أو اجلسي أو أغمضي عينيك أو افتحيهما، فافعلي كل ما يأمرك به، وإياك أن تخالفيه.

وإن خاصمك يوما لا تغضبي، وتتركيه فتأتيني وحدك، فإني لا أدخلك، ولا أرحب بك، إلا إذا كان إلى جانبك.

وهذا أشبه بقصة المرأة التي أوصت ابنتها يوم زواجها، والمثبتة في كتب الأدب، (الآداب العربي لأحمد حسن الزيات ص 25-24) .

قالت المرأة العربية في وصيتها لابنتها ليلة زفافها:

«يابنتي إن الوصية تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، يابنيتي إنك الآن تفارقين الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فاحملي عني عشر خصال، تكن لك ذخرا:

اصحبيه بالقناعة، وعاشريه بحسن السمع والطاعة، وتحري موقع عينيه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ثم اعرفي وقت طعامه، واهدئي عند منامه، فإن الجوع ملهبة، - (جوع الطعام وجوع الجنس) - وتنغيص النوم مبغضة، وكوني أشد الناس له إعظاما، يكن لك أشدهم إكراما، كوني له أرضا يكن لك سماء، وكوني له فراشا يكن لك غطاء، كوني له أمة يكن لك عبدا، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين، حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت أو كرهت، والله يختار لك».

لو كانت الأمهات العربيات المسلمات على طريقة هذه المرأة، في هذه الوصية، لعاش الأزواج والزوجات في هناء وسرور، وفي بحبوحة من العيش، مع القناعة والرضا بالمقسوم، والله سبحانه هو الهادي إلى سواء السبيل.

عالم يجلد مستفتيا

يحكى أن رجلا صدر منه حلف بالطلاق - طلاق زوجته - فندم على ما صدر منه، فقصد جامع القرويين، فوجد عالما من علمائها، قد أنهى دروسه، وخرج عائدا إلى داره، فاعترض له الرجل، وقال له: سيدي جئت للسؤال عن حلف صدر مني بطلاق زوجتي، فماذا يلزمني؟ فقال له العالم: لماذا جئت تسألني أنا بالخصوص؟ قال السائل: لأنك عالم، والعلماء أدرى بمعضلات العوام، فأجابه العالم، بشرط أن تمتثل كل ما آمرك به، وأحل لك معضلتك، قال نعم سيدي، قال : اتبعني، فسارا معا إلى المكان الذي يجتمع فيه العاملون لخدمة الناس، وتسخيرهم وقضاء حوائجهم، والتفت العالم إلى سائله وقال له: ادفع لهذين ريالا لكل واحد منهما، فدفعهما السائل، وقال: اتبعوني كلكم، فصار الموكب أربعة أفراد، العالم والسائل والعاملان، أو الخادمان، إلى أن وصل الكل إلى دار العالم، وفتح الباب، وقال لهم : ادخلوا، وحين دخل الكل إلى دار العالم، سد الباب، وجعل لها المعراض، وقد سدها سدا متينا، وقال للرجلين العاملين: اطرحوه إلى الأرض، واشرعوا في جلده وضربه، فجعل يصرخ ويستغيث، ولا مغيث، والعالم يقول: اضربوا، اضربوا، وجعل يخاطبه قائلا: المرأة في بيتها تكنس الدار، وتطبخ الطعام، وتغسل الملابس، وتربي الأطفال، وأنت تقول لها: أنت طالق، وهو يكرر: اضربوا، اضربوا، مما جعل السائل يقول: لا أعود لتطليقها ثانية أبدا.

ولما أشبعوه ضربا، أخذ عنه عهدا أن لا يعود لتطليق زوجته ثانية، وأخيرا قال للعاملين: كفا عنه، يكفيه تأديبا له.

ثم خاطبه ثانية : زد لكل منهما ريالا آخر، لأنهما تعبا معك كثيرا.

والعامل عادة يعطى له أجر عمله مسبقا، ويوفى له إذا أدى عمله بكل إخلاص وتفان.

وفي الحديث قال ﷺ : (أدوا أجر العامل قبل أن يجف عرقه).

من نوادر العلماء الصالحين

من علماء الأندلس سيدي محمد فتحا بن عباد النفزى الحميري الرندي، مولده ووفاته : 733هـ 792هـ 1332م - 1390م علامة كبير سكن مدينة فاس وعمل خطيبا في جامعة القرويين، من كتبه:

الرسائل الكبرى، والرسائل الصغرى، وشرح على الحكم العطائية.

قبره في روضة الشرفاء الطاهريين الصقليين داخل باب فتوح، وقفت على قبره، مرات، وكان سيدنا الفقيه الطاهري رحمه الله إذا وقفنا على قبره يقول لي : اقرأ بعض آيات القرآن وترحم على صاحبك، يقارنني به لما كان قد نالني من صاحبتي، التي عشت معها فترة من الزمن، كما نال هو بدوره من صاحبته التي عاش معها.

إلا أنه رحمه الله يحكى عنه، أنها توفيت في حياته، وحين غسلت وكفنت ووضعت على النعش خاطب المشيعين قائلا لهم : انتظروا، وخرج وجاء بعدلين، وقال لهما اكتبوا لها طلاقا، فقيل له : لم لم تطلقها في حياتها؟ فقال لهم : خفت أن أطلقها فيتزوجها غيري فتؤذيه فيدعو علي، ففضلت أن أصبر إلى أن تموت، فأطلقها حتى لا تلقاني غدا.

ومن حكايته معها، قيل إنها قالت له يوما:

يا رجل نزل اليوم بصحن الدار سرب من الحمام ما رأيت مثله قط - فأراد أن يمزح - فقال لها إنهم الأولياء أهل الله جاءوا لزيارتي، فتعجبت وقالت له : وهل يأتي الأولياء في صور الحمام؟ قال : نعم، قالت وأحسن ما رأيت، إن فيهم واحدا يطيرون بطيرانه، وينزلون بنزوله، فقال لها : ذاك أنا، فاستدركت واجابته : آه لذلك كان طيرانك فيه اعوجاج وعدم الاستقامة، لأن المرأة من عادتها، ومن طبعها، تنقص دائما من قيمة صاحبها، ولا ترى فيه الكمال، مهما أحسن إليها.

ومن مآثر سيدي محمد بن عباد رحمه الله إنه أوصى عند وفاته بربيعة توقف على جامع القرويين، فنفذت وصيته، ولما فتحت الربيعة (صنيدقة صغيرة) وجد فيها 1800 ألف وثمانمائة مثقال ذهبا، وإذا بذلك كل ما أخذه أجرة على خطابته وإمامته في القرويين، تورع عن أخذها وردها لتنفق في مصالح جامعة القرويين، فرأى أهل الحل والعقد أن يشتروا بها حماما يجعل حبسا على الجامع المذكور، وهو المعروف الى اليوم: ب (حمام سيدي محمد ابن عباد) الكائن بشارع القطانين بفاس.

(السلف الصالح) - رحمهم الله - القناعة والزهد والورع.

نـــــادرة

من علماء مدينة فاس، العلامة محمد بن قاسم القادري الحسني ولد 1259 هـ وتوفي 1331 هـ كان علامة كبيرا، استفاد وأفاد. وهذه النادرة زمن حكم المولى الحسن الأول

قيل عنه : أنه دعي لتولية خطة القضاء في مدينة مراكش، وهو قاطن بفاس، فأبى واعتذر، لكن سلطان زمانه لم يعفه، وأمر بحمله رغما عنه إلى مراكش، قيل ركب حمارا، وغادر فاسا، ولما قرب من مدينة زرهون طلب من مرافقيه أن يسمحوا له بزيارة الضريح، ضريح المولى إدريس الأكبر رضي الله عنه، فسمح له بذلك، فاحترم هناك، واعتصم بالضريح، وقال لرفيقه أو رفقائه من رجال المخزنية: قل لسيدك، (وفي رواية) قل (للالاك، اللهم ارحم من زلجو)، أي من بناه ونقشه بالرخام.

وبقي هناك أياما وقيل شهورا، إلى أن تناسى أمره، وهو نافر من القضاء، خوفا أن يكون أحد الاثنين الذين وعدهم الله بدخول النار، قال رسول الله ﷺ: (القضاة ثلاثة قاضيان في النار، وقاض في الجنة...) الحديث، كشف الخفاء ج : 2 ص : 97 رقم : 1978.

نادرة أو كرامة من الكرامات

ومن الحكايات التي يقصها أهل فاس أن رجلا كان يدعى مولاي الطيب الكتاني، وهو أشبه برجل مجذوب، وله أسرار عجيبة، يتجول في شوارع وأزقة فاس، وعند الزوال ووقت الغداء يدخل أي دار ينتهي به المطاف إليها وينادي :(هاتوا الغداء) فيرحبون به ويجلسونه، وذات يوم يدخل دارا ويأتون له بالغداء، وهو عبارة عن الحوت من نوع الشابل وقبل أن يشرع في الأكل سمع بكاء صاحبة الدار فسأل زوجها ما لها تبكي؟ فأجابه الرجل إنها تذكرت ولدها الكبير الذي توجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج أو العمرة، لأنه يحب هذا النوع من الأكل الذي هو الحوت، فقال مولاي الطيب الكتاني إيتني بخمار رأسها، فأتاه به، فنشره وجعل فيه الحوت وطواه، وقال له : اخرج إلى وسط الدار وارم به إلى السطح، ففعل، وعاد، وتغدى الرجل وانصرف، وبعد شهور عاد الولد من البقاع المقدسة، وقد عاد بالخمار معه، وحكى إنه كان جالسا قبالة البيت الحرم فاشتهى طعام الحوت كما كانت تطبخه وتنضجه أمه، فإذا بالمنديل وفيه الحوت يسقط في حجره، ففتحه، ووجد الخمار خمار أمه وأدرك ببداهته، وقال: إن مولاي الطيب الكتاني هو صاحب هذا السر، إنها كرامة من الكرامات ولله في خلقه شؤون.

التفاؤل والتشاؤم،
هما صفتان تتعاقبان على الإنسان

الإنسان من طبعه يتفاءل أحيانا فيسر.

ويتشاءم أحيانا أخرى فيحزن.

فعبر أحد الشعراء، وهو ينهى عن التشاؤم والحزن قائلا :

روح النفس بالسلـو عليهـا ولا تكن مجالب الهموم إليها
وإذا ما مسهـا الزمـان بضـر لا تكن أنت والزمـان عليها

وفي النهاية لابن الأثير ج : 1 ص : 15، كما في لسان العرب ج : 1 ص: 109، قال : وفي الحديث : (إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد) ويزاد عليه : (روحوا عن أنفسكم ساعة بعد ساعة) ولم أقف عليه.

ولشاعر لبنان : (إيليا أبي ماضي) توفي في شهر أكتوبر : 1957 بأمريكا، في قصيدة طويلة : عنونها بقوله : (كن جميلا).

أيها المشتكـي ومـا بـك داء كيف تغدو إذا غدوت عليلا
إن شر النفوس نفـس يـؤوس يتمنى قبل الرحيل الرحيـلا
ويرى الشوك في الورود ويعمى أن يرى فوقها الندى إكليـلا
هو عـبء على الحياة ثقيـل من يرى الحيـاة عبئـا ثقيلا
والذي نفسـه بغيـر جمـال لا يرى في الوجود شيئا جميلا
أحكم النـاس في الحياة أناس عللوها فأحسنوا التعليل
فتمتع بالصفو ما دمـت فيـه لا تخف أن يزولا حتى يزول
وإذا مـا أضل رأسـك هـم قصر البحـث فيه كي لا يطول

إنه تعبير صادق، يطالب من المرء أن يكون متفائلا، لا متشائما.

التوبة بعد السرقة :

قصة واقعية، سمعتها من أحد الصالحين، وقعت في مدينة تطوان بشمال المغرب قيل: إن رجلا دخل إلى إحدى المساجد، فوضع بعض أثوابه، برنسه وجلبابه وطربوشه وعمامته وحذاءه، وتوجه إلى محل الوضوء ليتوضأ، وحين توضأ وعاد، وجد أن ألبسته قد سرقت، فصلى ركعتين، ودعا الله في سجوده قائلا :

(اللهم إن كان محتاجا فبارك له فيما أخذ، وإني قد سامحته يا رب، ثم أسألك أن تجعل له ذلك بالتوبة)، ولا يعود للسرقة مرة أخرى.

ومرت شهور وسنون، فإذا برجل يأتيه إلى المسجد، وهو يحمل (رزمة) فيها برنس وجلباب وطربوش وعمامة وحذاء، والكل جديد، قال له : سيدي أرجو أن تتقبل مني هذه الألبسة، فقال له الرجل : لا يا ولدي، أنا غني ولست محتاجا، انظر غيري، ثم بدأ الرجل يبكي، وقال : سيدي، كنت يوما محتاجا لا أملك شيئا، وكانت زوجتي قد وضعت مولودا، وليس لي ما أشتري لها به بعض الطعام، فدخلت إلى المسجد، فرأيتك قد وضعت ألبستك، وتوجهت لتتوضأ، فأخذتها، وبعتها في السوق، واشتريت بثمنها بعض الاحتياجات، لكنني من ذلك الحين وضميري يوبخني، وشعرت بالندم،

فقال له ذاك الرجل : أسألك، هل كررت مثل هذا العمل من ذلك الحين؟ قال: لا يا سيدي، فقال: الحمد لله، لقد استجاب الله الدعاء، لأني دعوت الله آنذاك أن يجعل لك ذلك بالتوبة، وتعانقا وتصافحا وتسامحا، وقال له الرجل تصدق بهذا على غيري، وإني قد سامحتك دنيا وأخرى.

فالإسلام دين التسامح، ودين العفو والصفح، قال تعالى : ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾. التغابن: 14.

نـــادرة وفــتـــوى

قيل إن رجلا حلف يمينا معلقا، وهو إن وقع ما هو كذا وكذا - وكأنه يتحدى وقوع ما حلف عليه - إنه سيتوجه إلى بلاد النصارى، وسيمكث فيها مدة عامين كاملين، وإن لم يفعل ذلك فزوجته طالق.

فنزل ووقع ما حلف عليه، ولم يخطئه الحنث، وأصبح الرجل بين أمرين اثنين: التوجه إلى بلاد النصارى، والمكوث فيها مدة عامين، أو طلاق زوجته، وشرع يستفتي علماء مدينة فاس واحدا واحدا، عله يجد حلا لمعضلته، وصار العلماء يفتون له، لابد له من إحدى اثنتين، الغربة في بلاد النصارى، أو طلاق زوجته، وأخيرا أشار عليه أحدهم أن يسأل العلامة البليغ سيدي العباس بناني رحمه الله.

وبمجرد أن طرح عليه السؤال، أجابه - تـوا - أفي هذه المسالة أنت حائر؟ اذهب وتوجه إلى قبيلة بني فلان، وهي إحدى القبائل المغربية القريبة من مدينة فاس - ولا حاجة لذكر اسمها - وامكث فيها عامين، ثم عد، وقد بررت حلفك ويمينك، ويقصد أن القبيلة لجهلها بأمور الدين، هم كالنصارى الذين يجحدون الدين الإسلامي، إنه قياس من الغرابة بمكان.

سر في الأذن أمام الملا بـ 1000 فرنك 10 دراهم والغداء مع القائد بـ 5000 فرنك 50 درهما

بعد استقلال المغرب أوائل الستينات، تعرفت على شخصية ذو مكانة رفيعة، وثقافة أوربية عالية، وهو رجل ذكي، خفيف الروح، كريم إلى حد الإيثار، كان يقطن في حي أكدال بمدينة الرباط، وكان جارا لصديقنا الدكتور عبد الهادي التازي، إنه القائد عمر بن العربي أصله من منطقة الخميسات، علمت منه إنه كان جنديا في الجيش الفرنسي، وجرح أثناء الحرب العالمية الثانية 1939-1945م ثم منح وظيف قائد وعمل في هذا الوظيف بمنطقة عين مديونة بين عين عائشة وقرى بوكنانة وبني سلمان صنهاجة الشمس،

وحين تعرفت عليه، وتعرف علي، ووجدني إني من بلاد الريف، ومن قبيلة أجزناية حيث مثلث الموت أكنول وبورد وتيزي وسلي، وإني من الذين عملوا في جيش التحرير ألح علي في البقاء معه وفي ضيافتي عنده يومين كاملين، ومن الصدف ليلة حضر عنده الحاج عبد الكريم بن سودة، وكان قاضيا في تلك المنطقة، منطقة عين مديونة، ودعاني لزيارته في فاس بطريق إيموزار قريبا من ملتقى الطرق طريق إيموزار وطريق عين الشقف.

كما التقيت عنده ممرضا كان في مستوصف بعين عائشة وهو من قبيلة التسول، وهذا أيضا بدوره ألح علي في زيارته إلى عين عائشة، ولكن الظروف لم تسمح لي بزيارة، لا لهذا ولا لهذا.

إلا أن الذي أعجبني في مضيفي القائد عمر بن العربي والذي آثرت أن أدونها حتى لا يصبح ذلك نسيا منسيا قال لي : (إن رجلا من محبي الظهور أرسل إلي قائلا: حين أخرج من المكتب (ألبيرو) يوم السوق أسمح له أن يأتي إلي - أمام الملأ - ويسر لي في أذنى، ولا يقول شيئا، وأشير له برأسي بالموافقة، ومقابل ذلك يدفع 1000 فرنك، عشرة دراهم حاليا).

قال لي القائد عمر، وحين تمت اللعبة، ناديت عليه فرجع، وأسررت له أنا بحقيقة، وقلت له : خمسة الآلاف فرنك - 50 درهما حاليا تتغدى معي، فلب الرغبة وأتى بها، وتغدى معي فعلا، وقال لي إن الحكم والولاية على الناس، هو أشبه بمن يلعب الشطرنج، والسياسة دهاء ومكر وخداع وغدر، ومن يتول شؤون الناس يستصغر العظائم، ويهون المصائب - ولعل يرى نفسه كمن حضر غزوة بدر الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : (وما يدريك إن الله قد قال لأهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم).

لعل السياسيين يرون أن الله قد أطلق لهم العنان أن يفعلوا ما يشاءون، وينسون قول الله تعالى : ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

مكيدة هي من الغرابة بمكان

من نوادر العهد البائد أيام الاستعمار الفرنسي للمغرب 1912-1956م، كان النظام السائد لا يستند إلى أي قانون، أو نظام ديموقراطي أو انتخابي، وإنما الفرنسيون يحكمون المغرب حكما عسكريا، ويختارون قوادا وباشوات لا تتوفر فيهم شروط الولاية، ولكن يكفي فيهم أن يكونوا خداما مطيعين لأسيادهم، عاملين على تنفيذ سياسة هذا المستعمر : (فرق تسد) وهؤلاء الحكام من القواد والباشوات لا ثقافة ولا علم، ولا وطنية ولا دين، كان القائد لابد أن يملك فرسا بسرجه يركبه، ويرتدي لباسا فضفاضا جلاليب وعمامة كبيرة وبرنسا - وحذاء قريبا من حذاء أبي العباس الطنبوري وبذلك كله يتمم عظمته في أعين الناس.

ويوم السوق يأتي بأبهته على فرسه، أو في سيارة ملكها قريبا، فإذا وصل إلى السوق ينزل من على فرسه أو من السيارة، والكل ملتفتا إليه مستعظما حضوره وها هم أعيان البلاد وكبراؤها يتقدمون للسلام عليه مهنئين له مباركين، يقدمون له بعض الريالات (الدراهم)، فهو أشبه بالشيخ المربي الذي يزوره المريدون والأتباع، أو الفقيه الذي يأتيه طلبته وتلاميذته كل يوم في أسبوع بالتحريرة، إلا أن الأخيرين أحدهما أسس زاوية يطعمهم فيها بما جاءوه به، ويؤدي بهم الصلوات المفروضة، ويرشدهم فيها إلى الدين لأنه شيخ مربي، والثاني كونه يعلمهم القراءة والكتابة ويحفظهم القرآن الكريم، فكلا الرجلين الشيخ المربي وفقيه المسجد مردود، وإعطاء مقابل - يعود بالنفع على تابعيهم، وفيه فضل الدنيا وخير الآخرة.

أما صاحبنا القائد الذي تقدم له الهدايا، وإن شئت قلت الرشاوى، فلا مردود ولا نفع، وإنما يفعلون ذلك إتقاء شره، وهروبا من أذاه.

وهؤلاء القواد على علم تام بأعيان البلاد وكبرائهم - لأن لهم عيونا - جواسيس - يبلغونهم بكل صغيرة وكبيرة.

وهذه قصة أحد هؤلاء القواد مع أحد المواطنين في قبيلته، وفي منطقته التي يحكمها، قيل إن هذا المواطن ميسر عليه، هو فلاح ومزارع وكساب للماشية إلا أنه من طبعه لا يزور القائد، ولا يتصل به، ولا يقدم له الهدية أو الرشوة - كما يفعل باقي المواطنين، وكان إذا أتى إلى سوق دخل إليها مختفيا، وخرج منها مختفيا، وكأنه غير موجود، وها هو السيد القائد يدبر له مكيدة هي من الغرابة بمكان، سأل عنه متى يخرج من منزله؟ ومتى يعمل؟ وأين يعمل؟ فتحين عليه واصطاده، فخرج بسيارته يسير ببطء إلى أن بلغ إلى مزرعته وبستانه حيث يعمل، وهو في لباس العمل، وليس مستعدا للسفر بعيدا، فأمر القائد السائق أن يوقف السيارة، وينادي على هذا المزارع، فما كان من المسكين إلا أن هرع وجاء مهر ولا ليسلم على القائد، ويقدم له الطاعة والامتثال، فقال له القائد: هذه مدة لم نرك فيها؟ هل أنت بخير؟ ثم قال اركب معنا لنتجول قريبا ونعود، فقال الرجل: سيدي القائد لم أستعد، لو سمحت لي أن أعود إلى المنزل لأرتدي ملابسي، فقال القائد، لا حاجة لذلك نذهب قريبا ونعود، ففتح له الباب الخلفي من جهة اليسار ليركب في مؤخرة السيارة وهو أشبه بوزير أو كبير من كبراء الدنيا.

والسيد القائد المحترم كان قد عزم على أن يسافر من إحدى القبائل القريبة من مدينة فاس إلى مدينة مراكش في الجنوب، المسافة بين المدينتين قريبا من 500 كلم.

فانطلقت السيارة بسرعة كبيرة، وفيها القائد وسائقه والرجل الذي هو أشبه بالمختطف (الطاء مفتوحة، اسم مفعول،) وهو لا يدري إلى أين ينتهي به المطاف مر أولا على مدينة فاس فمكناس، فالرباط، فالدار البيضاء فسطات، وفي ارض شاسعة الأطراف تدعى قبائل (الرحامنة)، وقبل وصوله إلى مدينة مراكش، وفي الفلاة (التلال والربى) والأرض قاحلة لا أنهار ولا أشجار، ولا قرى ولا مساكن.

أمر القائد سائقة أن يقف بسيارته، وها هو يأمر ضيفه بالنزول من السيارة، ويخاطبه قائلا : انظر يا فلان إلى هذه الأراضي الشاسعة، واستمتع بهذا الهواء العليل، أنت لا تمتع نفسك، إنك كنت تحرمها من لذاتها، حتى لا تأتيها - ينبهه إنه كان لا يزوره فيها، وزاد قائلا له: ابتعد وتفسح، وتمتع مما كنت محروما منه.

وأخيرا أشار إلى سائقه أن يركب، ويركب هو معه، وينطلقا **كلاهما الى مدينة** مراكش التي سيصلانها بعد ساعات، ويترك صاحبه الفلاح - الذي **غربه - وتركه** في ذلك القفار ضائعا لا طعام ولا ماء، ولا مال ولا لباس.

فكر الرجل وعاد بذاكرته إلى الخلف - سائلا نفسه: ما الذنب الذي ارتكبته؟ وما سبب هذه المعاملة من هذا القائد الذي لم يراع إلا ولا ذمة؟ إنه الجشع إنه الطمع، وأخيرا أدرك المسكين أنه لو كان يزوره يوم السوق، ويقدم له بعض الريالات - الدراهم - كما يفعل بعض المواطنين، لما وصل إلى هذه النتيجة الحتمية.

نظر المسكين شرقا وغربا يمينا وشمالا، وجد نفسه واقفا ثابتا على الأرض، والسماء عالية بعيدة عنه، وقف كثيرا يفكر، وأخيرا قفل راجعا على طريقه التي كان يقطعها قبل قليل في السيارة مع سيادة القائد، والعودة إلى بلده - طبعا - مشيا على الأقدام، وكلما رأى عمرانا قرية أو بلدا إلا وقصده يبيت في المساجد، يفرش الأرض ويغطي السماء، حتى طريقة التسول كان لا يتقنها، إن أعطوه أكل، وإن منعوه صبر، ولمدة تقرب من شهر عاد إلى بلده، وحل بين أهله وذويه، بعد أن كادوا ييأسوا من وجوده وبقائه على الحياة.

وللتقييم والمقارنة بين الرجلين :

فالقائد رجل ذو دهاء ومكر، وحقد وجشع، وطمع لما في أيد الناس، واستغلال لسلطته، وعلو مكانته، كما يرى هو نفسه من نفسه، مع أنه ليس هو شيء من شيء في هذه الحياة، (إن أكرمكم عند الله اتقاكم).

أما صاحبنا الفلاح أو المزارع، فذنبه، أو النقص الذي ألحق به ما ألحق، فهو البخل، والحرص على جمع المال، وعدم صرفه فيما فيه نفع صاحبه في الدين والدنيا لأن المال جعله الله وسيلة التعامل بين العباد، ينتقل بين بني البشر، من ملك منه كثيرا، دعي غنيا، ومن منع منه دعي فقيرا، فالناس طبقات أغنياء وفقراء، فالأغنياء مطالبون بمواساة الفقراء، ومعاونة المعوزين والمحتاجين، (أنفقوا من طيبات ما كسبتم)، (أنفقوا مما رزقكم الله).

كما هم مطالبون أن يدافعوا عن أنفسهم المدلهمات بما كسبوه من هذا المال، فالسخاء يستر العيوب، ويرد المصائب، ورحم الله الإمام الشافعي :

(وإن كثرت عيوبك في البرايا   وسرك أن يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب   يغطيه كما قيل السخاء)

وصدق رسول الله ﷺ:

(اتقوا النار ولو بشق تمرة)

تجهيز الميت بالمجان وبالمقابل

يحكي أهل مدينة فاس، إن باشا مدينة مراكش (التهامي الكلاوي) كان يعتاد أن يقيم حفلا لمدة قريب من أسبوع، في قصره بمدينة مراكش من الفقهاء قراء القرآن الكريم، والمسمعين وقراء الأمداح النبوية والأشعار الصوفية، فيرسل إلى مدينة فاس ليأتيه جماعة من هؤلاء، فيجتمعون مع من هم من مدينة مراكش، وأثناء حديثهم وتحاورهم في أمور شتى، وقد جرهم الحديث يوما إلى الموت وما يتبعها من غسل وتكفين وتحنيط وحمل ودفن فقال أهل مراكش لم يبق ما كان من العمل في السلف الصالح وأصبح الآن كل شيء بالمقابل، فالغسل بالدراهم، والحمل بالدراهم والقبر يشترى بالدراهم، ولا شيء مجانا.

وهذا من كلام أحد المراكشيين، ثم استطرد أحدهم قائلا مخاطبا أحد الحاضرين من أهل فاس، وأنتم في فاس الحال كما عندنا، أم غير ذلك، فأجابهم هذا المسؤول - ويقال إنه شريف علمي كان إماما بمسجد القرويين، ومعروفا بالنكتة والمزاح - قال في جوابه، وأشار إلى رجل من أهل مراكش وهو غليظ وجثته ضخمة، قال : نحن عندنا في فاس الميت لا يجهز إلا بعد وزنه، فإن كان في حجم صاحبكم وأشار إليه، فيأخذون كل شيء، ولا يبقى من تركته لا قليلا ولا كثيرا لورثته ، وضحك الجميع، واعتذر الى المشار إليه، ولقول أحدهم:

(النكتة بنت وقتها)، وقال أحدهم: (تسلية الناس في الأفراح من مكارم الأخلاق).

عقد صفقة بين فقيه وأهل قرية

ورد أن علم الفرائض أو علم (المواريث) هو نصف العلم، كما أن لفظة : (لا أدري) هي كذلك نصف العلم.

وبناء على هذه الأقوال أن بلدا أو قرية، فيها رجل يتقن الفرائض ويفهمها جيدا، وآخر على خبرة كبيرة بعلم الفقه،

وكلا الرجلين المتفيهقين لا يتركان أي فقيه يشترط عند أهل هذه القرية، يدعيان أنهما اعلم من كل فقيه.

فعلم بأمرهما فقيه يتقن مادة الفرائض جيدا، وبعض الفقه، فجاء إلى أهل هذه القرية يعرض نفسه عليهم أن يشترط عندهم، فقالوا : الشرط أن تكون على علم بجميع العلوم، قال لهم : نعم، إني أعلم جميع العلوم ولا يخفى على منها شيء، فطلب الشرط ضعف ما يطلبه الفقهاء الآخرون، كما اشترط عليهم أن يقدموا له النصف مسبقا، فقبلوا ذلك منه، وحين تمت الصفقة بين هذا الفقيه، وبين أهل القرية، جاء الرجل الذي يتقن علم الفرائض، وبدأ بأسئلته، فكان الفقيه يجيب عن كل سؤال يوجه إليه، الوارثون من الرجال، الوارثات من النساء، الوارثون بالفرض، الوارثون بالتعصيب، عدد الأنصبة، أحوال الجد السبعة، المالكية، شبه المالكية الغراوان، الأكدرية المالكية وشبه المالكية، الحمارية أو اليمية، الكلالة وهلم جرا.

فاستسلم الرجل الذي كان سببا في طرد الفقهاء من ذلك المسجد، فتقدم الرجل الثاني ليسأل في الفقه، العبادات والمعاملات فكان جواب الفقيه : (لا أدري)

(لا أدري) فاحتج الرجل السائل وأهل القرية معا، قائلين : كيف تدعي معرفة الفقه وأنت لم تجب ولو على سؤال واحد؟ فقال لهم : قد أجبت، ألم تعلموا أن لفظة : (لا أدري) هي نصف العلم.

الحديث في كشف الخفاء ج : 2 ص : 346 رقم 2980، قال رواه الدرامي والبيهقي، وعن ابن مسعود فإنه نصف العلم، فاستسلموا وأذعنوا، وكانت الغلبة والانتصار للفقيه المشترط - بكسر الراء - وأصبح فقيها للقرية للعام كله، وربما لأعوام.

وهذه من النباهة بمكان.

وفي ربيع الأبرار للإمام الزمخشري ج 1 ص : 696، سئل الشعبي عن مسألة، فقال : (لا أدري) فقيل له ألا تستحيي وأنت فقيه العراقيين!! فقال : الملائكة لم تستح إذ قالت : ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ البقرة الآية 32.

المساجلة في الشعر العربي

وأخيرا وليس أخيرا أود أن أسجل هنا بعض مساجلة بين عالم وعلماء آخرين المساجلات الشعرية والمبادلات العاطفية الثقافية الصرفة بين سيدي محمد الطاهري وبين بعض إخوانه العلماء، المعاصرين له، إنها عصارة أفكار، جرت بين سيدي محمد الطاهري وبين من سيأتي ذكرهم في هذه العجالة، وهي كما حضرتها في إبانها، أحكيها بصدق وأمانة، أو كما سجلت في مواضعها، وأنا أعيد تسجيلها هنا، لأني جازم أن جل القراء لم يكونوا كلهم على علم بها أو اطلاع عليها، وهدفي وعزمي الأكيد أن يكون إخواني القراء الأفاضل على علم بهذه المساجلات، وهذه الاتصالات الروحية.

الأولى ما جرى بين سيدي محمد الطاهري، وبين سيدي عبد الله كنون الحسني، الأمين العام لرابطة علماء المغرب في عهده.

أثناء رئاسة سيدي محمد الطاهري للجنة التفسير التي كانت تتولى تحقيق تفسير المحرر الوجيز لابن عطية رحمه الله، في المجلس العلمي الذي كان يرأسه سيدي عبد الواحد العلوي وسط السبعينات، جرى نقاش - لعله حاد بعض الشيء - بين أعضاء المجلس حول شخصية سيدي عبد الله كنون وأعماله في الرابطة، وحول ما يصدره من المؤلفات حينا بعد حين، وسيدي محمد الطاهري كان متتبعا لأعمال سيدي عبد الله كنون ونشاطه الثقافي والعلمي، فجادت قريحته - رحمه الله - بهذه القصيدة، وهي كما يلي:

حسن الحبا من الحب الرضى الحسن قد ساقني لمقال الشعر بالرسن
فقلته وأنا ما كنت أقرضه فيما مضى لقبيح حل أو حسن
إذ عند ما عاينت عيناي ما لمع من كتب حبي زال ما بي من وسن
كتب بها يعتلي من كان متعطشا وينجلي الحزن عمن كان ذا حزن
فيشرئب إلى نيل النبوغ[1] كما يرعى التعاشيب[2] والأملود من فنن
كما يرعى سالكا دربا[3] يوصله لروضة قد زهت بنافع المزن
كتب بها يظهر العلم الرصين وما لأهل فقه من الآداب والشجن
كتب سمت ونمت بين الأنام فمن يشغف بها كان قطعا سالك السنن
كتب لمن صاغها في العلم منزلة من كان يجحدها لاشك ذا أفن
لو كان صائغها غير الحبيب لما ملأت إلا بها الباقي من زمن
فكيف وهو حبيبي الفذ مذ أذنت إليه نفسي قدما أيما أذن
ذو العلم والفضل والأدب شنشنة[4] من والد وجدود مصلحي الوطن
وانتم الشبل عبد الله كنون من قول الرسول فمن يقفوه في أمن
حبي اقبلن خبري بالحب ممتثلا أحيا به الله ما أحيا من سنن
واقبل سلامي وإخلاصي مودتكم وامنن بزور فذاك أكبر المنن
إذ أنتم أهل علم في الورى انتشر وأهل مجد أثيل فائق حسني
يا غائصا كل بحر مخرجا دررا ثمينة ما لها في الدهر من لسن
ومنكر حسنها كل يقول له والله ما له في ذا الشأن من لسن
من الكريم أرجى طول عمرك في عز وعافية وكامل الذهن
حتى تزيد الورى من دركم دررا تغنيهم عن تعاطي أرفع المهن
بجاه من تمم الأخلاق واختتمت به الرسالة للعلياء ذا ركن
صلى عليه وسلم الإلاه ومن تلا من الآل ما فاق الورى وسن

(1) النبوغ المغربي في الأدب العربي.
(2) التعاشيب، كتاب نقد
(3) على درب الإسلام
(4) شنشنة اعرفها من أخزم مجمع الامثال ص: 361 رقم 1933

وفي يوم الأربعاء 12 جمادى الثانية عام 1399هـ الموافق ليوم 9 مايو سنة 1979م. زار سيدي عبد الله كنون، منزل سيدي محمد الطاهري بفاس صحبة العميد سيدي الحاج أحمد بن شقرون رحمهم الله جميعا - وبدخولهما إلى منزله بحي ابن دباب وكاتب هذه السطور حاضرا، انشد سيدي محمد الطاهري الأبيات الستة الآتية ارتجالا، فقال :

وفى بوعده حبنا إذ زارني | متفضلا بمكاني المتواضع
كنون عبد الله شمس بدت | فالغير يخفى بالضياء الساطع
ماذا أقول لعالم متواضع | قد خص في بيت العلا بمواضع
فلنسبة حسنية وتواضع | ولعلمه قد نالها في الواقع
ما لي سوى قولي العليم يزيدكم | علما يتوجه بحسن تواضع
ويطيل عمركم إلى أن تبرئوا | مرضى بجهل بالدواء النافع

القصيدتان والحوار الكل مثبت في كتاب (عقد الجواهر الحسان) صفحات 510 و513.

وفي ديوان : صنوان وغير صنوان ص : 123.

وقد أجاب سيدي عبد الله كنون برسالة، ضمنها بيتين من الشعر، وهما :

(حييت يا نبعة العلياء والشرف | ولا برحت من الألطاف في كنف
ودمت كعبة علم ظلها خضل | لمن يؤمك من باد ومعتكف)

للأسف لم آخذ نسخة من الرسالة في إبانها والبيتان في ديوان : (صنوان وغير صنوان) ص: 124. وهذا ليس كل ما جرى بين العالمين، لا أقل ولا أكثر.

ثانيا ما جرى بين سيدي محمد الطاهري وأخيه العلامة الفاضل القاضي سيدي محمد بن عبود قاضي مدينة مكناس.

بالمناسبة قدم سيدي محمد الطاهري العلامة سيدي محمد بن عبود أن يصلي بمن حضر يومذاك صلاة من الصلوات المفروضة، ومما فعله كبر من شروعه في القيام من الركعة الثانية إلى الثالثة مباشرة – وعند المالكية، يقولون في ذلك: الركن

الخالي أو الخاوي، فإنهم لا يكبرون إلا عند استقلالهم بالقيام، وعند نهاية الصلاة سأل سيدي محمد الطاهري عن هذا التكبير، فأجاب سيدي محمد بن عبود: إنه قول الإمام الشافعي، أو أعمال الشافعية ونشكره على هذه الجزئية النادرة، أو هذا الحكم الذي ربما يجهله الكثيرون ولا يعلمونه.

وها هو سيدي محمد الطاهري يقف على المسألة في كتاب : (صفة صلاة النبي ﷺ) للشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله، والكتاب كنت قد اقتنيته له قريبا.

وفي يوم الأحد 19 شوال عام 1994م الموافق 13 نونبر 1974م استدعى قاضي مكناس سيدي محمد الطاهري لزيارته، ورافقته في هذه الزيارة.

وبهذه المناسبة أهدى سيدي محمد الطاهري كتاب (صفة صلاة النبي) المذكور، ضمنه هذه الأبيات التسعة، اعترافا له بما فعله وقضى به. فقال :

(يقول من يجل أهل العلم	من يتسمى إثر هذا النظم
إني أخاطب الفقيه الفاضل	ابن عبود خير من يناضل
كبرت في القيام من ثنتين لا	من بعد الاستقلال ذا ما نقل
وأول جا في الصحيحين وقد	جافي سواهما بما لا ينتقد
أرشدتنا يا بن عبود الإمام	من أمنا متبعا خير الأنام
فكنت مكرما لنا بعلم ما	نظمت بوأك ربي القمم
فاقبل مؤلفا للألبان صفة	صلاة خير الورى حال المعرفة
أكرمه من لا يزال منعما	ومرشدا ومكرما وناظما
مجلكم محمد الطاهري من	يود أن يصحبكم طول الزمن)

وأذكر أن سيدي محمد بن عبود أهدى هو بدوره كتابا : (شرح العقيدة الطحاوية) لابن أبي العز الحنفي لسيدي محمد الطاهري.

وبتاريخ 9 ذي القعدة عام 1394هـ 24 نونبر 1974م زار وفد من علماء مكناس، وهم سيدي محمد بن عبود والحاج سيدي محمد المؤذن، وأخوه الحاج سيدي عبد السلام وهو أستاذ جامعي، وأخوهما الحاج سيدي عبد الرحمان وآخرون معهم.

وفي منزل سيدي محمد الطاهري، أنشد سيدي محمد بن عبود هذه القصيدة :

(نور النبوة في الجبين الطاهري ... ملأ الفؤاد طهارة للناظر
أسليل خير الخلق حبي واجب ... دينا أدين به لرب غافر
أبقية السلف الذي يحمي حمى ... دين النبي من المغير الغادر
أسمى من جاء الأنام بشرعة ... وضاءة سمحا العطاء الزاخر
إني فخور بالتعارف واللقا ... ومن الصفاء لكم تفيض مشاعري
وإذا أنا العبد الحقير تحركت ... شفتاي – قولا بالثناء العاطر
فالسر كل السر في الإخلاص في ... صدق المحبة في الشريف الطاهري
فاس إذا افتخرت بأعلام لها ... فالطاهري التاج تاج مفاخري
فاقبل هدية صادق في مدحه ... آل الرسول الهاشمي الطاهري
واقبل قريض ابن العبود ولا تخف ... فالنفس أسمى من غرور الماكر
إن أنس لا أنسى الرياض فيومه ... فاحت رياض النعيم الناضر
ورتعت في جنباتها وأحبتي ... حولي وفي صدر الحبيب الطاهري
درر المعارف والعلوم تلألأت ... بمجالس التقوى ونبل الحاضر

وبإلقائه لهذه القصيدة التي سر لها الحاضرون، شكره سيدي محمد الطاهري على عواطفه النبيلة، وتعابيره الفياضة الجياشة.

وفي ختام هذه المأدبة التي ملئت علما، أكثر منها طعاما أكلا وشرابا، عدنا إلى فاس أنا وسيدي محمد الطاهري، وقد دعا أهل مكناس لزيارته في فاس في الأسبوع الذي يليه مباشرة.

وبتاريخ 16 ذي القعدة عام 1394هـ موافق فاتح دجنبر سنة 1974م.

حضر وفد مكناس في سيارتين، وعددهم عشرة أفراد على رأس الجميع سيدي محمد بن عبود المكناسي.

وها هو سيدي محمد الطاهري يجيل المحتفى به بقصيدة هي في القمة، وفي أعلى درجة من المدح، وجعل قافيتها حرف الدال، جريا على النسبة والسلالة لآل ابن عبود.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين.

وبعد فالكاتب الضعيف، خادم العلماء، والعلم الشريف محمد بن محمد بن عبد السلام الطاهري الصقلي يرفع هذا الجواب المتواضع إلى من أمده الله بأنوار التجلي، العلامة القاضي السلفي، سيدي محمد ابن عبود المكناسي، أبقاه الله منقذا للجاهل ومذكرا للناسي. فقال :

النور منحة ربنا المعبود ... وبه هدى المسعود كابن عبود
والفضل كل الفضل حازه مهتد ... به دون من قد سار غير رشيد
إذ كل من بـه تبطئ الأعمال لم ... يسرع به نسب بلا ترديد
يأيها الحب المحب جزاك من ... علم السرائر بالعلا المنشود
وحباك من نور المفضل ما به ... تدني لما قد سن كل بعيد
كمحبك العبد المسيء المرتجي ... سترا من الباقي بمحض الجود
أبقاكم المولى لنشر شريعة ... الليل مثل نهارها المشهود
وأمدكم بدوام إخلاص له ... وحبا مجالسكم بأطيب عود
فمجالس الأخيار مثلك جنة ... ملئت بأنفس جوهر منضود
ذكر وأذكار وقول محمد[1] ... صلى عليه الله ذو التمجيد
لم لا وأبناء المؤذن سادتي ... فيها، وقد فاهوا بكل مفيد
فهم الأفاضل ما لهم هم سوى ... نيل لخلق نبينا المحمود
قد كنت أهوى أن أكون مجالسا ... لهم لأحظى منهم بحميد
واليوم زاد هواي لما توجوا ... تلك المجالس بالفتى ابن عبود

(1) ذكر سيدي محمد بن عبود مجود للقرآن.
وأذكار: يقرأ الأمداح والأناشيد النبوية.

إن كان في كل المدائن جلة | فجليل مكناس علا بجهود
دامت لنا تلك المجالس نرتوي | من مائها المحيي لأهل جحود
فتوجهوا بمحمد لإلاهنا | واسألوه إبقاء لنا بخلود
صلى وسلم ذو الكمال عليه مع | آل بذاك يتم لي مقصود

إن ذلك اليوم، يوم مشهود، لن ينسى، ولم ينس لمن حضره، من علماء الوفدين، أهل مكناس وأهل فاس، أذكر منهم العلامة سيدي محمد الودغيري من علماء مدينة فاس، وهو رفيق سيدي محمد الطاهري من سن الدراسة إلى نهاية حياتهما، وحتى وفاتهما كانت متقاربة جدا، فسيد محمد الودغيري وفاته يوم 13 يوليوز 1988م ووفاة سيدي محمد الطاهري كانت يوم 5 يناير 1989م، فالفرق بين وفاتهما خمسة أشهر و23 يوما فقط.

ومن حسن الحظ، أنهما دفنا متجاورين في روضة أعدها وهيأها أحد الشرفاء الكتانيين في مقبرة الجلة بباب فتوح قيل إنه أعدها للعلماء، وتجمع ستة وعشرين قبرا، وقد ملئت الآن، وتقع غرب مصلى الأعياد إلى الجهة الشمالية قليلا، رحمة الله عليهما رحمة واسعة.

ثالثا المساجلة التي جرت بين سيدي محمد الطاهري وبين أحد طلبته الذين درسوا عليه في جامعة القرويين إنه العلامة العبقري سيدي محمد عبد الكبير البكري بلده مدينة المشرية المغربية في الجهة الشرقية والتي هي الآن تحت حكم السلطة الجزائرية، وقد عمل في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، بعد التحاقه بوطننا في النصف الثاني من الخمسينات، وهو يقطن حاليا مدينة القنيطرة وهو من رجال الثقافة والعلم، كونه فقيها يحفظ مختصر الخليلي، والمرشد المعين، وكثيرا من المتون في فنون شتى، أما الأدب، فإنه يحفظ من الشعر قديمه وحديثه عشرات القصائد، ومآت الأبيات، وفي نفس الوقت هو شاعر مجيد.

زرته بتاريخ 30 دجنبر 1981م في مقره بالقنيطرة فحملني بعض الكتب هدية منه لشيخنا سيدي محمد الطاهري، فما كان من هذا الأخير إلا أن أنشد هذه الأبيات الأربعة في حق المهدي، فقال:

(إن عبد الكبير عبد كبير فاح منه على الأنام عبير
إنه بانتسابه لكبير ذو مقام هو المقام الكبير
إنه بكري وآل أبي بكر لهم عزة وفضل شهير
فليدم مسديا إلى الناس نفعا كل ذي حاجة إليه يشير)

وفي حينه أرسلت بهذه الأبيات للمعني بالأمر، فما كان منه إلا أن أجاب برسالة طويلة ضمنها خمسة أبيات يمدح فيها سيدي محمد الطاهري رحمه الله، ومما جاء في آخر الرسالة وقبل الأبيات الخمسة، قوله : (فجزاكم الله عنا خيرا أيها الشيخ الحنون العطوف، وأطال لنا بقاءكم، فإنكم لنا ومنذ أن عرفناكم سند ومعتمد، وقد كان لتلك الأبيات من التأثير ما أنطقني بما يلي :

(يا بن عبد السلام أنت منار يستضيء بضوئه البصراء
يا بن عبد السلام أنت فخار يتباهى بمدحه الشعراء
أنت حقا للمتقين إمام ولهم بك إسوة واقتداء
فلتدم ناشرا أمينا لعلم فيه للناس رحمة وشفاء
وليصاحبك ما بقيت سلام وأمان وسؤدد وارتقاء)

وختم رسالته بقوله :

فهنيئا لأستاذنا الجليل بما أتاه الله من فضله وهنيئا لنا به، ودمتم في رعاية الله وحفظه آمنين مطمئنين والسلام.

محمد عبد الكبير البكري 29 ربيع الأول عام 1402 هـ.

الخاتمة:

إن سيدي محمد بن سيدي محمد الطاهري الصقلي الحسيني، علامة جليل عاش ستا وتسعين سنة، ولادته عام 1313هـ 1895م ووفاته 1409هـ 1989م ملا حياته كلها في دراسة العلم، تعلم وعلم، درس ودرس، تفقه، وفقه، كان يدرس علم التوحيد، وعلم المنطق، وعلم الأصول، وعلم المواريث (الفرائض) وكان يتقن علم المناسخات أو ما يدعى بـ (الروضة اليانعة في أصول الجامعة) - وكان يجول في هذا الميدان الكسر العادي إلى الكسر العشري، وكثيرا ما يحيل عليه بعض القضاة بعض المسائل من الفرائض المعقدة فيحلها في فترة وجيزة. وكان رحمه الله يردد القولة المشهورة أول ما يرفع من الأرض علم الفرائض، أو علم المواريث.

وفي آخر حياته وجه عنايته كثيرا لعلم التفسير، وعلم الحديث الشريف، وكان رحمه الله كلما ذكر حديث من أحاديث رسول الله ﷺ يشير لدرجته، أهو صحيح أم حسن أم ضعيف؟ فإن علمه وإلا التجأ للبحث عنه، وكان يتقن رحمه الله علم مصطلح الحديث.

سيدي محمد الطاهري منزله مفتوح بابه لزواره على مر أيام الأسبوع، وكان يقدم لزواره ما حضر وما لذ وطاب من الطعام، لأنه كان يردد دائما القولة المشهورة: (الضرب بالطوب ولا الهروب) ويردد كذلك : (نحن لا نبخل بالموجود ولا نبحث عن المفقود).

نسال الله تعالى أن يرحمه، ويوسع عليه في فسحات جناته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين) آمين.

نـــوادر مختلفـة

الشريف الطاهري رحمه الله

ص : 280

قال الشيخ التاودي عن الحسن اليوسي على كلام الجنان (والله حسيب أقوام يتصدرون في دين الله للفتوى من الأوراق، ولا يأخذون العلم عن أهله، فيكونون من الضالين المضلين كما وقع في الحديث[1] نسأل الله تعالى العافية.

عليك بالحفظ بعد الجمع في كتب ‏ ‏ فإن للكتب آفات تفرقها الرهونى ج : 6
اللص يسرقها والفار يخرقها ‏ ‏ والنار تحرقها والماء يغرقها ص : 201
(يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ‏ ‏ ردي علي فؤادي أينما كانا) الرهونى 7
(لا تأخذين فؤادي تلعبين به ‏ ‏ فكيف يلعب بالإنسان إنسان) ص: 26 ن
وقال: (ذهب الحمار بأم عمرو ‏ ‏ فلا رجعت ولا رجع الحمار)
(وفقيه لفقيه كغيـ ‏ ‏ ـر ذي فقه فخذه يا نبيه) المستطرف ج7 ص 241

(1) البخاري ج : 1 ص 36 // مسلم ج : 8 ص 60 مختصره رقم 1858 ص : 491

أعد لظهرك سوطا في لسان العرب

ج : 12 ص : 128

وتروى لابن أخي زر ابن حبيش الفقيه القارئ، وقد خطب امرأة فردته فقال:

ونبئتها أحرمت قومها لتنكح في معشر آخرينا
فإن كنت أحرمتنا فاذهبي فإن النساء يخن الأمينا
وطوفي لتلتقطي مثلنا واقسم بالله لا تفعلينا
فإما نكحت فلا بالرفاه إذا ما نكحت ولا بالبنينا
وزوجت أشمط في غربة تجن الحليلة منه جنونا
خليل إماء يراوحنه وللمحصنات ضربا مهينا
إذا ما نقلت إلى داره أعد لظهرك سوطا متينا
وقلبت طرفك في مارد[1] تظل الحمام عليه وكونا[2]
يشمك أخبث أضراسه إذا ما دنوت فتستنشقينا
كأن المساويك في شدقه إذا هن أكرهن يقطعن طينا
كأن توالي أنيابه وبين ثناياه غسلا[3] لجينا

وقالت امرأة من العرب:

(اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله) اللسان12ص:120

قال الراعي:

(قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ودعا فلم أر مثله مقتولا) ص: 123

وقوله في حديث آدم عليه السلام إنه استحرم بعد موت ابنه مائة سنة لم يضحك ص : 126.

---

(1) مارد : حصن أو قصر مما تعلى حيطانه.
(2) الوكون : الجلوس... الحمام فلا يذكر.
(3) الغسل : الخطمي، واللجين المضروب بالماء، شبه ما ركب أسنانه وأنيابه من الخضرة.

موت أفراد أسرة بكاملها، إلا واحدا

قيل أن أسرة تتكون من عدة أفراد : الرجل وهو رب الأسرة ووالداه أبوه وأمه، وزوجته، وأبناؤه وبناته الذكور والإناث والأسرة بكاملها قريبا من عشرة أفراد، ومن سوء الحظ لهذه الأسرة، إن مرضا طارئا شديد الخطورة، داهم البلاد، فأصاب هذه الأسرة، فمات أبو الرجل وأمه، وماتت زوجته، كما مات أولاده تباعا، حتى لم يبق له إلا حماره الذي هو مساعده ومعاونه في خدمة وتعويل على الأسرة.

وذات صباح، وجد حماره - بدوره - ميتا، فحزن حزنا شديدا ونظر يمينا وشمالا، وأخيرا نظر إلى السماء، ونطق بديهة أينك يا اسرافيل؟ أخرج مزمارك وانفخ، أو ادفعه إلي لأنفخ، فإن القيامة قد قامت، فقرأ قوله تعالى : ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ الزمر : 68

وقصة واقعية، قرية يخترقها نهر، وصدفة نزل مطر قوي وغزير جدا، وكان لرجل حمار ولرجل آخر نادر من التبن ومن الصدف أخذ للرجل الأول حماره، وجره غارقا، وأخذ للثاني ما ملكه من التبن، فسئل الأول عن حماره، فأجاب : لا أخشى عليه، فقد جر له طعامه معه، إن النهر منصف، أخذ الحمار وأخذ له ما يأكله.

بيتان من الشعر نسبتا لطائر

قيل إن طائرا بنى عشا في رأس شجرة، فباض، وفرخ، ليكون أسرة من هذه الفصيلة، طلبا في البقاء، شأن كل كائن حي في هذه الحياة، وها هو هذا الطائر المسكين يكد ويتعب، يعمل جاهدا لإطعام فراخه، فيغدو ويروح، ودون كلل أو ملل إلا انه فوجئ بعد عودته من إحدى هذه الرحلات حيث إن ثعبانا تسلق الشجرة، ووصل إلى العش وابتلع تلك الفراخ، والتوى داخل العش ينتظر عودة الطائر الذي هو رب الأسرة، ليكمل به وجبة غذائه، فوجئ الطائر بوجود هذا الزائر الثقيل داخل عشه، فصاح صيحات المفجوع المكلوم، وحام حول العش، وضرب بجناحيه كمن يندب على مصيبته، وحين أيس وقطع رجاءه، أنشد هذين البيتين من الشعر :

قائلا : (إذا نزل الثقيل بأرض قوم فما على الساكنين إلا الرحيل

فها أنا قد غادرته كرها فامتد فيه أنت يا طويل)

وبعد فجيعته هاته، قرر الرحيل والهجرة إلى بلد بعيدة، هروبا من الظلم والهوان، ومن التعدي والإذلال، ومن غلبة القوي على الضعيف.

الكلام الخفيف لا يبطل الصلاة

يحكى إن فقيها اشترط في مسجد عند قوم، وليس فيهم من يقرأ الفقه ويتقنه جيدا، إلا رجلا أميا منتسبا وهو ذو خبرة ببعض الفقه، وذات يوم يصلي الفقيه صلاة المغرب في صحن من صحون المسجد خارج المحراب، وها هي إحدى الفتيات تأتيه بالنوبـة، طعام الليل الذي يصنعه له أهل القرية بالتناوب، فقرأ في الركعة الأولى : الفاتحة وسورة ألم نشرح لك صدرك ... وعند نهايتها زاد : (حط ثم) مخاطبا الفتاة، فوضعت الطعام (النوبة) جانبا وانصرفت وفي الركعة الثانية قرأ الفاتحة وسورة العصر، لكن قبل إتمام السورة رأى قطا مقبلا على ذلك الطعام، فما كان منه إلا أن قال : .... (وتواصوا بالصب) وقد حذف الراء، من لفظة الصبر، ينذر القط كي يبتعد.

وعند نهاية الصلاة قال له الرجل المتفيهق: سيدي تكلمت في الصلاة وقلت: حط ثم، وقلت الصب، فالفقيه المشترط أجابه توا: (قالت للاحليمة الأجروية ابنة عم الشيخ خليل، الكلام الخفيف لا يبطل الصلاة مثل الصب وحط ثم) والفقهاء من عادتهم يتنصلون من قول الحقيقة، ويتلمسون الأعذار لأنفسهم ويجعلون الحجة على غيرهم.

نوادر وقصص مختصرة

1 - ذكر صاحب كتاب : (قرطاجنة في أربعة عصور) : (البربر اول من حلق الرؤوس، وصنع الكسكوس، ولبس البرنس).

اختيار الألوان

2 - قيل إن رجلا جاء بصباغ يصبغ له منزله، وجعل يريه الألوان التي سيستعملها في صباغة منزله، فقال له الصباغ : وأي الألوان تختار للوجه الخارجي، فأجابه صاحب الدار: نادي على الجيران المقابلين، واسألهم عن الألوان التي تعجبهم، فاصبغ بها.

رجل بدوي في صلاة الجمعة

3 - قيل إن رجلا بدويا جاء إلى المدينة، وصادف يوم الجمعة فدخل إلى أحد المساجد لأداء صلاة الجمعة، فاشرأب عنقه إلى الخطيب، وهو يخطب خطبته، فجاء في قوله : (ظهر الفساد في البر والبحر) فما كان من الرجل البدوي إلا أن ردد بين شفتيه، (حتى عندنا في الجبل) أراد أن الفساد قد عم البلاد مدينة وبادية.

4 - واخرى قريبة من هاته، قيل أن خطيبا من خطباء الجمعة، لا يحسن العربية جيدا، وفي إحدى الجمعات حضر رجل غريب، وهو من المتضلعين فقها وعربية فسمع الخطيب وهو يقول : (ظهر الفساد في البر والبحر) وفتح حاء البحر، فما كان من الرجل الغريب إلا أن ردد إجابة لهذا الخطيب : (ألا وإن على المنبر أكثر) يقصد أن الفساد شمل حتى المنبر، بسبب من يصعد عليه وهو لا يتقن العربية.

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحد الفقهاء الصالحين، وقد اشتغل إماما في أحد المساجد لفترة من الزمن طويلة.

كتبت عنه هذا الدعاء، وهو قد أخذه عن فقيه قبله، ولم يعرف قائله وناشئه:

(اللهم اجعلني ممن دعاك فأجبته، وسألك فأعطيته، ورغب إليك فشفعته، واستغاث بك فأغثته، وتضرع إليك فرحمته، وتوكل عليك فكفيته، واستهاد بك فهديته، واستنصر بك فنصرته، واستودع نفسه عندك فنجيته، يا أرحم الراحمين.

اللهم يا من كرمه لا يحد، وقضاؤه لا يرد، ونعمه لا تعد، وغيره لا يقصد، وسواه لا يعبد، وصفته لا تبلي ولا تبدل.)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد﴾.

اللهم افعل بي من الخير ما أنت أهله، ولا تفعل بي ما أنا أهله، أنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة، يا حي يا قيوم.

إنه دعاء جميل قائله والداعي به مع النية الصالحة يستجيب الله له ويحفظه، ولا يخيب عنده.

ما قيل في أطوار حياة الإنسان وتنسب هذه الأبيات للشيخ الإمام الصالح أبي شريف الأندلسي

(ابن عشر من السنين غلام ... رفعت عن نظيره الأقلام
وابن عشرين للصبا[1] والتصابي ... ليس يثنيه عن هواه كلام
والثلاثون قوة وشباب ... وهيام[2] ولوعة وغرام
فإذا زاد بعد ذلك عشرا ... فكمال وشدة وتمام
وابن خمسين مر عنه صباه ... فتراه كأنه أحلام
وابن ستين صيرته الليالي ... هدفا للمنون[3] وهي سهام
وابن سبعين لا تسلني عنه ... فابن سبعين ما عليه كلام
فإذا زاد بعد ذلك عشرا ... بلغ الغاية التي لا ترام
وابن تسعين عاش ما قد كفاه ... واعترته وساوس وسقام[4]
فإذا زاد بعد ذلك عشرا ... فهو حي كميت والسلام)

فتح الرحيم الرحمن شرح لامية ابن الوردي ص : 19.

---

(1) الصبا بالكسر : الشوق، وبالفتح الريح.

(2) هيام بضم الهاء : شدة العطش.

(3) المنون بفتح الميم : الموت.

(4) سقام: بفتح السين : المرض.

أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي
وبيت ابن النحوي

(في مقدمة ابن خلدون صفحة 579، قال :

(أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة الامرينية، قال : ذاكرت يوما صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن، وكان المقدم في البصر باللسان لعهده فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي، ولم أنسبها له، وهو هذا :

(لم أدر حين وقفت بالأطلال   ما الفرق بين جديدها والبالي)

فقال لي على البديهة : هذا شعر فقيه، فقلت له ومن أين لك ذلك؟ فقال من قوله : (ما الفرق) إذ هي من عبارات الفقهاء، وليست من أساليب كلام العرب، فقلت : لله ابوك، إنه ابن النحوي).

وبناء على ما سطر وكتب من كلام ابن خلودون، وحكم أبي العباس بن شعيب على بيت ابن النحوي حيث قال : (هذا شعر فقيه).

تصدر عالمنا الجليل الراحل سيدي عبد الله بن سيدي عبد الصمد بن سيدي التهامي بن المدني ابن علي كنون رحمهم الله جميعا، للدفاع عن شعر الفقهاء، فاصدر كتابه الشهير : (أدب الفقهاء) دافع فيه عن هذه الطائفة، وهذه الثلة من رجال العلم والدين كونهم فقهاء، وفي نفس الوقت هم شعراء، شعراء في كل ميدان من ميادين الشعر، فهم ما تركوا جانبا من جوانبه إلا وخاضوا فيه.

فليراجع الكتاب، كتاب : (أدب الفقهاء) إنه فاكهة شهية، ومائدة دسمة، تجول سيدي عبد الله كنون في أمهات الكتب، وقطف منها ما نضج، وما وجب قطفه، وجعله على طبقه الذي أطلق عليه: (أدب الفقهاء) وقدمه للقراء ليتناولوه لقمة سائغة.

إلا أن إشكالا وقعت فيه، وهو كلمة : (الجزنائي) فابن خلدون ذكره بقوله: (أبا العباس ابن شعيب) ولم يذكر كلمة الجزنـائي، وسيدي عبد الله كنـون، قال : (أبا العباس احمد بن شعيب الجزنائي).

وكتاب : (جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس) يذكر عبد الوهاب بن منصور في المقدمة التي كتبها صفحة بـ : (لأبي الحسن على الجزنائي)، ويقول : في صفحة ج : (وأول ما نلاحظ أن الرجل بربري ينتمي إلى قبيلة أجزناية الريفية الشهيرة المستقرة شمالي تازة، إلى أن يقول : (وقد تكون أسرته هي التي هاجرت إلى فاس قبل ولادته، ويقول : وهو من القرن الثامن الهجري ومن عاصر الأحداث والفوضى وآخر سنة تذكر في كتابه هي سنة 766هـ، حين نكبة أبي الحسن، في البحر قرب بجاية).

فالإسمان مختلفان، جمعتهما كلمة الجزنائي فقط،

وفي كتاب : (سلوة الانفاس) ج : 2 ص 126 عند ترجمة إمام النحو محمد بن محمد بن داود بن أجروم المتوفى 723هـ.

من تلامذته الذين اخذوا عنه : (أبو العباس احمد بن شعيب الجزنائي).

وفي كتاب : (دليل مؤرخ المغرب) لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري، ص: 31 رقم الترجمة 107 (زهرة الآس في بناء مدينة فاس) لأبي الحسن علي الجزنائي أصلا، الفاسي دارا، المتقدم. لم يذكر تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته.

نفس الكتاب صفحة 177 ترجمة 1047 في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجي أبي العباس أحمد بن شعيب الريفي الجزنائي المتوفى 749هـ سنة 1348م.

الموضوع في حاجة إلى البحث، للوصول إلى الحقيقة هل : (أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي) هو نفسه : (أبو الحسن علي الجزنائي) أوهما شخصيتان ومعلمتان، كل منهما عالم مستقل بنفسه، جمعتهما كلمة (الجزنائي).

والظاهر أخيرا، أنهما كل منهما مستقل بنفسه.

البحث للكاتب :

محمد عمر بن علي العزوزي

صورة تذكارية (1)



برجوع الملك الشرعي للبلاد سيدي محمد ابن يوسف يوم 16 نونبر 1955م بدأ جموع المغاربة يحجون إلى مدينة الرباط لتقديم التهاني والتبريكات للمقام العالي بالله صاحب العرش الملك الهمام سيدي محمد الخامس.

وكنت آنذاك في الأسبوع الأخير من الشهر المذكور، قد عدت من الناظور إلى تازة، لأداء بعض المهام تتعلق بجيش التحرير، فصادفت أهل تازة يهيئون ويستعدون للسفر إلى الرباط لتقديم التهنئة، فانصهرت واندرجت في صفوفهم وانطلق الكل من تازة بعد نصف الليل في عدد من سيارات النقل العمومية، وبوصول هذا الوفد الذي يتراوح عدده ما بين 200 و 250 فردا، في خمس سيارات كبرى، دخلنا إلى المشور السعيد حيث مسجد أهل فاس، وجرى الاتصال بين المسؤولين آنذاك والوفود الزائرة ولا يعرف ولا يعلم أحد كيفية الإجراءات، الجاري بها العمل لكثرة الأمواج البشرية المتلاطمة سمعت فقط إن استقبال سيدي محمد الخامس لوفد تازة سيكون بعد صلاة العصر، فاتفقنا نحن جماعة من الزائرين المهنئين أن نصلي الظهر في مسجد السنة، ونلتحق بعد ذلك مباشرة بالمشور السعيد، وبوصولنا أوقفوا كل وفد من الوفود - ويا ما أكثر هذه الوفود - فالمغرب كله من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه تحرك إلى الرباط، أشبه بما يفعله المسلمون في موسم الحج إلى البقاع المقدسة.

---

(1) ولا علم لنا بمن بقي حيا الى هذا التاريخ ومن صار الى عفو الله.

وقف وفد أهل تازة ووجوههم إلى ناحية الغرب حيث الشمس شرعت تنزل الى حيث مسيرها اليومي، وممن برزوا في سيارة مكشوفة قبل بروز ملكنا سيدي محمد الخامس، الضابط أفقير إلى جانب سائق السيارة، وعلى ما أذكر أن إحدى عينيه عوراء ، وخلفهما الزائران المصريان أحمد حسن الباقوري وأحمد سعيد المذيع المشهور في إذاعة صوت العرب من مدينة القاهرة.

وها هو ملك البلاد سيدي محمد بن يوسف يبرز وخلفه الأميران الجليلان المولى الحسن والمولى عبد الله، وهو رحمه الله يحيي الوفود بكلتا يديه، والابتسامة لا تفارق محياه، والوفود تصيح بحياته، وتهنئ بعودته المظفرة، إنها لحظة تاريخية، لا تغيب عن ذاكرة كل من حضرها وهذه صورة لجانب من جوانب وفد أهل تازة احتفظت بها من يومذاك، ولم يظهر لكاتب هذه السطور إلا رأسه بطربوش احمر وأنا في الصف الثاني، وأمامي رجل من أهل تازة بيده اليسرى بعض الجرائد، ولعلي أنا الثالث إلى الجهة اليسرى كذلك، لأن الازدحام كان شديدا، ويظهر إلى الجهة اليمنى في الوسط، جندي من جنود القصر الملكي.

وبانتهاء هذه الزيارة وتشرف هؤلاء الزوار بطلعة الملك المفدي سيدي محمد بن يوسف قدس الله روحه، عدنا إلى مقر المبيت في أحد فنادق الرباط.

وفي صباح غده بحثت عن وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقمت بزيارتهم في الصباح الباكر وقد وجدتهم يتناولون طعام الفطور، وهم ثلاثة أعضاء، نائب الرئيس الشيخ العربي التبسي والشيخ عبد اللطيف سلطاني والشيخ محمد خير الدين، أما رابعهم فقد وجدته قد عاد على وجه السرعة إلى الجزائر وهو الأستاذ أحمد توفيق المدني.

وحوالي العاشرة والنصف عدنا إلى مدينة تازة على نفس السيارات التي نقلتنا.

المذبوح وابنه أحمد بن المذبوح
قصص ونوادر يتحتم إثباتها

في قرية السياح، أو كما يدعوها العامة: أجبارنة أو دار القائد المذبوح، بقبيلة أجزناية، المذكور أو المشار إليه، قيل إنه كان يتخلف يوم السوق إلى مرابط الدواب البغال والحمير، فيسرق بعضها، ويتوجه بها بعيدا إلى أسواق أخرى فيبيعها، ولما تفطن له المواطنون، كمنوا له، وقبضوا عليه وذبحوه. فأطلقوا عليه: (المذبوح) وخلف ولدا اسمه أحمد، وهو الذي جاء بالفرنسيين من نواحي توريرت وجرسيف حين دخولهم إلى المغرب، ومهد لهم الطريق لاحتلال القبيلة، ونصبوه قائدا على قبيلة أجزناية، وهذا كان في الفترة من أواسط العشرينات 1925-1926م.

وحكم قبيلة أجزناية مدة تسع أو عشر سنوات، ووفاته كانت في أواخر فصل الخريف من سنة 1935م.

وهذه نادرة وقعت فترة حكمه.

يحكى عنه أنه كان له مرافق ومضحك إياه يدعى : (محند أمزيان نعري أعبو) محمد أمزيان بن علي بن عبو، وصدفة قصده أحد الفقهاء للقرى والضيافة عنده واسمه: سي أحمد بن علي بوحشلاف من فرقة قرى فرقة بني عاصم.

وباجتماع الاثنين عند القائد أحمد بن المذبوح أراد الأول محمد أمزيان بن علي بن عبو أن يسخر ويستهزئ بالفقيه بوحشلاف أمام القائد، فاستأذن القائد أن يأذن له ليسأل الفقيه، فأذن له، فقال في سؤاله الأول : أيها الفقيه متى رأت الشمس

قاع البحر، فأجابه الفقيه : يوم غرق جدك فرعون فضحك القائد كثيرا وأعجبه الجواب.

والأول أراد بسؤاله : (ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم).

ثم سأله ثانيا : متى تكون (الليلة الكبيرة في العام؟) يشير الى ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر) لكن الفقيه أجابه : الليلة الكبيرة في العام هي هذه التي جمعتني معك فضحك القائد ثانية.

وسأله سؤالا ثالثا : يا فقيه : كم ترك أبونا آدم عليه السلام من أولاد،؟ فأجابه الفقيه بوحشلاف: هذا سؤال سأجيبك عنه غدا عند الضحى وقبل الزوال بقليل فقال الأول أيها القائد إنه عجز عن الجواب إلا أن القائد أدرك مغزى السؤال فقال له: اتركه حتى يطالع فالفقهاء لا يجيبون عن كل شيء حينه، ولما خلا الفقيه بالقائد، قال له: أرجو سيدي القائد إحضار أربعين فارسا، كل واحد منهم راكب على فرسه، فأرسل القائد أعوانه من رجال المخزنية إلى إحضار هذا العدد من الرجال، وبحضورهم قال لهم الفقيه بوحشلاف : اتبعوني، وسار أمامهم إلى أن بلغ دار محمد أمزيان بن علي أعبو وقال له: ها هو العدد الذي ولده آدم عليه السلام، فما كان منه إلا أن رحب بالجميع، وذبح لهم عجلا كان يملكه ظلوا عنده يوما كاملا، وهم في ضيافته رغم ما كان ينعت به من البخل.

فأعجب القائد بالفقيه بوحشلاف، وذكائه وصار هذا الفقيه يتردد على القائد حينا بعد حين، وعلمت أنه عاش إلى أوائل الاستقلال، وسط الخمسينات رحمة الله عليه رحمة واسعة.



الأستاذ
عبد الحميد بن باديس

أبو النهضة في القطر الجزائري الشقيق الشيخ عبد الحميد بن الشيخ مصطفى بن باديس، من مواليد مدينة قسنطينة أو مدينة (قرطة) كما سميت يوم تأسيسها ايام الفنيقيين ولد رحمه الله عام 1307هـ 1889م تعلم العلم في وطنه الجزائر، ثم أتم دراسته بجامع الزيتونة بتونس، وتخرج منها سنة 1918م 1338هـ عند نهاية الحرب العالمية الأولى، وعاد الى وطنه الجزائر حاملا مشعل الكفاح والنضال، عازما على نشر الوعي في ابناء وطنه، عاملا كل ما في وسعه أن يوقظهم من سباتهم، ويهبوا جميعا لطرد المستعمر الذي جثم على صدر الشعب الجزائري مدة قرن وربع قرن من الزمن، استدعى إخوانه العلماء الذين كانوا خارج القطر الجزائري أن يلحقوا به فلبى دعوته الشيخ محمد البشير الابراهيمي الذي كان مدرسا وقتذاك في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والشيخ الطيب العقبي الذي كان مدرسا كذلك، بعمان في بلاد الأردن، ثم الشيخ العربي التبسي الذي كان بتونس، وآخرون كثيرون.

قام رحمه الله بجولة موسعة في القطر الجزائري، وبدأ اتصالاته بشيوخ الطرق رؤساء الزوايا، لأنهم هم الذين لهم أتباع كثيرون، إلا انه رحمه الله، لم يجد آذانا صاغية، فاعتمد على نفسه وعلى إخوانه العلماء الذين لحقوا به، فأسس مجلة المنتقد الشهاب ثانيا، التي كانت كما يقال : (إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب)

وأسس مدرسة بقسنطينة، والتي أصبحت فيما بعد : (معهد عبد الحميد بن باديس لدراسة العلوم العربية والإسلامية.

ثم رأى أن يقسم العمل بين ثلاثتهم، يستقر هو بقسنطينة لينشر الوعي في شرق القطر الجزائري، ويأتي الشيخ البشير الابراهيمي إلى تلمسان غرب القطر، ويتولى الوسط العاصمة ونواحيها ثالثهم الشيخ الطيب العقبي.

وأخيرا قرر أن يؤسس حزبا دينيا وسياسيا، سنة 1924 باسم الإخاء العالمي، ولكن لم تنجح الفكرة، لأن المقيم العام الفرنسي بالجزائر أمر أحد الأشقياء واسمه عكاشة أن يغتال الفقيه بن دالي عمر والملقب بكحول مفتي العاصمة، وفي يوم الاجتماع بالضبط، ونسبت التهمة إلى الشيخ الطبيب العقبي والى أحد أعضاء الجمعية عباس التركي، فتأخر بسبب ذلك تأسيس الحزب إلى سنة 1931م عند ذلك تأسس حزب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي بالعاصمة وذلك يوم 17 ذي الحجة عام 1349هـ / 5 مايو 1931م وهذا الحزب ومؤسسوه هم النواة الأولى - مع بقية بعض الأحزاب الأخرى- لاندلاع الثورة وحصول الجزائر على استقلالها، وصدق من قال : (الحقيقة مبدؤها خيال) قيل إنه يوم أن حضرته الوفاة دعا العلماء للحضور عنده إلى مقره في مدينة قسنطينة فوعظهم وخطط لهم الطريق السوي، ويقال: إنه التفت إلى رفيقه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وخاطبه بقوله: يا بشير ما نقص من رجلك زاده الله في عقلك - لأن الشيخ البشير كان يسير أعرج كما شاهدته بنفسي حين التقيته بمركز الجمعية بالعاصمة - وقال له : إن فرنسا ستساومك، وإياك أن تلين لها، اثبت فإننا قد غرسنا الشجرة، وستثمر إن شاء الله - قيل لي من أحدهم بعد أن أشار الى البشير الابراهيمي خصوصا وقال للحاضرين : لا يتراس الجمعية الشيخ الطيب العقبي، ولعل هذه فراسة منه رحمه الله، وفعلا فإن الشيخ الطيب العقبي قد انسحب من الجمعية، واستولى على نادي الترقي الكائن

بساحة الشهداء مما اضطر رجال الجمعية أن يشتروا دارا ويجعلوها مركزا لهم في نهج يوميي رقم 3 بين شارع لالير وشارع مرانكو حسب اسماء ذلك الوقت للمشروع والشيخ الطيب العقبي اسس حزبا سماه : (هيأة شباب الموحدين)، ومن العلماء الذين كانوا إلى جانبه الشيخ السعيد الزاهري، والشيخ الهادي السنوسي، والشيخ أبوبكر جابر الجزائري الموجود حاليا بالسعودية.

والشيخ عبد الحميد بن باديس من مآثره إلى جانب مجلة الشهاب، له كتاب: (العقائد الإسلامية من الكتاب والسنة) وله تفسير جمعه عنه أحد طلبته، إلا أنه آيات فقط جلها من سورة الإسراء.

وأصدر أخيرا أحد طلبته وهو الأستاذ عمار الطالبي كتابا بعنوان: «ابن باديس حياته وأثاره» في أربع مجلدات، وقد جمع فيه جهاد شيخه ابن باديس، وتزيد صفحات الأجزاء الأربعة عن ألفي صفحة كل جزء من نيف و500 صفحة.

وأصدر الأستاذ محمد الميلي كتابا من 247 صفحة بعنوان : (ابن باديس وعروبة الجزائر) كما أصدر الدكتور تركي رابح عمامرة كتابا من 540 صفحة بعنوان: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر. ثم اصدر أحد الكتاب اللبنانيين، وهو بسام العسلي كتابا من الحجم المتوسط من 220 صفحة بعنوان: (عبد الحميد ابن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية)ولعل هناك إصدارات أخرى لم تصلنا بعد، وذلك راجع لظروف سياسية خاصة .

ومن أقواله المأثورة - رحمه الله: (إن الشعب الجزائري ليس فرنسيا، ولا يريد أن يكون فرنسيا، وحتى لو أراد فلا يستطيع أن يكون فرنسيا، لأنه بعيد كل البعد عن فرنسا، بلغته، وعاداته، وأصوله، وديانته...).

ومما يؤثر عنه رحمه الله: - وهذا من شدة إيمانه وعدائه لفرنسا - لو طلبت مني

فرنسا أن أقول : لا إله إلا الله، ما قلتها، بمعنى لو جاءت الدعوة إلى التوحيد على يد فرنسا، وهي كما هي دولة كاثوليكية مستعمرة (بكسر الميم الأخيرة) لما استجبت إليها، وهذا إيمان الشعب الجزائري وله قصيدة شعرية من تسعة عشر بيتا يتغنى بها الشباب، ويحفظها رجال الثقافة يعتزون بها وإليكم ابياتا منها :

(شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب
أورام إدماجا له رام المحال من الطلب

إلى أن يقول :

من كان يبغي ودنا فعلى الكرامة والرحب
أو كان يبغي ذلنا فله المهانة والحرب
هذا نظام حياتنا بالنور خط وباللهب)

توفي رحمه الله يوم 16 أبريل سنة 1940م.

عن عمر يناهز خمسين سنة، أما حالته العائلية فقد حكى لي أحد أفراد الجمعية إنه خطب امرأة، إلا أنها ماتت قبل أن يدخل بها، وقبل وفاتها أوصت أن يصلي عليها، حين دفنها، وقد فعل، وخطب أخرى وتزوجها، ولكنها اساءت معه العشرة فطلقها، ولم يعقب رحمه الله.

ويذكر الشيخ البشير الإبراهيمي أن الشيخ عبد الحميد بن باديس زاره لما كان مقيما بتلمسان، قال وخرجنا ذات مساء إلى جبل العباد حيث يوجد قبر الغوث سيدي أبي مدين، وجرنا الحديث - والحديث ذو شجون - لو أراد المسلمون إبدال الآية التي على وجه المصحف الشريف والتي هي : ﴿**إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون**﴾ ما هي الآية التي تختار وتستبدل قال الإبراهيمي قلت : هي قوله تعالى : ﴿**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**﴾ آل عمران : 138.

قال فأجابني الشيخ عبد الحميد بن باديس، إني أرى أن تكون الآية هي قوله تعالى : ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ سورة الحجر : 53.

فأدركت أن الآيتين كلاهما أثبت وأبلغ، إلا أن الأخيرة أشد بلاغة.

عبد الحميد بن باديس - كما يقول المثل - رجل كألف، وسواه كأف، رحمة الله عليه رحمة واسعة.



الشيخ
محمد البشير الإبراهيمي

الشخصية الفذة واللسان اللاذع والرجل الثاني في توعية الشعب الجزائري بعد أبي النهضة الشيخ عبد الحميد ابن باديس، إنه الشيخ محمد البشير الابراهيمي، صاحب القلم السيال، هو من مواليد مدينة سطيف الواقعة بين الجزائر العاصمة غربا ومدينة قسنطينة شرقا تبعد عن الأولى بـ 303 كلم، وعن الثانية بحوالي 175 كلم.

مدينة سطيف تشتهر بمياهها الدافقة الحلوة اللذيذة.

الشيخ الإبراهيمي مؤسس جريدة البصائر، الجريدة الغراء ذات الشهرة الكبيرة وذات الصيت البعيد مثبت تحت اسمها وعنوانها : (لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المدير المسؤول وصاحب الامتياز محمد البشير الإبراهيمي).

ولي شخصيا اتصال بهذه الجريدة، كنت أتسلمها من مدير المركز الشيخ عبد اللطيف سلطاني، ومن قيم المركز كذلك الشيخ يحيى الضيف، أتجول بها في شوارع العاصمة أبيعها لقراء العربية، وكنت آنذاك 1952-1953 كلما عدت إلى المغرب آتي بأعداد منها رغم أن الاستعمار كان يمنعها أن تدخل إلى المغرب وقد سلمت بعض الأعداد منها لعمنا سيدي عبد السلام الحمداوي الضابط المتقاعد، ومؤسس جيش

التحرير، كما سلمت أعدادا منها كذلك لأخينا ورفيقنا في الكفاح الراحل الضابط سيدي عبد العزيز أقضاض الدوائري وعلمت من طرف أولاده سي محمد وسي عمر أن الأعداد لا تزال محفوظة عندهم.

وأستسمح القراء الكرام، إنني أبعدت من الجزائر بسبب بيعي لهذه الجريدة، بحيث أن أحد العملاء، وهو مغربي، أخذ مني بعض ما كنت أبيعه من الجرائد: البصائر، والرأي العام، وصورا للأمير عبد القادر الجزائري فألقت على الشرطة القبض وحجزتني مدة ثلاثة أيام في إدارة الشرطة بمنطقة بوزريعة ثم حكمت علي بالإبعاد من أرض الجزائر وكان دخولي إلى مدينة وجدة يوم السبت 22 شتنبر 1954م.

وبعودتي إلى وطني والى قبيلتي أجزناية، شرعنا نهيئ لتأسيس جيش التحرير، أنا وإخواني وبتجاربي وجولاتي في مناطق شمال أفريقيا الجزائر وتونس وليبيا إلى ارض مصر كنت أشبه بأستاذ لهم في السياسة، ولا أنسى، فلم يمر على عودتي إلى المغرب إلا تسعة وثلاثون يوما حتى اندلعت الثورة في الجزائر يوم فاتح نونبر 1954م وبعد هذا التاريخ بأحد عشر شهرا ويوم واحد فجرنا الثورة بدورنا في المراكز الأربعة بورد وتيزي وسلي وأكنول في قبيلة اجزناية، وفي مرموشة بالأطلس.

فالشيخ البشير الإبراهيمي من فاته الاتصال به والتعرف عليه، فليبحث عن كتاب : (عيون البصائر) الذي يحوي مجموع المقالات التي كان يكتبها افتتاحيات لجريدة البصائر خاصة، ومجموع صفحات الكتاب 693 صفحة وقد طبع بمطبعة دار المعارف بمصر سنة 1963م وطبعته أنيقة وورقه صقيل خال من الأغلاط المطبعية، ولم يرد في الكتاب من أشرف على جمعه وترتيبه، وإخراجه في حلته الجديدة، ولا يبعد أن يكون ولده الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، وأبحاثه ومقالاته - رحمه الله - كان يعالج بها مشاكل شعبه الذي ابتلي بالاستعمار لفترة من الزمن تجاوزت قرنا وربع قرن.

وويل للاستعمار ومن كان يوالي الاستعمار من قلم الإبراهيمي فكثيرا ما كان يوقع تلك المقالات بإمضاء : (شجع الكاهن) وأحيانا بـ : (كاهن الحي) أما كونه شاعرا، فلم يأت له في كتاب عيون البصائر إلا قطعة واحدة من 23 بيتا عنونها بقوله :

(سكتت فقالوا : هدنة من مسالم   وقلت فقالوا ثورة من محارب)

وفي البيت الثالث قال :

(وما أنا إلا البحر يلقاك ساكنا   ويلقاك جياشا مهول الغوارب)

وفي البيت العاشر قال :

(ومن قلمي انهلت سحائب نقمة   عليهم بودق من سهام العقارب)

وفي البيت العشرين قال :

(رعى الله من عرب المشارق إخوة   تنادوا فدوى صوتهم في المغارب)

والقصيدة في صفحة 467 من الكتاب

أشار في الهامش أنها نشرت في العدد 150 من جريدة البصائر سنة 1951م.

وفي صفحة 434 من الكتاب كذلك:

مقال عنونه بقوله

(عيد العرش المحمدي العلوي)

نشر في العدد 58 من جريدة البصائر سنة 1948م استهله بقوله:

(آمال فساح، في الفوز والنجاح وتباشير صباح، باليسر والإسجاح، وتوق وطماح إلى السؤدد اللماح، وكد وإلحاح من أصلاء في العز أفحاح وعزمات صحاح، في الذياد والكفاح).

إلى أن قال : (ومليك مسماح في العلم والإصلاح وإمامة تاجها العمامة، صدفت عن المظاهر، وغرفت عن المزاهر) إلى أن قال:

(ومن حكم الله في هذا العرش أنه لم يزل حارسا للغة الضاد عن الأضداد، حاميا للدين من المعتدين) وهكذا يسير في مقاله وفيما كتبه محاذيا أسلوب المقامات، مقامات الحريري ومقامات بديع الزمن الهمداني، وأخيرا مقامات المويلحي الحديثة.

والبشير الإبراهيمي رحل إلى الشرق بتاريخ 7 مارس 1952م بدءا بأرض مصر، وبعدها باكستان والهند، ثم العراق فالسعودية ولم يعد إلى الجزائر إلا ضمن أعضاء الحكومة المؤقتة برئاسة الدكتور يوسف بخادة حين حصول الجزائر على استقلالها في شهر يونيه 1961م فكانت غيبته على وطنه 9 سنوات وشهور، وكان يوشح جريدته البصائر بمقالاته الرنانة التي تذكي في أفراد الشعب شعلة الحرية ففي عدد 229 الصادر 1953م : (تحية غائب كالآيب) جاء فيه : (وأما الأوبة، فمازلت أسمع الواجب يهتف بي أن يا بشير إذا قضيت المناسك، فعجل الأوبة إلى ناسك) وزاد قائلا : يخاطب الجزائر : (وسلام عليك يوم لقيت من عقبة وصحبه برا فكنت شامخا مشمخرا، ويوم لقيت من (يبجو) وحزبه شرا، فسلمت مضطرا، وأمسيت عابسا مكفهرا، وللانتقام مسرا وسلام عليك يوم تصبح حرا، متهللا مفترا معتزا بالله لا مغترا).

والشيخ محمد البشير الإبراهيمي فهو من أصل مغربي، إدريسي حسني قاله: الشريف محمد المنتصر الكتاني في كتابه : (فاس عاصمة الأدارسة) صفحة 15.

والإبراهيمي في حاجة إلى مزيد من الدراسة فهو عالم متمكن، وسياسي ماهر، ومكافح قدير، ومجاهد عظيم.

توفي رحمه الله سنة 1965م.



الأستاذ
العربي بن بلقاسم التبسي

الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عاش حياته مناضلا مجاهدا، ناشرا للعلم.

بلـده مدينة (تبسة) تقع في الجنوب الشرقي للقطر الجزائري على الحدود التونسية تخرج من جامع الزيتونة بتونس، أسس مدرسة ببلدته تبسة، أطلق عليها : (مدرسة التهذيب للبنين والبنات)، وعمل كاتبا عاما للجمعية، وكلما زار العاصمة، كان يلقي درسا في تفسير القرآن الكريم بالمركز وكان يتحمس شديد التحمس حضرته يوما، فانتابته حالة نفسية شديدة، وقف - وهو في درسه - فقال : أيها الشباب حان وقت إعطائكم لبعض دمكم، لأجل أن تحطوا وتخلعوا هياكل الذل عن أكتافكم وأجسادكم، كبر الحاضرون تكبيرة رد صداها جدران المركز، تولى كتابـة المقدمة لكتـاب : (رسالة الشرك ومظاهره) الذي ألفـه الشيخ مبارك الميلي أمين مال الجمعية والمتوفى رحمه الله 28 يبراير 1940م الطبعة الأولى 1937م. والطبعة الثانية 1966م.

حين رجع وعاد الملك الراحل سيدي محمد بن يوسف من منفاه السحيق يوم الأربعاء 16 نونبر 1955م بدأت الوفود الشقيقة والصديقة تتوافد على مدينة الرباط لتقديم التهاني بالعودة المظفرة، والحصول على استقلال المغرب، وانسحاب

الدولة المستعمرة فرنسا من أرض المغرب، وكنت ضمن الوفد الذي توجه من مدينة تازة لتقديم التهنئة فوجدت وفد الجمعية هناك في الرباط وهم الشيخ العربي التبسي، والشيخ عبد اللطيف سلطاني مدير المركز وأمين المال والشيخ محمد خير الدين، وكان معهم أخونا الأستاذ أحمد توفيق المدني، إلا أن هذا الأخير، وجدته قد عاد إلى الجزائر بيوم ودعوت الأعضاء الثلاث لزيارة تازة، ولبوا الدعوة، وبعد زيارتهم لمكناس وفاس، شرفوا مدينة تازة بحضورهم وزيارتهم، وكان يوم مجيئهم يوما مشهودا في تاريخ تازة، فقد عقد أعضاء حزب الاستقلال والإخوة الجزائريون الساكنون بتازة اجتماعا مشتركا، وأنا بينهم كمنسق، فتقرر أن يتولى الحزب إعداد طعام الغداء، والإخوة الجزائريون طعام العشاء يوم مجيء الوفد، كما تقرر أن يتوجه وفد من كلا الطرفين فيه ثلاث مغاربة، وثلاث جزائريون واقترح الأخ صديقنا السيد عبد المجيد مزيان وهو من أصل جزائري من مدينة تلمسان أن جعلني رئيسا لهذا الوفد الذي يتوجه إلى فاس ويصاحب الوفد المدعو لزيارة تازة، واتصلت بالوفد في فندق ستيام وقررنا السفر من فاس في الساعة الثامنة صباحا، وكنا قد توجهنا لزيارة شيخ الإسلام سيدي محمد ابن العربي العلوي بمنزله الكائن بطريق عين الشقف ودعوناه لزيارة تازة ضمن الوفد فاستجاب للدعوة، وبتنا نحن الأفراد السبعة في فندق (باريس) الكائن بشارع محمد الخامس وغده في الوقت المحدد انطلقنا في عدد من السيارات، ومعنا أحد الأصدقاء الجزائريين وهو الترجمان المحلف السيد (فريكالي خطاب)، والدكتور (دمرجي) وهذا الأخير استشهد عند الحدود شرق مدينة وجدة وعند وصولنا في العاشرة صباحا إلى تازة وجدنا أهل هذه المدينة قد خرجوا إلى الشوارع عن بكرة أبيهم مصطفين على أرصفة هذه الشوارع يحيون ويهتفون ترحيبا بهذا الوفد العظيم كان تناول طعام الغداء في دار الأخوة أولاد أبي عبد الله والعشاء في دار سي علي أوميطا وهو من أصل جزائري من مدينة سيك، والاجتماع وإلقاء الخطب في دار أولاد الحاج البشير بباب الريح، والمبيت في

دار سي عبد القادر الصنهاجي التاجر في قبة بباب السوق، وحيث الذين رافقونا من فاس، عادوا إلى مدينتهم فاس حوالي نصف الليل، فاقترحوا أن أبيت وأنام معهم في دار سي عبد القادر الصنهاجي، وعند الفجر هيأت لهم ماء للوضوء وصلينا الفجر والصبح جماعة، ثم جيء لنا بالفطور الحليب والقهوة والشاي ومن الأطعمة ما لذ وطاب، وفي الثامنة غادروا تازة إلى مدينة وجدة في أمن الله وحفظه رافقهم بعض أعضاء حزب الاستقلال، وبعض الإخوة الجزائريين.

ونعود لمترجمنا الشيخ العربي التبسي، فقد واصل جهاده ونضاله بلسانه وقلمه، قيل إن فرنسا ساومته، وطلبت منه أن يغير من أسلوبه الجهادي ويصرح بما يوافق رأيها وهواها، ويطعن في الثورة وفي المشعلين لشرارتها، لكن عوده كان صلبا وقناته لا تلين.

فلما أيس الفرنسيون منه، اقتحموا عليه داره ليلا في حي بلكور القريب من حي حسن داي، مساء يوم الخميس 4 رمضان عام 1376هـ 4 ابريل 1956م وانتزعوه من بين أهله وذويه – وهو مريض – فقادوه حافي الرجلين عاري الرأس، إلى جهة مجهولة، ولم ير له أثر، ولم يسمع له خبر، وأشيع أنهم جعلوه في طائرة ورموا به في البحر، فرحمة الله عليه واسعة وأثابه الله على جهاده، وجعله مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

هذه هي أعمال الأمة الفرنسية المتمدنة الداعية إلى الحرية والى حقوق الإنسان، فلعنة الله على الظالمين والكافرين جميعا.



الشيخ
عبد اللطيف بن علي
بن أحمد سلطاني

أستاذي وأخي وصديقي الشيخ عبد اللطيف بن علي بن أحمد سلطاني، مدير مركز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأمين مالها، تعرفت عليه في مركز الجمعية الكائن بنهج (يومبي) رقم 3 بالعاصمة كان له درس بالمركز كل مساء الجمعة، يتناول فيه أحاديث رسول الله ﷺ، وكان أحد الأعضاء الثلاثة الذين زاروا مدينة تازة شهر نونبر 1955م بعد تقديمهم التهاني لجلالة الملك سيدي محمد الخامس بعد عودته من المنفى السحيق في الرباط.

زارني في المغرب مرتين ونزل عندي ضيفا سنة 1974م لمدة 16 يوما ومدة 10 أيام في سنة 1975م وذلك حين طبعه لكتابه الذي أصدره بعنوان : (المزدكية هي أصل الاشتراكية) وقد طبعه في مكتبة الطالب بالدار البيضاء، وجعلني مسؤولا على بيعه، وجمع ثمن ما يباع منه في مدن فاس ووجدة، ومكناس وتطوان، ولي معه ذكريات وطرائف، ومن حسن الصدف إنه اجتمع مرات مع شيخنا وأستاذنا العلامة سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري الصقلي الحسيني رحمه الله.

ولا تزال بعض مراسلاته احتفظ بها، ومما جاء في بعضها :

(والذي أثار انتباهي هو حسابكم الدقيق) حيث كنت مسؤولا عن بيع كتابه المذكور آنفا ولا تزال في ذمتي إلى حين هذه الساعة ثلاثة أعداد من الكتاب، محتفظا

بها، وثمن عددين اثنين مجموعهما 26.00 درهما، لأن ثمن بيع الكتاب كما حدده بنفسه 13.00 درهما، وكان قد أخبرني في رسالة أنه أصدر كتابين اثنين، أحدهما بعنوان (سهام الإسلام) والثاني بعنوان (العقائد الإسلامية) والثالث في طريقه إلى الطبع بعنوان : (الغصن الطري شرح كتاب : (متن الأخضري) وهذه المؤلفات وغيرها لم تصل بعد إلى المغرب نظرا للظروف السياسية، فقد حضرت في السنوات الماضية يبراير 2004م إلى معرض الكتاب بالدار البيضاء فلم أعثر على كتاب من هذه الكتب، وغيرها من الكتب المطلوبة فالشيخ عبد اللطيف سلطاني علامة جليل، رجل ثوري متحمس حكى لي: إنه كان يدير منظمة فدائية من منزله الكائن بساحة شامنوف (ساحة مايو حاليا) وقد داهمت منزله قوة استعمارية، وفتشته تفتيشا دقيقا إلا أنها لم تعثر على ما يثبت إدانته، فسلمه الله، وحكى لي أيضا انه عنده من الأولاد ثلاثة عشر، ثلاث إناث وعشرة ذكور، بارك الله في جميعهم.

وأثناء فترة الاستعمار العقد الخامس والسادس من القرن الذي ولى كان يتولى زيادة على أعماله في مركز الجمعية خطبة الجمعة في مدرسة ومسجد الجمعية لحي بلكور الكائن بين حي حسين داي (لوساندي) وحي: سلام باي (صالامبي).

وبعد حصول الجزائر على استقلالها 1961 عين خطيبا في مسجد : (كيتشاوة) والذي كان يدعي أيام الاستعمار الفرنسي للجزائر (جامع النصارى) وهذا المسجد قتل فيه الفرنسيون حين مهاجمتهم لعاصمة الجزائر أربعين عالما كانوا قد التجأوا إليه، وحولوه إلى كنيسة واستمر كذلك مائة وثلاثين سنة، ولما قام هذا الشعب واختار الكفاح والقتال لتحرير هذا الوطن، حرروا هذا المسجد وردوه إلى أصله، وفكوه من عبادة الصليب إلى عبادة الله الواحد الأحد.

وحين قمت بزيارة إلى ارض الجزائر في شهر يوليوز 1964م بعد حصولهم على الاستقلال، زرت المسجد فوجدت العمل جاريا فيه بإنزال الجرس الذي كان يصم

الآذان، خصوصا صباح يوم الأحد كما كنت أسمعه بأذني، وأخبرت أن هذا الجرس وزنه خمسة أطنان، أي خمسين قنطارا، وحين صليت الظهر بالمسجد المذكور، سالت عن الشيخ عبد اللطيف سلطاني، قالوا لي إنه سيحضر عند صلاة العصر ليلقى درسا على الحاضرين، وقد حضرت درسه هذا، وكان بعنوان : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، والمسلم أخو المسلم ... الحديث).

وقد دعاني - رحمه الله - لزيارته والضيافة عنده في منزله الجديد بحي القبة شارع ابن البيطار رقم 10).

إلا أن الظروف لم تسمح لي بذلك نظرا لارتباطي بشخصين اثنين صحباني من المغرب، وهما من أصل جزائري، يريدان اللحاق ببلدهما والعمل في ميدان التعليم في وطنهما، وأخبرني رحمه الله أنه أقصي من خطبة الجمعة بمسجد (كيتشاوة) نظرا لموقفه من أعمال السلطة، إلا أن سكان حي القبة حيث سكناه، قاموا وشرعوا في بناء مسجد كلفته آنذاك 150 مليون دينار جزائري صرف ذلك الوقت، وهو مسجد عظيم وكبير قريب من ملعب كرة القدم (صطاد ذو قبة) في ذلك الحي، ونظرا لموقفه الصارم مع الحكام، أوقفوه عن خطبة الجمعة في هذا المسجد مدة 72 جمعة قبل وفاته، فترة سبعة عشر شهرا حتى أدركته الموت بتاريخ 12 أبريل 1984م.

وآخر رسالة توصلت بها منه مؤرخة بـ 5 نونبر 1983م، جاء فيها : (الشيخ محمد العزوزي - بعد التحية والسلام قوله رسالتكم أدخلت علي من السرور ما لا يعلم مداه إلا الله خصوصا أخبار الشيخ الوقور بقية السلف الصالح سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري، أمد الله في عمره، وبارك في حياته ومتعكم بجواره الذي لا يمل.

أما الاخ توفيق المدني فقد لبى داعي ربه، وانتقل الى جواره، وإنا لتلك اللحظة لمنتظرون، وعلى إثره سائرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون).

وبعد كتابته لهذه الرسالة في 5 نونبر 1984م عاش - رحمه خمسة أشهر وسبعة أيام، فقد توفي رحمه الله يوم 12 ابريل 1985م وحكى لي صديقنا الدكتور سي عبد السلام الهراس أن مدينة الجزائر اغلقت أبواب متاجرها ومصانعها يوم وفاته، وقدر عدد الذين ساروا في جنازة ما يقرب من 250 الى 300 الف مشيع، واستمر الموكب من مسكنه في القبة الى مقبرة (عالية) بحي الابيار حوالي، اربع ساعات رحمة الله عليه واسعة.

وأختم هذه النبذة بمقال نشره بمجلة المجتمع عدد 670 الصادر بتاريخ 7 شعبان عام 1404 الموافق ل 8 مايو 1984م، كان قد اعده ونشر بعد وفاته بمدة أقل من شهر. وبعنوان (صرخة الى علماء المسلمين).

منبر المجتمع صرخة الى علماء المسلمين

بقلم الشيخ عبد اللطيف بن علي بن أحمد سلطاني رحمه الله.

الى من اصطفاهم الله ليكونوا ورثة أنبيائه ورسله، في تحمل شرائعه والذب عنها، وحملهم أمانة العلم، والدين ها انتم تبصرون باعينكم، وتسمعون بآذانكم وتدركون بعقولكم ما نال الدين والعقيدة الإسلامية من مهانة، وما استقر في قلوب المؤمنين من ضعف الإيمان، ونكران لفضل الإسلام على البشرية.

قد رفع بعض ضعاف الإيمان رؤوسهم وأصواتهم عالية منادين بإبعاد الإسلام عن ساحة المسلمين، مرددين كلمات ألقيت إليهم من خصوم الإسلام، فتلقفوها بلهفة تلقف الجائع للقمة الحقيرة - وابتلعوها من غير مضغ - على ما فيها من سموم قاتلة، تاركين وراءهم عيشة الإسلام الهنيئة المريئة الطاهرة المرضية.

أين أنتم يا علماء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، أين أنتم من خطة أسلافكم؟ والاسلام يهان ويضطهد أما علمتم ما لحق به وبأهله، أما رأيتم ما أصابه وأصابهم؟ أما سمعتم ما نزل بأرضه؟ أرضيتم له كل هذا، وأنتم من جنوده وأنصاره؟ تتناهشه السباع العادية، تريد تمزيقه وتقطيع أوصاله، لتقضي عليه فيما تزعم !!! والله ما تستطيع ذلك، إنما هي محاولات يائسة، ومساع خائبة، لأن الإسلام - دين الله، لا يموت وهو حي باق الى يوم البعث والنشور.

الإسلام في حاجة الى مواقفكم الشجاعة مواقف تشبه مواقف الرعيل الأول حين صرعهم الباطل فصرعوه، وهزموا جنده وأذلوه - الا إن جند الله هم الغالبون - وسدوا عليه مسالكه الى صفوف المسلمين، فعاد أدراجه مهزوما ومخذولا.

ما هذا السكوت - إلا من القليل النادر - بعدما شاهدتم ما هو جار في أوطانهم؟ «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة...»

قد رأيتم جحافل الإلحاد والتشويه تجوس خلال الديار، تعثو في الارض فسادا، إن شرف العلم عظيم، ودرجته أعلى وارفع، وهذا بالطبع لا يكون إلا للعاملين بعلمهم، «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير».

إن مسؤولية العلم وخطره أعلى وأعظم رفعة وانحطاطا، وقديما قال الحكماء: «في زلة عالم».

- ساءت اخلاق المسلمين فقال الناس : هذا من سكوت العلماء.
- انتهكت الحرمات، وفعلت المحرمات فصاح الناس : هذا من سكوت العلماء.
- تركت الفرائض والواجبات الدينية فقالت العامة: هذا من غفلة العلماء.
- وطغى حكامهم في كثير من البلاد، وصاروا لا يبالون بالحرام والانحراف، فقالت العامة هذا نتيجة لجبن العلماء !!
- قل الوفاء وكثر الغدرا وضاعت الامانة من أوساط المسلمينا فقال النقاد: هذا من طمع العلماء.
- كثر التملق والتزلف والتمسح باعتاب الحكام، والتقرب منهم، وتحسين أعمالهم المنافية لأسس الدين، فقال الناس: هذا من رغبة العلماء في وظائفهم وأموالهم !! - ما هو دوركم في هذه الاوساط التي تشاهدونها؟ هل هو دور المرشد النصوحا أو هو دور المنهوت المفضوح.

- أصحاب الضلال والباطل والفتن يعملون بحزم ونشاط وأصحاب الهدى والحق والرشد سامدون صامتون يراقبون الزحف على الحق والخير والدين من بعيد !!

- ما سبب هذا الفتور والحيرة؟ هل لم تستبينوا واقع الإسلام والمسلمين؟ أو لم تدركوا المصير؟ هل تذكرون بهذا وأنتم المذكرون؟ أعيذكم بالله أن تكونوا من الذين لا يهمهم أمر المسلمين، والمسلمون في شيء إن كنتم من الذين لا يعنيهم هذا، فإن خصوم الإسلام - وما أكثرهم - يهمهم شأنهم شأن باطلهم فهم في غيهم مجدون والى تنفيذ ما يأمرهم به باطلهم مسرعون، يدعوهم فيستجيبون، ويأمرهم فينفذون، ونحن كما قال القائل:

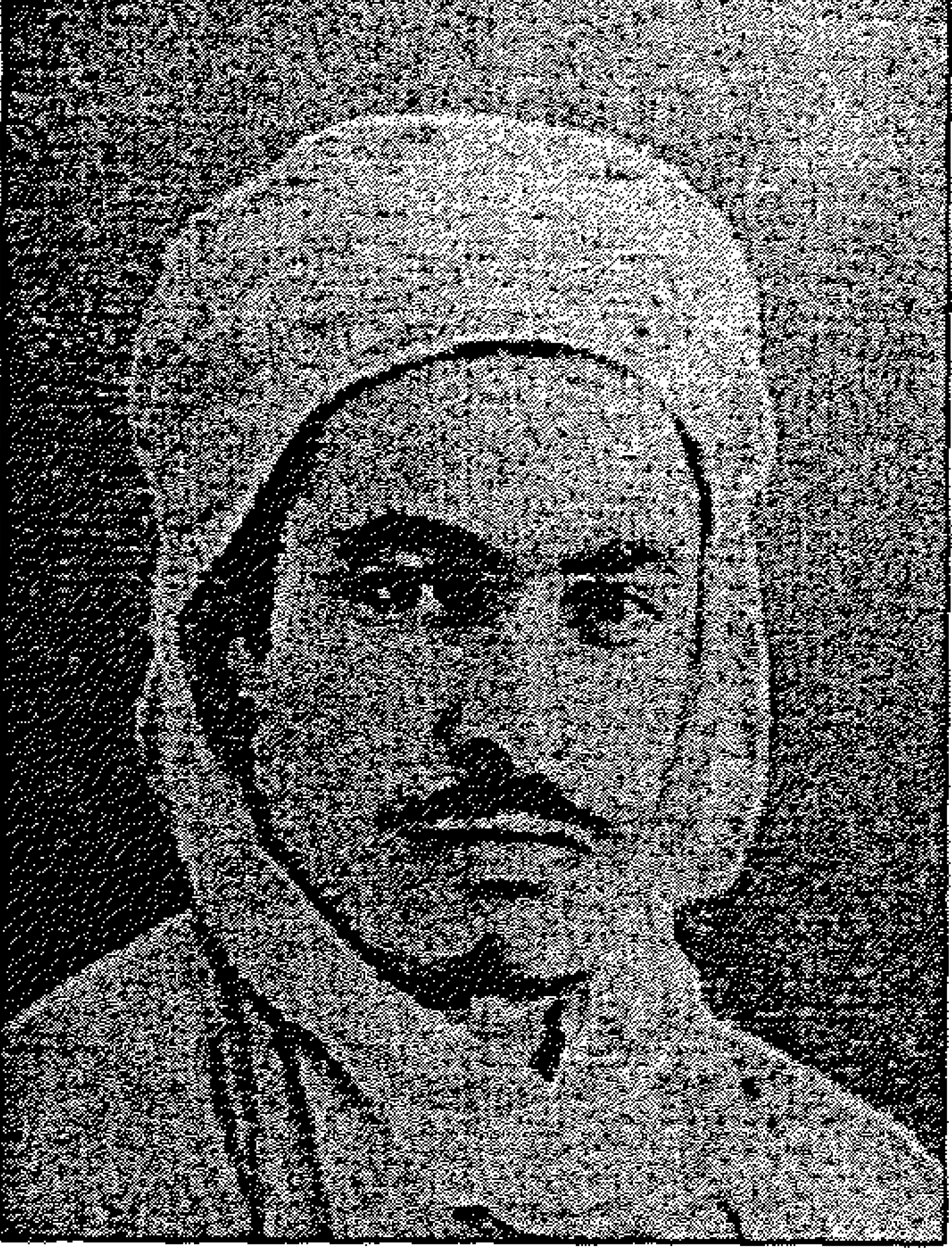
(لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسرحت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعاً من ندم)[1]

والسلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته.

إنه أحد علماء الجزائر المجاهدة إنه الشيخ عبد اللطيف سلطاني الذي توفي حبيسا في منزله من جراء صرخته التي دوخت أدمغة الظالمين من دعوته وأمته، انتقل الى رحمة الله تعالى ليلة 11 رجب 1404هـ الموافق لـ 12 أبريل 1984.

المصدر : مجلة المجتمع عدد 670 بتاريخ 7 شعبان 1404هـ / 8 مايو 1984م.

(1) الأبيات للشهر ستاني، أدب الفقهاء ص: 117، المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية ص: 22 الناشر.



من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العاملين، والمؤسسين لها يوم 5 مايو 1931م

الشيخ محمد خير الدين، هذا العالم تعرفت عليه في مركز الجمعية بالعاصمة، كما تعرفت عليه في أحد فنادق مدينة الرباط، يوم مجيء الوفد لتقديم التهاني لجلالة المغفور له سيدي محمد الخامس بعد عودته من المنفي السحيق في نونبر 1955م.

وكان ضمن الوفد الذي زار مدينة تازة، ومما يذكرني في خطبة القاها في الحاضرين بدار أولاد الحاج البشير الكائنة بباب الريح قوله : (نحن في الجزائر نعبر عن قيام الساعة بطلوع الشمس من مغربها) إذن نقول الآن : فقيام ساعة الاستعمار هو ظهور سيدي محمد الخامس في هذا المغرب، ولكلامه هذا صفق الحاضرون تصفيفا كاد أن لا ينتهي، فالعلماء يعرفون كيف ينقرون على أوتار مسامع العامة، والعلماء هم قواد الأمم والشعوب الى الخير والفضيلة، والى إصلاح الدنيا والدين، ولازلت أذكر حيث بت الى جانب الثلاثة في دار الحاج عبد القادر الصنهاجي وفي الصباح قال لي: (صب علي الماء - من مقرج - فبدأت أصب علياً وحين بلغ رجليه، لم يخلع جوربيه، بل مسح عليهما فقطاً فقلت له : لم لم تخلع الجوربين، فالماء دافئ وليس بضار، أجابني: الدين يسر، والمسح رخصة، والله يحب أن توتى رخصه كما توتى عزائمه) - الحديث، وهو عالم فكاهي أكثر منه جدي، فما عبر عن شيء إلا وضحك جلساؤه.

والشيخ محمد خير الدين أعين ممثلا للجبهة في المغرب أيام قتال الجزائر لفرنسا نونبر 1954م يونيه 1961م وذلك لمقدرته، وبعد معرفته بالسياسة والحرب، ولو لم يكن جنديا ولا عسكريا، ولكن الثبات والعزيمة والمقدرة.

وعلمت أخيرا إنه أصدر قبل وفاته كتابا من جزئين بعنوان : (مذكرات خير الدين) ولم يصل بعد الى أيدينا والكتاب - لاشك - يكون مملوءا أحداثا وحقائق بمجريات الأمور في تلك الحقبة من الزمن التي تولى فيها المسؤولية، والملقاة عليه من طرف أعضاء جبهة التحرير الذين أداروا المعارك من بدايتها الى نهايتها حتى حصل الاستقلال لهذا الشعب الذي عان من ظلم الاستعمار أطول فترة 131 سنة، فالشعوب تنام ولكنها لا تموت.



المثقف المخضرم
الاستاذ أحمد توفيق المدني

أخونا وصديقنا العلامة، الكاتب البارع، الخطيب المحاضر الصحافي العبقري الأستاذ أحمد توفيق المدني، الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، محرر جريدة البصائر، ومدير جريدة الشاب المسلم الجزائري باللغة الفرنسية، موثق عدلي مقره نهج لالير رقم 9 وسط العاصمة، قريبا من جامع كتشاوة الشهيرة الذي منبره ثابت.

أحمد توفيق المدني كان له درس في مركز جمعية العلماء كل مساء يوم الاثنين، وكان يتناول فيه مادة التاريخ خصوصا تاريخ العصور القديمة، أو تاريخ العصور الحجرية – وكيف – وهو صاحب كتاب: (قرطاجنة في اربعة عصور) وكان يحضر دروسه جمع من الشباب، الذين لا يأويهم المركز نظرا لضيقه، وكان بدروسه رحمه الله يبث في أولئك الشباب الروح الدينية الإسلامية، والعربية الوطنية، إنه مفكر إسلامي عظيم، ومن أعماله الأخرى، إنه كان يملك مع شخصين آخرين الثلث في القاعة السينمائية (سينما دنيا زاد) والتي مقرها قريبا من قصر العدالة، ومن فندق (ألتي) الشهير وكان رحمه الله يزودني حينا بعد حين بورقة الدخول للسينما مجانا، لأنني حين كنت أزوره يتوسع معي في الحديث ويسألني عن أشياء وأمور في المغرب كنت أجهلها، هو من مواليد 24 جمادى II عام 1317هـ 1 نونبر 1899م بالبلاد

التونسية أبواه أبا وأما وجدين من أصل جزائري هاجروا قبل فترة الى تونس، يذكر في إحدى مذكراته إن أصوله انحدروا من مدينة غرناطة ببلاد الأندلس، تلقى علومه بالكتاتيب القرآنية، الى جامع الزيتونة الى المدرسة الخلدونية لم يذكر الشواهد التي حصل عليها وها هو يذكر أنه بدأ جهاده بكتابة المقالات الثائرة في الجرائد والمجلات، يحرض أقرانه من الشباب على الثورة ضد فرنسا، وكان ذلك عام 1914م وقد سمعت منه بأذني في مركز الجمعية بالعاصمة، قائلا : إني قد ابتليت بالسياسة وأنا ابن أربعة عشر عاما، وبتصرفاته وهو في مرحلة الشباب، ألقت عليه السلطة الاستعمارية القبض وأودعته السجن بتاريخ 14 يبراير 1915م، ولم يطلق سراحه إلا في شهر نونبر 1918م، وقد استفاد في هذه الفترة، واتقن عدة لغات خصوصا اللغة الفرنسية - وطبعا - الى جانب اللغة العربية، وتعرف على شخصيات في العلوم الثقافية والسياسية معا، تعرف على الشيخ عبد العزيز الثعالبي مؤسس حزب الدستور التونسي، وتعرف كذلك على الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الابراهيمي وآخرين، وبنشاطه المتزايد وحماسه القوي الشديد، ضاق الاستعمار من تصرفاته ذرعا، فأصدر في حقه الإبعاد من أرض تونس، الى أرض الجزائر موطنه الأصلي وذلك بتاريخ 5 يونيه سنة 1925م.

وبعودته الى وطنه الجزائر شرع في العمل الجاد، وأصبح يتحمل عددا من المسؤوليات، وفي نادي الترقي التقى مع الشعب الجزائري في ليلة 27 رمضان عام 1345هـ سنة 1925م وألقى في الحاضرين خطابا عظيما هز شعور جميع من حضر ختمه بقوله : (وليكن شعاركم ايها الأحرار الأبرار : الإسلام ديننا العربية لغتنا الجزائر وطننا وختم قائلا: وفي ذلك فليتنافس المتنافسون).

وعمل على تنظيم عدة مؤسسات اجتماعية وثقافية نذكر منها تاسيس: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصبح كاتبا عاما لها.

قلنا : نفاه الاستعمار من ارض تونس سنة 1925، وكان يرى (أي الاستعمار) أن يتخلص منه في بلد احتل بطريقة غير الطريق التي احتلت بها الجزائر والتي تعتبرها فرنسا : أرضا فرنسية ما وراء البحار، وأنه إن جاء الى الجزائر فماذا يستطيع أن يفعل؟ لكن الله تعالى لا يفعل إلا ما هو خير فتونس واهل تونس هم أقرب الى الاستقلال والى الحرية من الشعب الجزائري، وها هو صاحبنا أحمد توفيق المدني ينضم الى إخوانه العاملين في ميدان الكفاح لتحرير هذا الوطن، والشعب الجزائري لم يكن لينسى اعمال وكفاح أبنائه المخلصين فقرر أن يحتفل بابنه البار أحمد توفيق المدني بمرور 30 سنة من حلوله بأرض الجزائر، وكان الاحتفال به يوم عيد الأضحى عام 1375هـ 1955م ومما ألقي في هذا الاحتفال قصيدة الشاعر الجزائري الشهير الأباضي الزيدي : (مفدي زكرياء) بقصيدة عدد أبياتها 42 بيتا، عنونها بقوله : (شاكر الفضل ليس يعدم شكرا) استهلها بقوله :

(شاكر الفضل ليس يعدم شكرا   خلدوها إذن (لأحمد) ذكرى
واكتبوها، وليقرأ الجيل منها   في (كتاب الجزائر) اليوم سطرا)

وكتاب الجزائر صدر 1350هـ للاستاذ أحمد توفيق المدني، كتاب تاريخي عظيم عدد صفحاته 408 صفحة مع خريطة ملونة للقطر الجزائري يبلغ حجمها : 75 سم طولا في 50 سم عرضا، كتبت بحروف بارزة واضحة، وحسب المصطلحات الجغرافية، فكل شيء في هذه الخريطة بارز للعيان جبالا وسهولا، وأنهارا، وصحاري، ومدنا وقرى وطرقا معبدة، فهي دليل واضح، به يتعرف القارئ على طبيعة أرض القطر الجزائري، وحتى لو لم يتيسر له الجولة فيها، الى أن يقول الشاعر مفدي زكرياء في البيت 15 :

(إيه (توفيق) فيك أخلصت شعرا   قدسيا كالوحي، ظنوه سحرا)

وفي البيتين 21 و 22 يقول :

(كرموا اليوم (أحمد) تكرموا فيـ ـــه الحجى والنهى وعلما وفكرا
لستم اليوم تكرمون نزيلا بعد منفاه في البلاد استقرا)

والقصيدة في اللهب المقدس ديوان الشاعر مفدي زكرياء، ص 278 (واللهب المقدس) طبع في لبنان عام 1381هـ 1961م عدد صفحاته 360 صفحة، عدد القصائد 55 قصيدة.

ومن القصائد التي أنشدها الشاعر، وهن خاصة بوطننا المغرب

1) أرض أمي وأبي
2) قالوا نريد
3) الى أغادير الشهيدة
4) بنيت بروح شعبك عرش ملك
5) أفي السموات عرش أنت تنشده؟
6) ابن ملك على هوى الشعب يخلد
7) هنيئا بني أمي
8) نشيد الجلاء عن المغرب ص : 107
9) يوم استقلال المغرب ص : 113
10) إثر زلزال أغادير ص : 166
11) رثاء جلالة محمد الخامس ص : 212
12) تأبين جلالة محمد الخامس ص: 219
13) تخليد جلوس جلالة الحسن الثاني ص : 229
14) الذكرى السادسة لاستقلال المغرب ص : 328

بقي أن نفرغ لمؤلفاته، فالاستاذ أحمد توفيق المدني، كاتب بارع ومؤلف مقتدر.

من كتبه : (كتاب تقويم المنصور) كان يصدر منه عددا كل سنة فبلغ مجموع ما اصدر منه ثمانية أعداد، وأشهر كتاب له، هو كتاب : (قرطاجنة في أربعة عصور) تاريخ شمال افريقيا من عصر الحجارة الى الفتح الإسلامي، الحجم المتوسط عدد صفحاته 176 صفحة معه خريطة ملونة للأقطار الثلاثة الجزائر والمغرب وتونس، من حجم طول 45 سم، وعرض 20 سم، وفي هذه الخريطة تتجلى الاراضي المغربية التي هي الآن تحت الحكم الجزائري، ورجع إلحاقها بالجزائر للدولة المستعمرة (بكسر الميم) فرنسا، وأذكر إنني كنت أتذاكر وأتحدث يوما مع صديقنا مؤرخ

المملكة المغربية الاستاذ عبد الوهاب بن منصور، في شأن هذه الاراضي التي هي عند الجزائريين، قال لي بالحرف : (حينما عقد السلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي عقد الحماية مع فرنسا في 30 مارس سنة 1912 أعطت فرنسا أوامرها لجنرالاتها المقيمين بالجزائر أن يختزلوا هذه المناطق ويلحقوها بها لكونهم يعتبرونها أرضا فرنسية وراء البحار، ولا يخفى على احد، وهذا من المعلوم بالضرورة أن سيدي محمد بن يوسف حين مفاوضته مع الفرنسيين في : (إيكس لبان 1956) قالوا له اعمل حدودا للمغرب، فأجابهم إن فعلنا هذا الآن يقول إخواننا الجزائريون إننا ضربناهم من الخلف، نصبر الى حين استقلالهم، فنتفاوض معهم على أرضنا، لكن ويالأسف، رغم كل ما قدمناه، ونقدمه لإخواننا وجيراننا الجزائريين من عون، وتقديم مساعدة عبر الفترات المتلاحقة، من تاريخنا المشترك، وخصوصا أثناء الكفاح والقتال في سنوات الحرب 1954-1961م إلا أنهم جحدوا وأنكروا كل ذلك، وقد دعاهم المغرب الى الاتحاد والمصالحة والى العمل المشترك حتى يعود المغرب العربي الى ما كان عليه في العهود السالفة، خصوصا أيام المرابطين والموحدين، ومن جاء بعدهم من ملوك عظام، لكن المغرب لم يجد آذانا صاغية عند هؤلاء الحكام، ونظرا لقصر نظرهم، وبعدهم عن فهم السياسة فهم الآن يتخبطون في مشاكل داخلية، وحروب أهلية طاحنة، يصعب التخلص منها، والخروج من ويلاتها، نسأل الله أن يلهمهم الى الرشد والصلاح، والى التعقل والأناة، حتى تعود المياه الى مجاريها.

- وفي كتاب : (دليل مؤرخ المغرب الاقصى) لمؤلفه عبد السلام بن عبد القادر بن سودة ص : 40 رقم 167 (قرطاجنة قبل الإسلام في أربعة عصور، للأستاذ أحمد توفيق المدني من أهل عصرنا، نزيل الجزائر، كتاب وصف فيه إفريقيا الشمالية قبل الإسلام، من العصر الحجري، الى الفتح الإسلامي على طريقة لم يسبق اليها في اللغة العربية طبع بتونس 1925م 1344هـ في جزء متوسط ونعود الى مؤلفات صاحبنا احمد توفيق المدني، فأشهرها أيضا :

3) (كتاب الجزائر) مر الحديث عنه عند ذكر قصيدة مفدي زكرياء.

4) كتاب : عثمان باشا – آخر دايات الجزائر).

5) كتاب : (حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا) كتاب ضخم تاريخي، ملكته، إلا أنه وياللأسف ضاع مني.

6) كتاب : (المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا) كتاب تاريخي لهذه الجزيرة، والتي فتحها : زيادة الله الأغلبى عام 212هـ أيام خلافة المامون بن الرشيد، وعاش فيها المسلمون عهودا من الزمن، ويكفيها شهرة، أن في عاصمتها أو مدينتها الشهيرة فيها الف الشريف الإدريسي كتابه الشهير (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وهو أول كتاب جغرافي ألف في التاريخ، مع كرة لكوكب الارض، صور فيها هذا الكوكب الذي نعيش على سطحه، وجعله من مادة معدن الفضة، وأهداها لملك ذلك البلد : (روجر الثاني) في تلك العهود، والأدريسي من مواليد مدينة سبتة عام 493 هـ 1100م، ووفاته 560 هـ 1165م ويعد الإدريسي من المخترعين، حين فكر في تدوين علم الجغرافية.

7) كتاب صغير الحجم بعنوان : (هذه هي الجزائر) ألفه سنة 1956م وهو بالقاهرة عدد صفحاته 247 صفحة، وفي هذا الكتاب، وكانه يقول لدول العالم عامةا ولدولة فرنسا خاصة هذه هي الجزائر التي تزعمون انها أرض فرنسية، وأن شعبها البربري – العربي – تحول الى شعب فرنسويا إن هذا الافتراض ما كان ولن يكون أبدا، والأمة الجزائرية المسلمة والشعب الجزائري المسلم، إذا أصابها سبات وغفلة في فترة من الزمن، فها هو اليوم قد فاق من غفلته واستيقظ من سباته، وصحا من نومه، ووقف ليسترد كرامته وحريته، فما على الفرنسيين المستعمرين، إلا أن يشرعوا في الرحيل من حيث أتى آباؤهم وأجدادهم، والمثل يقول : (لا يبقى في الدار إلا صاحب الدار) فالغريب سيرحل، طال الزمن أو قصر.

8) كتاب صغير بعنوان : (حنبعل) رواية تاريخية مثلت على خشبات المسرح مآت المرات، تعرض فيها للحرب الفنيقية الرومانية التي دامت : 118 سنة بدء من 264 قبل الميلاد الى 146 قبل الميلاد، ونذكر فيها الزعيم الفنيقي وهو أحد عظماء الدنيا - حنبعل وآخرين معه كـ عزري بعل، ومعطي بعل، والمرأة صافو، ويذكر فيها معركة (زاما) التي قتل فيها ثلاثون الف مقاتل، وقد حدد موقعها المؤرخ التونسي (عثمان الكعاك) في كتابه : (البربر) وهو العدد الخامس من سلسلة مجلة كتاب البعث، التي كان يصدرها من تونس : (أبو القاسم محمد كرو)، وموقع المعركة هو مدينة: (الكاف) الواقعة بين مدينة ساقية سيدي يوسف وتونس العاصمة. كتاب (حنبعل) طبع 1370 هـ 1950م صفحاته 48 صفحة رغم صغر حجمه، فهو كتاب ذو أهمية كبيرة في تاريخ العصور القديمة.

9) كتاب : (جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية) وهو كتاب يعرف القارئ بالجغرافية الطبيعية، والتاريخية والسياسية والاقتصادية والفلاحية للقطر الجزائري، وذكر فيه أن مساحة القطر الجزائر هي أكبر مساحة في الدول العربية حيث تبلغ مليونين ومائتين وخمسة وتسعين ألف كلم مربعا 2295000م^2 وذكر فيها أن الجزائر قلب الدنيا. (وهذا رأيه) ولعله صادق في ذلك فمن وضع خريطة العالم أمامه، يجد أرض الجزائر تتوسط بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب.

10) علمت أخيرا أنه أصدر كتابا من جزءين بعنوان : (حياة كفاح) ولم يصل إلينا بعد، وهذا راجع الى إغلاق الحدود، وعدم الاتصال بين الشعبين في وقتنا الحاضر، نتمنى أن تتكسر هذه الحواجز، وتفتح الحدود وتعود المياه الى مجاريها، اللهم وفق المسؤولين لما فيه صلاح البلدين، آمين، فالأستاذ أحمد توفيق المدني حاولت الاتصال به في شهر يوليوز 1964 في مقر

وزارته بعاصمة الجزائر، إلا أن الشرطة أحالت بيني وبين زيارته، وفي سنة 1971م لما زرت الجزائر سألت عنه، فقالوا لي إنه سفير للجزائر في دولة باكستان.

ولما علمت بوفاته سنة 1983م كتبت رسالة تعزية لرفيقه وصديقه الشيخ عبد اللطيف سلطاني مدير المركز وأمين المال للجمعية سابقا، أجابني بما يلي :

أما الأخ توفيق المدني فقد لبى داعي ربه، وانتقل الى جواره، وإنا لتلك اللحظة لمنتظرون، وعلى إثره سائرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون) وهذا الأخير لم يعش بعد كتابته للرسالة التي أرسل بها إلي إلا خمسة أشهر وسبعة أيام فرسالته كانت بتاريخ 5 نونبر 1983م ووفاته كانت يوم 12 أبريل 1984م رحمة الله على الجميع رحمة واسعة.

استسمح إخواني القراء، إنها ذكريات مرت كلمح البصر ومع طول الزمن، ومرور الايام، صارت أشبه بالتاريخ يقرأ ويتلى، إذا دونه صاحبه، وأثبته بين بطون الاوراق، وما من إنسان في هذه الحياة إلا وله ذكريات وتاريخ.



العلامة
الشيخ مبارك الميلي

الشيخ مبارك بن محمد الميلي أحد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 17 حجة 1349هـ 1931م، وقد عين أمينا لمال الجمعية، وكان له نشاط علمي وثقافي كبير، ولادته : 1316هـ 1898م قرأ العلم في جامعة الزيتونة بتونس، وفي فترة وجيزة لا تتعدى أربع سنوات 1919 - 1922م عاد الى وطنه الجزائر.

وبأمر من أستاذه ورفيقه الشيخ عبد الحميد بن باديس أن يلتحق ويستقر بمدينة الإغواط لينشر العلم بين تلاميذته الذين يزيد عددهم عن سبعين تلميذا نهارا، وفي الليل في مسجدهم الكبير أو العتيق للكبار مآت وعامة الناس، كما كان ينتقل مرة في كل شهر الى المدن الكبيرة القريبة من الأغواط كـ جلفة ، وشلالة، وقصر البخاري، وأحيانا الى مدينة بوسعادة، ومن أعماله وجهاده: كان يوجه من تلاميذته من يتوسم فيهم الخير والفضيلة الى قسطنطينية أو الى جامع الزيتونة بتونس لمواصلة الدراسة ومن اعماله كذلك : محاربة الطرقية وبدعها وانحرافتها، وقد أصدر كتابا بعنوان (رسالة الشرك ومظاهره) طبعته الاولى 1937م وطبعته الثانية 1966م قدم له : الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي، أحد المؤسسين لجمعية العلماء، ونائب الرئيس، مقدمة جد مفيدة.

ومن مؤلفات الشيخ مبارك الميلي : (تاريخ الجزائر في القديم والحديث) من ثلاثة أجزاء، المجلد الاول من 368 صفحة، والمجلد الثاني من : 414 صفحة،

حلاهما بخريطتين للقطر الجزائري، أما الجزء الثالث حين شرع في كتابته عاجلته المنية يوم 09 يبراير 1940م، وبعد مرور أكثر من عقدين من الزمن أتمه ولده محمد بن امبارك الهلالي الميلي، وطبع هذا الجزء سنة 1956م، والكتاب بأجزائه الثلاثة قد ملأ فراغا كبيرا في تاريخ الجزائر.

بلدة (الميلة) ويدعونها ايضا : (ملالة) قرية شهيرة تقع بين مدينة قسنطينية شرقا، ومدينة بجاية غربا، ونجدها مكتوبة في كتب تاريخنا المغربي، حين نقرأ عودة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي، ففيها التقى برفيقه وتلميذه عبد المومن بن علي الكومي مؤسس دولة الموحدين القرن السادس الهجري.

إن الشيخ مبارك الميلي أحد الأعضاء الإصلاحيين في الجزائر للنهضة الحديثة، قال عنه الشيخ البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر عدد 109 الذي نشر 1950م (كان آية في الذكاء ودقة الفهم والجاد على البحث والاطلاع) الى أن قال : (وإن لأخينا مبارك الميلي على الأمة الجزائرية حقوقا بما علم وكتب، وبما نصح وارشد، وما رد على الذين من عوادي المبتدعين).

انظر الى صورته وهيئته، وهو جالس على كرسي.

إنها صورة العربي القح لحيته وشاربه التي تزيد الرجال زينة وجمالا، كما عبرت أم المومنين عائشة رضي الله عنها : (سبحان الذي زين وجوه الرجال باللحى) تتمته: (والنساء بالذوائب) جمع ذؤابة. وبرنسه الذي على كتفيه، وعمامته المدورة على هامته، والبعض منها مدور بحنكيه ورقبته، وهو اللباس المفضل عند اهل هذا الوطن، وخصوصا منهم العلماء ورجال الدين، ورضي الله عن سيدنا عمر بن الخطاب الذي قال : (العمائم تيجان العرب).

فرحمة الله على هذا العالم رحمة واسعة، وأثابه الثواب الاوفى على ما قدم من خدمات للإسلام عامة وللأمة الجزائرية خاصة.



الشيخ ابراهيم الكتاني

أحد علماء المغرب، الأفذاذ العاملين المصلحين الشيخ الاستاذ محمد إبراهيم الكتاني، صديق الشيخ محمد البشير الابراهيمي وأحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حضر تاسيس الجمعية يوم 5 مايو 1931م، لحضوره صدفة ولقيامه لزيارة الجزائر في تلك الاثناء والخطاب الذي ألقاه في المؤتمر وفي أعضاء الجمعية أثبته الابراهيمي في سجل الجمعية وهو بصفحة 233 وهو آخر عرض في هذا السجل.

وكتاب : (سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) بدون تاريخ، ويذكر كاتبه وجامعه الابراهيمي انه طبع بعد ستة اشهر من عقد المؤتمر، إلا أنه في الصفحة 77 عند التقرير المالي الذي قدمه آنذاك أمين مال الجمعية، ذكر الشيخ مبارك الميلي : صباح يوم الثلاثاء 18 جمادى الاخيرة 1354هـ 17 سبتمبر 1935م، إذن هذا السجل لم يطبع إلا بعد التاريخ المذكور ومترجمنا الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني، هو حفيد سيدي محمد بن جعفر الكتاني، صاحب الكتاب المشهور (سلوة الأنفاس) ولد رحمه الله 1325هـ، حفظ القرآن الكريم وعددا من المتون في العلوم المختلفة دون سن البلوغ، ثم توجهت عزيمته لدراسة العلوم في جامعة القرويين، بدءا من سنة 1337هـ ودرس على أعظم الشيوخ في هذه الجامعة، وبأمهات الكتب في كافة العلوم، وفي عام 1348هـ 1930م تقدم لامتحان الشهادة العالمية من جامعة القرويين، ورغم تفوقه ونجاحه، حرم من نيل هذه الشهادة بسبب مبادئه الوطنية

ونشاطه السياسي، وشرع يدرس العلوم في المساجد المختلفة بفاس، لكن في نفس السنة ورد عليه مكتوب يتضمن إعلامه بالنجاح شرط أن يتبرأ من السياسة، إلا أنه رفض ذلك بكل إباء، محافظة على كرامته.

وبحصول المغرب على الاستقلال - بعد الكفاح الذي خاضه الملك سيدي محمد الخامس وشعبه الوفي - ورجعت المياه الى مجاريها منح مترجمنا الشهادة العالمية موقعة من طرف وزير التربية الوطنية سيدي محمد الفاسي، ومن رئيس المجلس العلمي للقرويين سيدي محمد الجواد الصقلي، وأرخت بتاريخها عام 1352هـ 1933م، حج الى بيت الله الحرام مرات، وزارعدة دول في الشرق والغرب، وخصوصا القطر الجزائري الشقيق، - حيث - هو صديق أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهو أحد أعضائها، فعلماء المغرب، وعلماء الجزائر، الكل كان يعمل لتحرير هذا المغرب العربي الكبير، من ربقة الاستعمار، حتى تحقق النصر ونالت هذه الشعوب حريتها واستقلالها، (وما ضاع حق وراءه طالب) كما جاء في المثل، والله من وراء القصد.

ووفاته رحمه الله كانت يوم الأحد 29 ربيع الثاني عام 1411هـ 17 نونبر 1990م بمدينة الرباط، بعد صلاة الجنازة وصلاة الظهر بمسجد السنة، دفن بمقبرة الشهداء رحمة الله عليه رحمة واسعة.

مختارات من أمهات الكتب

إني ولله الحمد - كلما اشتريت واقتنيت كتابا إلا وحاولت مطالعته وتتبعه كاملا، فإن لم أطالعه كله، فجله ومما تعودته أثناء المطالعة، تسجيل بعض المختارات التي أراها تستحق التسجيل، فجمعت كثيرا من الجذاذات والفوائد، للاستشهاد بها عند الضرورة، وعند الحاجة، حاولت، وأحاول دائما أن أكون على سنن أحد السلف الصالح في قولته وحكمته المشهورة: (ما قرأت شيئا - وفي رواية : ما سمعت شيئا - إلا دونته وكتبته، وما دونت شيئا إلا حفظته، وما حفظت شيئا ونسيته، وفي المثل : (حفظ سترين أفضل من حمل وقرين) تتمته - والمذاكرة بين اثنين أفضل من هاتين)، وصدق الشاعر الذي قال :

(العلم صيد والكتابة قيده   قيد صيودك بالحبال الواثقة)

تعليق : على لفظة (الواثقة) وردت لكن في غير موضعها كان على الناظم أن يقول: (الموثقة) من أوثق يوثق، لا من وثق يثق.

وهذه بعض المختارات أثبتها.

حليمة السعدية
مرضعة النبي ﷺ

الإصابة ج 4 ص : 274 رقم الترجمة : 299 القسم الأخير : (كتاب النساء).

حليمة السعدية، مرضعة النبي ﷺ هي : بنت أبي ذؤيب، واسمه عبد الله بن الحارث، ابن شجنة.

قال أبو عمر أرضعت النبي ﷺ، ورأت له برهانا وروى زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار، قال: جاءت حليمة ابنة عبد الله أم النبي ﷺ من الرضاعة فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه.

أخرج أبوداود وابو يعلى من طريق عمار بن ثوبان عن أبي الطفيل أن النبي ﷺ كان بالجعرانة يقسم لحما فأقبلت امرأة بدوية فلما دنت من النبي ﷺ بسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت من هذه؟ قالوا هذه أمه التي أرضعته.

لم يتعرض لها ابن عبد البر في الاستيعاب
وكذلك زينب فواز في كتابها الدر المنثور.
وكذلك صاحب الاعلام، الزركلي.

أستسمح، إني كنت في إلقاء موعظة للمؤمنين في أحد المساجد، فألقى علي أحد الاساتذة سؤالا، قائلا : أين توجد ترجمة مرضعة النبي ﷺ حليمة السعدية، فأجبته توا : انظر الإصابة، فأجابني ليست فيها، لكني برجوعي الى المنزل أخرجت الإصابة، وكتبتها له، واحتفظت بها هنا.

الرميصاء بنت ملحان نحو 30هـ

الرميصان أو الغميصاء بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام من بني النجار، وتعرف بأم سليم صحابية، وهي أم أنس بن مالك، قتل زوجها مالك بعد ظهور الإسلام، فأسلمت.

- وخطبها أبو طلحة زيد بن سهل، وكان على الشرك يعبد وثنا من خشب، فجعلت مهرها إسلامه وأقنعته، فأسلم، وزوجها إياه ابنها أنس وفي الصحيح : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قالت يا رسول الله : هذا أنس يخدمك، وكان حينذاك ابن عشر سنين، واشتهر أنس بخادم رسول الله ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ يزورها في بيتها فتتحفه بالشيء تصنعه له، ومن قصصها انها اتخذت خنجرا يوم حنين، فسئلت عنه، فقالت اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه.

وفي الصحيح ايضا لمامات ولدها ابن أبي طلحة، قالت لا يذكر أحد ذلك لابي طلحة قبلي، فلما جاء وسأل، قالت هو أسكن مما كان فظن أنه عوفي، ثم أطعمته وتزينت له، واصاب منها، فلما أصبح قالت له : احتسب ولدكاً فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : ﷺ بارك الله لكما في ليلتكما، فجاءت بولد وهو عبد الله بن ابي طلحة، فأنجب ورزق أولادا قرأ منهم القرآن عشرة كملا.

وقال رسول الله ﷺ إني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وفي رواية قال ﷺ : (دخلت الجنة فسمعت مشية بين يدي، فإذا أنا بالرميصاء بنت ملحان) هـ.

المصـــادر :

1 - الأعلام ج : 3 ص : 61

2 - الإصابة ج : 4 ص : 308 رقم 441 الرميصاء.

3 - الإصابة ج : 4 ص : 373 رقم 809 الرميصاء.

4 - الإصابة ج : 4 ص : 461 رقم 1321 أم سليم.

5 - حلية الأولياء ج 2 ص : 57 رقم 139 الرميصاء – أم سليم.

6 - صفة الصفوة ج 2 م 1 ص : 35.

عـدد التـراجم في الإصابـة

الحمد لله بتاريخ، جمادى II عام 1412 / 13/12/1991م.

كتاب الإصابة في تمييز الصحابة للإمام الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني المولود عام 773هـ والمتوفى 852هـ رحمه الله عدد المترجم لهم في هذا الكتاب :

في الجزء الأول : 3031	وهو العدد : 3031
في الجزء الثاني لغاية : 5851	وهو العدد : 2850
في الجزء الثالث لغاية : 9475	وهو العدد : 3694
في الجزء الرابع لغاية : 1288 مبدوءة بـ أبو	1288
في الجزء الرابع لغاية 1130 ترجمة نسائية	1130
في الجزء الرابع لغاية 1552 مبدوءة ب أم	1552
مجموع عدد التراجم في الاجزاء الاربعة	{13545 ترجمة.

والإصابة كتاب من أمهات الكتب في ميدان الاعلام، وصاحبه الحافظ ابن حجر خصه لصحابة رسول الله ﷺ، جزاه الله خيرا، ورحمة الله عليه رحمة واسعة.

المعـــــارف :

وفي كتاب المعارف لابن قتيبة ص : 1-2 مقدمة المؤلف

...... إذ كان لا يستغنى عنه في مجالس الملوك إن جالسهم، ومحافل الأشراف إن عاشرهم، وحلق أهل العلم إن ذاكرهم، فإنه قل مجلس عقد على خبرة أو أسس لرشد، أو سلك فيه سبيل المروءة، إلا وقد يجري فيه سبب من اسباب المعارف، إما في ذكر نبي، أو ذكر ملك، أو عالم، أو نسب، أو سلف، أو زمان، أو يوم من ايام العرب، فيحتاج من حضر الى أن يعرف عين القصة، ومحل القبيلة، وزمن الملك، وحال الرجل المذكور، وسبب المثل المشهور، فإني رأيت كثيرا من الاشراف من يجهل نسبه، ومن ذوي الأحساب من لم يعرف سلفه، ومن قريش من لا يعلم من أين تمسه القربى من رسول الله ﷺ (واهله) والترحم بالاعلام من صحابته، ورأيت من أبناء ملوك العجم من لا يعرف حال أبيه وزمانه، ورايت من ينتمي الى الفضيلة، وهو لا يدري من أي العمائر هي؟ والى البطن، وهو لا يدري من أي القبائل هو؟ ورايت من رغب بنفسه عن نسب دق، فانتمى الى رجل لم يعقب، كرجل رأيته ينتمي الى ابي ذر الغفاري، ولا عقب لابي ذر، وآخر ينتمي الى حسان بن ثابت، وقد انقرض عقب حسان، وكآخر دخل على المأمون، فكلمه بكلام أعجبه، فساله عن نسبه، فقال من طي من ولد عدي بن حاتم، فقال له المامون : الصلبة (أي من صلبه) قال نعم، فقال هيهات ! أضللت ! ، إن أبا طريف لم يعقب، فكان سقوطه بجهله حال الرجل الذي اختاره لدعوته أقبح من سقوطه بالنسب الذي رغب عنه.

... الى أن قال : كطالب غوامض الفقه، وقد اغفل أبواب الصلوات والفرائض أو كطالب طرق الحديث، وقد اغفل متونها ومعانيها، وكطالب علل النحو وتصاريفه، وهو يلحن في رقعة إن كتبها، أو بيت شعر ينشده. انتهى باختصار الى أن قال : (وكتابي هذا يشتمل على فنون كثيرة من المعارف).

غـرائـب اللـغــة

المصدر : الدروس الحسنية.

وتذكر حينئذ ذلك القول الذي قاله صفي الدين الحلي عندما تحدث عن الفصاحة، فقال الاستاذ عبد الصبور شاهين رمضان 1418هـ ص : 93.

(إنما الحيزبـون والدردبيـس ... والطخا والنقاح والعلطبيس
لغـة تنفـر المسامـع منهـا ... حين تحكي وتشمئـز النفـوس
أيـن قولي هذا كثيـب قديـم ... من مقالـي عقنقـل قدمـوس
خل للأصمعي جوب الفيافـي ... في نشـاق تجف منها الرؤوس
إنمـا هـذه اللغـات حديـــد ... ولذيـذ الالفـاظ مغناطيـس)

معـاني الكلمـات :

حاولت شرح الكلمات الغامضة من كتب اللغة، إلا أنني لم أهتد لبعضها، وهن : الدردبيس، العلطبيس، قدموس.

الحيزبون : حزبهم : جعلهم أحزابا، تحازب القوم صاروا أحزابا.

الدردبيس : * * *

الطخاء : الغشاء، يغطي غيره، على قلبه غطاء من كرب أوهم أو جهل.

النقاخ : الخالص من كل شيء، هذا انقاخ العربية والماء الكثير.

العلطبيس : * * *

عقنقل : العقنقل الوادي العظيم المتسع والكثيب العظيم المتطاول.

قدموس : * * *

جوب الفيافي : قطع الصحراء الملساء والجمع الفيافي.
في نشاق : النشق حجارة سود ذات ثقوب تدلك بها الأرجل.
حديد : معروف سمي به لأنه منيع.
مغناطيس : بوزن الزنجبيل – مادة : تجذب الحديد، وهو معروف.

* * * * * * * * * *

أبيات تنسب للإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه :

(وليس بإمعة في الرجا ل أسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مذرب الاصغر ين أبين مع ما مضى ما غبر)

ديوان الإمام علي، ص : 61

الشيخ سليمان الجمل

مختارات ونوادر من كتاب (فهرس الفهارس).

للعلامة المحدث الشيخ عبد الحي الكتاني :

في الجزء الأول ص : 300 ترجمة الشيخ سليمان الجمل رقم 120.

هو الشيخ أبو داود سليمان الجمل المصري الشافعي محشي الجلالين، ترجمة ابن عبد السلام الناصري في رحلته الكبرى، فقال

هذا الرجل آية الله الكبرى في خلقه، مع كونه أميا، لا يحسب ولا يكتب، بل ولا يطالع، ودابه أن يأتي بمن يطالع له حصته في سائر ما يريد تدريسه من الفنون، فيسرد عليه، ويحفظ هو جميع ذلك، ولم يتزوج قط، وله بالمشهد الحسيني درس كبيراً يحضره الجم الغفير في التفسير، وله حاشية نفيسة على تفسير الجلالين، فعادته أن ياتي أخ له كل يوم مع طالب من تلامذته الى بيته، فيسردون على الشيخ التفاسيراً فيأمرهم بالكتب، وله شرح على دلائل الخيرات، وشرح حزب البحر للشاذلي.

قال الناصري : (إن لم يكن المترجم وليا، فليس لله بمصر من ولي، وذكر له الكتاني عددا من الشيوخ الذين روى عنهم، يزيدون عن عشرة.

وفاته رحمه الله 1254 هـ 1790م، الاعلام ج 3 ص : 194.

أبي البركات سيدي أبي سرغين

في فهرس الفهارس ج: 2 ص: 835 رقم 473

ورد قوله : أبي البركات سيدي ابي سرغين.

عند ترجمة ابي عبد الله محمد العياشي، والمتوفى بمصر عام 1149هـ ودفن إزاء قبر ابن أبي جمرة بينهما ذراع، ترجمه أبو العلاء المنجرة في فهرسته محليا له : بـ «الفقيه الصوفي الزاهد الورع الرحالة محمد العياشي الحمري».

قال : «لقيته أولا بصفرو عند ضريح أبي البركات سيدي ابي سرغين» قال أنظره.

للتعليق فقط : ضريح سيدي علي ابن ابي سرغين الموجود في مدينة «صفرو» يقصده الزوار من كل مكان، يستشفون عنده من امراض مختلفة، وكثير من هؤلاء الزوار يدعون أن المأمول يحصل لهم، إلا أن هذا خلاف الشريعة الاسلامية، فالذي يشفي من الأمراض هو الله، وهناك أسباب مطلوبة في العلاجات، وفي الحديث: (الشفاء في ثلاث : شرطة محجم، أو شربة عسل، أوكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي) رواه البخاري وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والناس في هذه البلاد فاس وصفرو والنواحي على قسمين السواد الأعظم يعتقد أن الزيارة لهذا الضريح بركتها حاصلة، والقسم الآخر، وخصوصا – الشباب المثقف – يجعلون هذه الزيارة شركا، وبعضهم يدعي أن أبا سرغين هو من أصل يهودي، والقول الأخير يرده قول الكتاني : (أبي البركات سيدي أبي سرغين) .

أبـو جـدين الريـفي

في فهرس الفهارس ج : 2 صفحة 1159.

رقم : 658 عند ترجمـة عالم المغـرب، ونادرتـه، وصاعقته ... أبـو علي الحسن بن مسعود اليـوسي البوحديوي والمتوفى 1102 هـ.

قال الكتاني : (وبأسانيدنا الى ابن الطيب الشركي عن عمته الزهراء بنت محمد الشركية، زوجة أبي علي اليوسي، عنه، ونتصل به في الطريقة الناصرية عاليا، عن عبد الهادي العواد، عن الشيخ السنوسي عن محمد بن ابي جدين الريفي عن أبيه عنه وهذا اعلى ما يمكن الآن).

للتعليق :

أبو جدين – هذا – زاويته معروفة ومشهورة في قبيلة بني توزين، وفي قرية تعرف بـ (أشترعاري) نسبة، قيل : لآيت علي، وقيل: لسكان الأعالي. وزاوية أبي جدين فرع من زاوية سيدي محمد (فتحا) الناصري ببلاد درعة، جنوب المغرب ويذكر أن اهل هذه الزاوية في بلاد الريف مشهورون بالصلاح والفلاح.

علي بن عـزوز المقبـور بجبل زغـوان

في شجرة النور الزكية ص : 324 – 325 رقم : 1267.

عند ما ترجم لابي عبد الله محمد زيتونة الشريف المنستيري، المنشأ الدار، التونسي القرار، عالمها، وشاعرها، ومفتيها، وغيث واديها ومصباح ناديها شيخ الإسلام، الى أن قال: ثم رجع الى تونس ولازم التدريس والإفادة، وتولى الإمامة والخطبة بجامع باب بحر، وظهرت عليه أنوار الصلاح، وكان أشار له بذلك شيخه العارف بالله الاستاذ علي عزوز، صاحب زاوية زغوان، وغيرها، المتوفى سنة: 1122هـ وعد ذلك من كراماته.

وفي كتاب : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني ص : 152، جبل زغوان بقرب تونس، وهو جبل منيف، يرى من مسيرة أيام لعلوه، ويرى السحاب دونه، وأهل إفريقيا يقولون : (فلان أثقل من جبل زغوان) وفيه قرى كثيرة، ومياه وأشجار وثمار، (وفيه مأوى الصالحين) وكثير ما يمطر سفحه، ولا يمطر أعلاه، فمن كان بيته في سفح الجبل يكون من شدة المطر، ومن كان بيته في اعلاه، يكون من قلة المطر، وشدة العطش.

وفي شجرة النور – كذلك – القسم الثاني ص : 4

ولولا العلماء لكان الناس في عمى كالبهائم، ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضا، ولله در عبد الله بن المبارك حيث قال:

(ولولا الخلافة ما قامت لنا سبل   وكان أضعفنا نهبا لأقوانا)

هذا ما قيل في النساء

في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ج 2 ص : 62 رقم 1740

(عقولهن في فروجهن) قال في المقاصد لا اصل له، ولكن حكى القرطبي في التذكرة عن علي أنه قال : أيها الناس لا تطيعوا النساء، ولا تدعوهن يدبرن أمرا يسيرا، فإنهن إن تركن وما يرين أفسدن الملك وعصين المالك، وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن، فلا ورع لهن عند شهواتهن، اللذة بهن يسيرة، والحيرة بهن كثيرة، فأما صوالحهن ففاجرات، وأما طوالحهن فعاهرات، وأما المعصومات فهن المعدومات، فيهن ثلاث خصال من اليهود : يتظلمن وهن ظالمات، ويحلفن وهن كاذبات، ويمتنعن وهن راغبات، فاستعيذوا بالله من شرارهن، وكونوا على حذر من خيارهن. وفي المرفوع ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء، وما رايت من ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحازم منكن، وهن مائلات مميلات وما أحسن قول أبي الخطاب بن دحية : تحفظوا عباد الله منهن، وتجنبوا عنهن، ولا تثقوا بودهن، ولا بوثيق عهدهن، ففي نقصان عقلهن وودهن ما يغني عن الأطناب فيهن والله اعلم.

مختارات من امهات الكتب

(كن كيف شئت فإن الله ذو كرم — وما عليك إذا أذنبت من باس

سوى اثنين فلا تقربهما أبدا — الشرك بالله والإضرار بالناس)

نصيحة أهل الإسلام ص : 210

(كل العداوة ترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك في الدين)

ص : 185

قال محمد بن واسع : (ما بقي في هذه الدنيا شيء من اللذة إلا الصلاة المكتوبة في وقتها ولقاء الإخوان والأحبة) الغنية ص : 74 .

ابن القاسم سمعت مالكا يقول : (ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يضعه الله في القلوب) 74 للحميدي الاندلسي.

(لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال)

الغنية ص : 137

قال سهل بن عبد الله التستري، قال لي خالي محمد بن سوار :

ألا تذكر الله تعالى الذي خلقك؟ فقلت : كيف أذكره؟

فقال : (قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك، ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك (الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي) 3 مرات ثم سبع مرات ثم إحدى عشر مرة. قال الى أن تدخل القبر.

الرسالة القشيرية ص : 400-401.

ركن الالغاز

في كتاب منية الفقير :

(إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب باقداح صغار فقد ضاق الزمان عن الصغار)

البيتان لأبي نواس كما ذكرهما سيدي عبد الله كنون في كتابه : مذكرات غير شخصية ص : 12.

والمستشهد بالبيتين، يقصد ثلثي عمر الإنسان ولقوله ﷺ : (أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين، وأقلهم من يتجاوز ذلك) رواه الترمذي وابن ماجة وآخرون عن ابي هريرة رضي الله عنه انظر كشف الخفاء ج 1 ص : 145 رقم : 423.

فعشرون من الشهر ثلثا الزمن، والاربعون ثلثا الستين، واراد بكثرة الشرب: الانقطاع الى العبادة والذكر، وعدم التراخي، لأن الأجل يقترب.

وقال آخر في القلم :

(بصير بما يوحى إليه وماله لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره إليه، إذا ما حركته الاصابع)

وفي الميزان كذلك :

(ما واحد مختلف الأسماء يعدل في الارض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء أعمى يرى الإرشاد كل راء
أخرس لا من علة وداء يغني عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو امتراء بالرفع والخفض عن النداء
يفصح إن علق في الهواء)

وألغز أحدهم في كتاب :

(وذو أوجه لكنه غير بائح　　بسر، وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه　　فتسمعها بالعين ما دمت تنظر)

وألغز أحدهم في نعش الموتى :

(أتعرف شيئا في السماء نظيره　　إذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا　　وكل أمير يعتليه أسير
يحض على التقوى ويكره قربه　　وينفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزرعن رغبة في زيارة　　ولكن على رغم المزور يزور)

وألغز أحدهم في الماء :

(يميت ويحيي وهو ميت بنفسه　　ويمشي بلا رجل الى كل جانب
يرى في حضيض الارض طورا، وتا　　رة تراه تسامى فوق طور السجائب)

وهذا ألغز في طاحونة، أو رحى :

(ومسرعة في سيرها طول دهرها　　تراها مدى الايام تمشي ولا تتعب
وفي سيرها ما تقطع الأكل ساعة　　وتاكل مع طول المدى وهي لاتشرب
وما قطعت في السير خمسة أدرع　　ولا ثلث ثمن من ذراع ولا أقرب)

وقال أحدهم في فاكهة الموز :

(ما اسم شيء حسن شكله　　تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فإن زدته　　واوا ونونا، صار موزونا)

وهذا ألغز فيما يراه النائم في منامه :

(وما شيء له في الرأس رجل　　وموضع وجهه منه قفاه
إذا أغمضت عينيك أبصرته　　وإن فتحت عينك لا تراه)

ولشاعر العروبة المتنبي في الحمى :

(وزائرة كأن بها حياء فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها فتوسعه بأنواع السقام)

قال أحدهم : في قلم اليراع :

(وساكن رمس طعمه عند رأسه إذا ذاق من ذاك الطعام تكلما
يقوم ويمشي صامتا متكلما ويرجع للرمس الذي منه قوما
فلا هو حي يستحق كرامة ولا هو ميت يستحق الترحما)

وقال آخر : في قلم اليراع كذلك :

(وأهيف مذبوح عل صدر غيره يترجم عن ذي منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره ويضحي بليغا وهو لا يتكلم
لأنه يقطع منه حينا بعد حين

وقال آخر في الدواة :

(موردة الخدين مسودة الدم ومحمرة الآذان مفتوحة الفم
لها سنم كالديك ينقر جوفها تساوي إذا قومتها نصف درهم)

وقال آخر في الميزان :

(وقاض قد قضى في الارض عدلا له كف وليس له بنان
رأيت الناس قد قبلوا قضاه ولا نطق لديه ولا بيان)

وقال آخر في الإبرة :

(وذات ذوائب خطرت بقد سقيم لا بحزن واكتئاب
بعين لم تذق للنوم طعما ولا ذرفت لدمع ذي انسكاب
ولا لبست مدى الايام ثوبا وتكسو الناس انواع الثياب)

وقال أحدهم ملغزا في النحلة :

(وطائرة تحوي لأربع أحرف وعظم ولحم والدماء وريش
فيؤكل منها البعض والبعض ضده ويحرق منها البعض وهي تعيش)

يؤكل العسل، ويحرق الشمع.

وقال آخر في مصراعي الباب :

(خليلان ممنوعان من كل لذة يبيتان طول الليل يعتنقان
هما يحفظان الاهل من كل آفة وعند طلوع الشمس يفترقان)

وقال آخر في العين :

(وطائرة تطير بلا جناح تفوت الطائرين وما تطير
إذا ما مسها الحجر اطمأنت وتألم إن يلامسها الحرير)

الحجر الإثمد أو الكحول، والحرير معروف، من دود، أو نبات.

وقال آخر في الليل والنهار :

(ما أسود في حصة ابيض وأبيض في حصة أسود
ما افترقا قط ولا انعداما كلاهما من ضده يولد)

وفي القرآن الكريم يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل.

وقال آخر في النار :

(وآكلة بلا فم وناب لها الحيوان قوت والنبات
فما أكلت تحيا وتبقى وإن شربت تفارقها الحياة)

وجوابها نظما :

(اسمع جوابك يا هذا وكن فطنا واسلك مسالك أهل الفهم والأدب
إن السؤال كما أنشدت تسألنا بدا عن النار ذات الوقد واللهب)

وقال آخر في النار كذلك :

(ما ذات ضر ونفع شأنها عجب مرت على خلقها الاعصار والحقب
حمراء صفراء نور العين زاهرة كأنها حين تستجلي لنا الذهب
فيها الصلاح لمن رمى الصلاح بها والويل فيها لمن نالته والحرب)

وجاء جوابها نظما :

(اسمع فديتك يا من جاء يسألني شرح البيان إذا ما اعجب العجب
هذي هي النار فيها قلت يأملي إذا أضرمت وبها الإصلاح والتعب)

وقال آخر ملغزا في البيضة :

(ألا قل لأهل العلم ذي الفهم والأدب ومن كان اهلا للعلوم أولي القرب
ألا بينوا لي أي شيء رأيتمو من الطير في ارض الاعاجم والعرب
فيؤكل مطبوخا لذيذا وتارة فيؤكل مشويا إذا حط في اللهب
وليس له لحم وليس له دم وليس له عرق وليس له عصب
وليس له شعر على الجلد واضح وليس له ريش وليس له زغب
وليس له رجل وليس له يد وليس له رأس وليس له ذنب
وهذا له لونان لون كفضة ولون صقيل حاله يشبه الذهب
ولا هو ذو روح ولا هو ميت يا فقيه الا فأخبروني إن هذا هو العجب

قيل قد أجيب عن ذلك : طولت المسألة في شيء قيمته فلسان.

والغز أحدهم قائلا :

(أي شيء فيه الحياة تسر وهو حلو ولا مذاق ومر
بح إذا رمت قبله فهو منه حرفان يا خير شاعر ليس غير
وإذا ما فتحت منه أول حرف جاء يسعى إليه للأكل طير
وإذا ما صحفته فمكان لنبي محسد ومقر
وهو بالفاتنات يصفو وفي جانبيه وصل وهجر
اسأل زوجة العزيز عليه فهي أدرى وفيه أزر وأجر)

كلمة بح إذا قلبت صارت حب إذا فتح أولها صارت حب، وإذا صفحت صارت جب، والنبي هو سيدنا يوسف (ع س)، زوجة العزيز هي زليخة فيه أزر إثم لمن فعله في الحرام، وفي بضع أحدهم صدقة).

هـذا لـغـز وضـعـه أحـدهم فقـال :

سيدة أنجبت وولدت ستين ولدا، فإن صلت بأولادها، وتقدمتهم إماما، فصلاتهم صحيحة، وإن صلى كل واحد منهم فردا ووحدانا فصلاتهم باطلة تعاد أبدا، إنه أمر عجيب وغريب.

مـن هي هـذه الأم؟

إنها أم الكتاب، إنها سورة الفاتحة، إنها السبع المثاني، التي قال فيها رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده ما أنزل في الثوراة ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها...)

وهي سبع آيات، وعدد كلماتها خمس وعشرون كلمة وعدد حروفها : 123 حرفا، وقال فيها : (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب أما أولادها الستون، فهم الستون حزبا، يتلوها الحفظة في مدة ثلاثين يوما، وهو الشهر العربي الذي يحسب برؤية الهلال الى نهايته، حزبا في الصباح، وحزبا في المساء، وهو أقل العمل، وفق الله حفظة القرآن الكريم لتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وربنا سبحانه الولي الحميد.

وفي ديـوان أمـير شعـراء الجـزائـر :

الشيخ محمد العيد محمد علي خليفة ص : 564

<u>(الجـاريـة السـوداء)</u> :

نظم الشاعر رحمه الله البيتين الأولين في بداية الحرب العالمية الثانية 1939- حيث فقدت مادة البن (القهوة) وأطلق عليها الجارية السوداء، ونظم البيتين الاخيرين بعد الحرب وآلامها : 1945م قال - رحمه الله - ملغـزا :

(وجارية سوداء عز مناها على البيض واستعصى عليهم وصالها
تولت وصدت عنهم فتعوضوا جواري أخرى لا يطاق احتمالها)

ثم قال بعد الحرب ورجوع مادة البن :

(وهاهي قد عادت وجادت بوصلها لنا بعد ما غابت وطال ارتحالها
إذا حضرت في مجلس طاب أنسه وأغناه عن شرب الحرام حلالها)

وفي صفحة 558 (اللغز) :

شيء به تختبر العقول صعب إليه يعسر الوصول
يلهو به السائل والمسؤول فحبله بينهما موصول
كأنه حمامة تجول يصطادها الحذاق والفحول
فبعضهم مخيب مخذول وبعضهم موفق مقبول
وفكرك الآن به مشغول فما ترى فيه وما تقول)

وله ألغاز أخرى فلتراجع في الديوان، وكلها في آخر الديوانة المشتمل على 600 صفحة.

وألغز أحدهم في الجرس النحاسي أو الحديدي فقال :

(ما شيء أوسع ما فيه فمه؟ وابنه في بطنه يرفسه ويلكمه
وقد علا صراخه وصياحه ولم يجد في الارض من يرحمه)

والغز أحدهم وهو ابن الجياب في (فلك) :

ما اسم لشيء مرتقي في مغرب ومشرق
إذا حذفت فاءه كان (لك) الذي بقي

ما قيل في الهجاء

قيل إن شاعرا اراد أن يهجو بشار بن برد، فتسلق لذلك من طرف أمه التي كانت قد تزوجت ثلاثة رجال، فقال :

(ولدت خلدا وذيخا في تشتمه وبعده خزرا يشتد في الصعد
ثلاثة من ثلاث فرقوا فاعرف بذاك عرق الخال في الولد)

شرح الكلمات :

الخلد : نوع من الجرذان (الفيران) يولد أعمى، وقصد به بشار لأنه عاش ضريرا.

الذيخ : الضبع فهو أعرج، وأحد إخوة بشار من أمه كان أعرج.

في تشتمه : رائحته الكريهة التي يتقياها ويخرجها من جوفه ومعدته، وهي سلاحه للوصول الى طعامه.

خزر : ذكر الارنب رجلاه الأماميتين قصيرتان وظهره محدودب فهو لا يلحق في صعوده الجبال.

ثلاثة من ثلاث : كونهم ينتمون الى أخوالهم، ولا صلاح فيهم.

قال أحدهم يهجو بخيلا :

(رأى الصيف مكتوبا على باب داره فصحفه ضيفا فقام الى السيف
وقلنا له خيرا وظن بأننا طلبنا منه خبزا فمات من الخوف)

وشاعر آخر رأى رجلا الى جانبه، ولده وهو كثير الشبه به، فجمع الاثنين والمرأة التي ولدت ذلك الولد فقال :

(أبـوك أبـوك وأنت ابـنــه   فبئيس البني وبيس الأب
وأمـك سـوداء مـا دونــه   كـأن أنـامـلهـا العنـظـب
يبيت أبـوك بهـا مـعـرسـا   كما سـاور الهـرة الثعلـب)

* * * * * * * *

مفـردات :

الأنامل : الاصابع
العنظب : الجراد الضخم وقيل ذكر الجراد الأصفر.
ساور : اتصل بها جنسيا.
الهرة : القطة

قيل: إن الهرة اتصل بها الثعلب فولدت ما يسمى بالسنور، وهو القط المتوحش، بالبربرية (ثاواثا).

قيل إن مضريا كتب هذه الأبيات وأرسل بها الى سيدنا معاوية رضي الله عنه، حين ألحق يزيد بن سمية به وجعله أخا له من أبيه، فقال :

(ألا ابلغ معاوية بن حرب   مغلغلـة عن الرجل اليمانـي
أتكره أن يقال أبوك عف   وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد أن آلك من قريـش   كرحم الفيل من ولد الأتاني)

المفردات :

ذكر الجاحظ في كتابه الحيوان أن الحمار الوحشي المخطط هو من انثى الفيل وذكر الحمير الذي هو الأتان.

أشهر هجاء في الإسلام

وأشهر هجاء في الاسلام ما أنشده الصحابي الجليل سيدنا حسان ابن ثابت رضي الله عنه، حين قال رسول الله ﷺ : ما للذين نصروا نبيهم بسيوفهم، لا ينصرونه بلسانهم؟ فقال سيدنا حسان : أنا لها يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ كيف تهجوهم وأنا منهم؟ قال : أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين، ثم شرع يوجه لأبي سفيان هذه الضربات، وهذه الشتائم اللائي لا يستطيعون جوابا لها، قال رضي الله عنه :

(ألا أبلغ أبا سفيان عني   مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبدا   وعبد الدار سادتها الإماء
هجوت محمدا فأجبت عنه   وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء؟   فشركما لخير كما الفداء
لنا في كل يوم من معد   سباب أو قتال أو هجاء
لساني صارم لا عيب فيه   وبحري لا تكدره الدلاء
فإن أبي وولدتي وعرضي   لعرض محمد منكم وقاء)

وبهذه القصيدة، وهذه الابيات من الشعر، صار دين الإسلام وصاحب هذا الدين سيدنا محمد ﷺ يعلو شأنه، ومكانته ترتفع، والشرك صار يخفت وينقص حتى صيره الله الى الزوال، وصدق الله العظيم : (ويحق الله الحق ويبطل الباطل ولوكره المجرمون).

قيل إن رجلا كان أسود البشرة، ويدعي الذكاء، وأن خاطره من نار، فهجاه أحدهم، قائلا فيه :

(إن قلت من نار خلقـ   ـت وفقت كل الناس فهما
قلنا صدقت فما الذي   أطفاك حتى صرت فحما)

قيل إن أحدهم هجا قبائل البربر، مخاطبا أبا البشر آدم عليه السلام :

(رأيت آدم في نومي فقلت له: أبا البريـة إن الناس قد حكموا
أن البرابرة نسل منك قال إذا حـواء طالقة إن كان مازعمـوا)

وقال آخر يهجو طبيبا :

(قال حمـار الطبيـب موسى لو أنصفونـي لكنت أركـب
لأننـي جـاهـل بسيـط وراكبـي جـاهـل مركـب)

قيل إن طبيبا يدعى ابن زهر، فطب مريضا فمات فهجاه أحدهم قائلا :

(يا ملك الموت وابن زهـر جـاوزتمـا الحـد والنهايـة
تـرفـقـا بالـورى قليـلا في واحـد منكمـا الكفايـه)

ألغز في كلامه، وعماه، ولم يبينه، وجاء بالالغاز في شعره، ولغز يمينه دلس فيها عن المحلوف له.

والألغاز شيء معروف عند علماء اللغة وعلماء الأدب.

هذا ركن التصغير في اللغة العربية

1) لصفي الدين الحلي :

(نقيط من مسيك في وريد   خويلك أم وشيم في خديد)

أصل الكلمات : نقط – مسك – ورد – خال – خد.

2) وله أيضا :

(نزلت جويره فقضى حقيقي   وصان حريمتي وبنى مجيد
وحن على كسير في قليبـــي   كما حن الأبـى على الوليـــد)

أصل الكلمات : جار – حق – حرمة – مجد.
كسر – قلب الاب – ولد.

3) وله ايضا :

(دوينك يأهيل الجود مني   نظيما في وصيفك كالعقيد)
أحيسن من قصيد من قبيلي   وأحـلى من نظيم من بعيـد

أصل الكلمات : دون – أهل – نظم – وصف – عقد.
أحسن – قصيدة – قبل – نظم – بعد.

ولابن حجة الحموي :

4) (طريفي من لييلة الهجيرى   مقيرح الجفين من السهير)

أصل الكلمات : طرف وهو العين – ليلة – الهجر – مقروح – جفن – السهر.

وللفيلسوف الطبيب أبي بكر بن طفيل :

(إني نظرت الى المرأة إذ جليت فأنكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيت فيها شييخا لست اعرفه وكنت اعترف فيها قبل ذاك فتى
فقلت لها : أين الذي بالامس كان هنا متى ترحل من هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة إن الذي أنكرته مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادي يا أخي وقد صارت سليمى تنادي اليوم يأبتا)

كلمات التصغير : شييخ شيخ - سليمى سلمى - يأخي أخي.

وعلى ذكر : (سلمى) قال أحدهم :

(رعاك الله يا سلمى رعاك ودارك باللوى ذات الأراك
أخاف سيوفك من معد وما كانوا بأقتل من هواك)

اللوى : كثبان الرمل.

الأرك : شجر الاستياك.

وفي كتاب عجائب اللغة لشوقي ضيف ص : 113

(لم يصغر : (فعل) في العربية، إلا في لفظتين اثنين، لا ثالث لهما :

(ما أميلح زيدا، وما أحيسنه)

و(ما) هاته إعرابها كما يلي :

ما تعجبية، نكرة بمعنى شيء مبتدأ والفعل بعدها فيه ضمير مستتر تقديره هو فاعل، والاسم الذي ياتي بعدها في محل نصب مفعول به.

ومن الاسماء الاعلام المشهورة التي صغرتا وأصبحت متداولة لا جدال فيها:

الاسم المؤنث :	الاسم المذكر :
زبـــدة : زبيدة	عمر : عمير
سكينة : سكينة	حميد : حميد
سلمى : سليمى	عقيل : عقيل
ماما : أميمة	خالد : خويلد
وقت أوحين } هنيئة	عبد عبيدة وعبيد
أوزمان	جند : جنيد
جارية : جويرية	صهيب : صهيب
	خزيمة : خزيمة
	حسن : حسين
	قص : قصي
	فهر : فهير
	رشيد : رشيد
	طفل : طفيل
	شيخ : شييخ

في الرأي والمشورة

قال أحدهم : الرجال ثلاثة، رجل رجل (أي عاقل) ورجل نصف رجل، ورجل لا رجل :

الأول ذو عقل وذو رأي، ولا يقدم على امر حتى يستشير من يراه اهلا للاستشارة.

الثاني قليل العقل وقليل الرأي، إلا أنه لا يقدم على أمر حتى يستشير خوفا

أن يقع في مالا تحمد عقباه، فهو نصف الرجل الثالث لا عقل معه ولا رأي، ولا يستشير، يقدم على الأمور جزافا، وهذا قليل ما يصيب، فهو لا رجل.

وفي غزوة بدر الكبرى يوم الجمعة 17 رمضان عام 2 هـ، ها هو سيد الوجود ﷺ يقول : (أيها الناس أشيروا علي ...) وقد امتثل ﷺ قول الله تعالى : ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾.

وفي كتاب التبر المسبوك للإمام الغزالي ص : 208.

قال أحد الحكماء : (الناس اربعة)

رجل يدري ، ويدري أنه يدري، ذلك عالم فاتبعوه.

ورجل يدري، ولا يدري انه يدري ذاك ناس فذكروه.

ورجل لا يدري، ويدري أنه لا يدري ذاك مسترشد فأرشدوه.

ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، ذاك جاهل فأعذروه.

وفي حكمة مأثورة : (رحم الله امرأ عرف قدر نفسه).

ما قيل في الشيب، وبياض الشعر بعد سواده

1) للإمام الشافعي رحمه الله : (شعرا)

(خبت نار نفسي باشتعالي مفارقي وأظلم ليلي إذ أضاء شهابها
أيا بومة قد عششت فوق هامتي على الرغم مني حين طار غرابها
رأيت خراب العمر مني فزرتني ومأواك من كل الديار خرابها
أأنعم عيشا بعد ما حل عارضي طلائع شيب ليس يغني خضابها
إذا اصفر لون المرء وابيض شعره تنغص من أيامه مستطابها)

2) ولابن جزيء الغرناطي الأندلسي رحمه الله :

(أقول لغرامي أو لصالحي أعمالي ألا أنعم صباحا أيها الطلب البالي
أما واعظي شيب سما فوق لمتي سمو حبات الماء جالا على حال)

3) وعن أبي حازم سلمة بن دينار التابعي رضي الله عنه، يوصي ابنه : (يا بني لا تقتدي بمن لا يخاف الله بظهر الغيب، ولا يعف عند العيب، ولا يصلح عند الشيب) فالشيب وقار.

وخاطب أحدهم اهل الأندلس بحيث إنهم يلبسون في الحزن البياض معاكسة لشعار العباسيين في الشرق للباسهم السود في أحزانهم ومآتمهم.

قال هذا الشاعر :

(ألا يأهل أندلس فطنتم بلطفكم الى أمر عجيب
لبستم في مآتمكم بياضا فجئتم منه في زي غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن ولا حزن أشد من المشيب)

وللطبيب الفيلسوف أبي بكر بن زهر الأندلسي

(لاح المشيب على رأسي فقلت له الشيب والعيب لا والله ما اجتمعا
يا ساقي الكأس لا تعدل الي بها فقد هجرت الحميا والحميا معا)

وله ايضا رحمه الله : وهو وصف عجيب :

(إني نظرت الى المرآة إذ جليت فأنكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيت فيها شييخا لست أعرفه وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى
كانت سليمى[1] تنادي يا أخي وقد صارت سليمى تنادي اليوم يا أبتا)

ولأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي تـ 392 هـ، من أيمة الأدب والنحو، أشهر مؤلفاته : (المحتسب) في شواذ القراءات، وسر صناعة الإعراب في اللغة، والخصائص ثلاث مجلدات 1255 صفحة، كل جزء 400 صفحة ونيف، و(اللمع) و(التنبيه) وكتب أخرى قال :

(وقائلة تخضب فالغواني قعـ ـود عن مصاحبة الكهول
فقلت لها المشيب رسول ربي ولست مسودا وجه الرسول)

تدعوه الى الخضاب بالسواد، كشرط للإقبال عليه، لكنه أبى ذلك، وعلل بقوله : الشيب رسول الرب سبحانه، والرسول لا يسود، ولا يعامل بالسوء، بل يكرم، ويرد معززا مكرما.

وفي كتابه : (سر صناعة الإعراب ص : 214 بالهامش شاعر مخضرم إنه عبد بن الحسحاس، قال :

(عميرة ودع إن تجهزت غاديا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا)

ونفس الكتاب (سر صناعة الإعراب) ص : 28

نسب الابيات الثلاثة لابي علي الفارسي قالهن في الشيب :

(خضبت الشيب لما كان عيبا وخضب الشيب أولى أن يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خل ولا عيبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميما فصيرت الخضاب له عقابا)

(1) سليمى : تصغير : سلمى، وهي كنية عن المرأة.

وابو الفتح عثمان بن جني عاش وهو فاقد لإحدى عينيه، كان رحمه الله أعور، ويستشهد على ذلك بأبيات ثلاثة عاتب بهن أحد أصدقائه :

(صدودك عني ولا ذنب لي دليل على نية فاسدة
فقد وحياتك مما بكيت خشيت على عيني الواحدة
ولولا مخافة أن لا أراك لما كان في تركها فائدة)

والكاف، في صدودك، وحياتك، وأراك، فإن خاطب ذكرا فالكاف يقرأ مفتوحا، وإن خاطب أنثى فالكاف يقرأ مكسورا، حسب الخطاب.

سر صناعة الإعراب ص : 42 وص : 46

وقال أحد الشعراء يذم الحرص، وجاء بلفظة الشيب، فقال :

(قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشب إن الحريص على الدنيا لفي تعب)

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت كان رسول الله ﷺ يتمثل بشعر عبد الله بن رواحة، وذكرت هذا الشطر : (كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا) ولم تذكر الشطر الثاني من البيت. وفي القرآن الكريم، على لسان نبي الله سيدنا زكرياء عليه السلام ﴿قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا﴾ سورة مريم الآية : 4.

هذا يتبع ما قيل في الشيب

وأحسن ما قيل في عمر الإنسان، ومراحل حياته، ما عبر به الإمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه، وكرم وجهه، في أبيات شعرية، فقال :

(إذا عاش الفتى ستين عاما فنصف العمر تمحقه الليالي
ونصف النصف يذهب ليس يدري لغفلته يمينا عن شمال
وثلث النصف آمال وحرص وشغل بالمكاسب والعيال

وباقـي العمـر أسقـام وشيـب وهــم بـارتحـال وانتقـــال
فحب المـرء طول العمـر جهـل وقسمتـه عـلى هـذا المثـال)[1]

إنـه تقسيم عجيب، فقد أشار أولا الى الستين عاما مصداقـا لقول النبي ﷺ : (أعمار أمتي ستون أو سبعون، وقليل من يتجاوزهما...).

فجعل النصف، وهو الثلاثون للنوم، الذي هو أمانة الله، (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه...) وجعل نصف النصف الذي هو خمسة عشر عاما، تضيع له وهو لا يدري أين ضاعت له، بسبب الغفلة وعدم الانتباه، وجعل ثلث النصف الذي هو عشر سنوات يقضيها في الكد والتعب والعمل الجدي في كسب المعيشة، وما بقي أخيرا وهو خمسة أعوام من الستين أسقام، وأمراض، وشيب وشيخوخة.

فحب طول العمر لهـذا الإنسان فهو جهل منه وعـدم الفهم واليقظة.

وأخيرا أعطاه طريقة التقسيم، لمن زاد عمره على ستين عاما، وقد عبر الله سبحانه في القرآن الكريم عن أرذل العمر الذي آخره في حال الكبر والعجز والخرف(من الخرافة)[2] فقال : ﴿**ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا**﴾ النحل الآية 78.

والآية الثانية ... لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) الحج الآية 5.

إنها مراحل تعرض للإنسان في حياته، لا هروب ولا فرار منها، وورد في بعض الأثر، وقيل إنه حديث قدسي : (ثلاثة مكتوبة على ساق العرش)،

الأولى : لا راحة في الدنيا، الثانية: لا هروب للموت، الثالثة: لا سلامة من الخلق) انتهى.

(1) أخذت الابيات من كتاب، من كتب الأدب وليس هن في الديوان الذي نسب إليه.
(2) - ورد عن العرب : (حديث خرافة).
- وورد في الحديث : (خرافة حق).

ومن نشوة السكران ص : 88 مؤلف لحسن صديق خان ملك بهوبال في بلاد الهند

قول العلوي الحماني :

(عريت عن الشباب وكنت غضا   كما يعرى عن الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني   فما نفع البكاء ولا النحيب
ألا ليت الشباب يعود يوما   فأخبره بما فعل المشيب)

وفي صفحة 93 قال بعضهم :

(عباراتنا شتى وحسنك واحد   وكل الى ذاك الجمال يشير)

وقد حقق هذا المعنى أستاذ عطر الوجود

(فكم بين حذاق الجدال تنازع   وما بين عشاق الجمال تنازع)

حديث الأنف (الأنوف) عند العرب

في لسان العرب المجلد التاسع ص : 16 وإذا نسبوا الى بني أنف الناقة، وهم بطن من بني سعد بن زيد بن مناة، قالوا فلان الأنفي، سنوا أنفيين لقول الحطيئة فيهم:

(قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا)

وفي القاموس المحيط ج 3 المجلد الثاني، ص : 122، وأنف الناقة لقب جعفر بن قريع، أبوبطن، من سعد بن زيد ابن مناة، لأن أباه ذبح جزورا وقسمها، وحيث لم يبق منها إلا رأسها وعنقها، فأعطاه لجعفر، وقال له : شأنك به، فادخل يده في أنفها وجعل يجرها، فلقب به، وكانوا يغضبون منه، فلما مدحهم الحطيئة بقوله: (البيت) صار اللقب مدحا.

والنسبة أنفي، ورجل أنافي بالضم عظيم.

وفي الطبعة المعدولة على حروف المعجم من القاموس ج 1 ص 188 ورجل حمي الأنف، أي آنف، يأنف أن يضام.

وأنفة الصلاة ابتداؤها وأولها، وجعل أنفه في قفاه أي أعرض عن الحق، وأقبل على الباطل.

وذو الأنف النعمان بن عبد الله قائد خثعم يوم الطائف.

وفي النهاية لابن الأثير ج 1 : ص : 76 : (وفي حديثه الآخر أما أنك لو فعلت ذلك لجعلت أنفك في قفاك، يريد اعرضت عن الحق، واقبلت على الباطل، وقيل أراد إنك تقبل بوجهك على من وراء من أشياعك فتؤثرهم ببرك.

وهذه قصة رجل قطع أنفه

قيل إن رجلا كان له أنف يضرب به المثل في الجمال والحسن **وصدفة، وقعت** حرب بين قبيلة هذا الرجل، وقبيلة أخرى عدوة لها، ومن سوء **الحظ، وقع الرجل** صاحب الأنف الجميل أسيرا عند القبيلة المعادية، وارادوا الشماتة **والمكر بالرجل** وقبيلته، فقطعوا أنفه وارسلوه، وها هو يركب فرسه، ويعود الى **قبيلته، إلا أن الذي** اصطدم بالحدث، هي زوجته المسكينة، وقد سقط في يدها بسبب ما رأت.

لكن زوجها تشجع وتصبر، وخاطبها بقوله : شعرا :

(فإن يك أنفي بان منه جمالــه　　فما حسبي في الصالحين بأجدعا

فـلا تنكحي إن فرق الدهـر بيننا　　أغم القفا والوجه ليس بأنزعا)[1]

وقيل إنها بعد أن سمعت منه هذه الابيات الشعرية، قالت قفوا عنه ساعة، ثم مضت ورجعت، وقد اصطلمت أنفها فقالت : (أهـذا فعل من له في الرجال حاجة؟) فقال الآن طاب الموت! .

وشاعر آخر يبالغ في وصف أنف.

قيل إن شاعرا رأى رجلا له أنف كبير، فأنشد ساخرا به.

فقال: (لك أنف أنفت منه الأنوف　　أنت في الكعبة تمشي، وهو في القدس يطوف)

(1) شرح المفردات :

1) بان: انفصل وذهب عنه

2) بأجدعا: باقطعا.

3) أغم القفا والوجه: معناه: سيلان الشعر حتى تضيق به الجبهة والقفا.

4) النزع: انحصار الشعر من جانبي الجبهة، واراد بالأول إنه بخيل وبالثاني: جبان وعديم الفهم.

5) الصلم: قطع الأذن والأنف من اصله.

ويظهر أن هذا الشاعر بالغ كثيرا في وصفه هذا، لأن المسافة بين مكة والقدس تقدر بمآت الكيلومترات.

وملاحظة، لو قال : (أنت في القدس تمشي وهو في البيت يطوف)

لأن الطواف يكون في البيت بمكة، لا في القدس بفلسطين.

الخرطوم

ومتى كان الأنف كبيرا دعي الخرطوم.

والخرطوم مقدم الوجه، يقال خرطوم الفيل، وخرطوم الخنزير، ويقال: وسمه على الخرطوم، أذله، وفي التنزيل العزيز : (سنسمه على الخرطوم) سورة القلم 16 والجمع خراطيم، (وخراطم القوم ساداتهم.

والخرطوم عاصمة بلاد السودان، وقاعدة تسيير البلاد، سميت بهذا الاسم لأنها تقع على لسان بين النيلين الابيض والأزرق، يشبه خرطوم الفيل، وتدعى العاصمة المثلثة، وتقسم الى شطرين الخرطوم وأم درمان.

من حكايات آدم عليه السلام

من نوادر وحكايات آدم عليه السلام قيل إنه أراه الله ذريته التي ستعمر هذا الكون من بداية الدنيا الى نهايتها، فقال له الرب جل جلاله : انظر عن شمالك، فنظر فرأى من يدخل النار من ذريته، فبكى، ثم قال له : انظر عن يمينك، فنظر فرأى من يدخل الجنة من ذريته فضحك،ورأى كذلك خيرة ذريته من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولاحظ من بينهم ابنه نبي الله داود عليه السلام، وإن عمره ستين سنة فقط، فقال يارب : لوزدت له في عمره، فستون سنة قليل عليه، فقال له ربه سبحانه كم تريد له؟ قال آدم يا رب لو أتممت له مائة عام، قال يأدم لك أربعمائة عام زد له أربعين عاما من عندك، ليتمم به مائة عام، قال : أعطيت له ذلك يا رب، فأشهد عليه الملائكة، وكتبوا صكا في ذلك،

وحين أتم آدم ثلاثمائة وستين عاما، جاءه ملك الموت، وقال له انتهى أجلك يأدم إنك ستموت وترحل عن هذه الحياة، فقال آدم عليه السلام : إن الله تعالى قدر لي أن اعيش أربعمائةعام، وقد بقي لي منها أربعون عاما، فقال الله لملك الموت قل له: إنك اعطيتها وأعرتها لولدك داود وشهدت عليك الملائكة، فقال آدم عليه السلام، يا رب زده الأربعين، ودعني أتمم أربعمائة عام التي أعطيتها لي أول الأمر، فقال رب العزة سبحانه : هكذا يكون أولادك بعدك حريصين على الحياة والبقاء فيها، ولا يريدون الموت.

الإنسان وثلاث حيوانات :

وعلى ضوء ما ذكر من حرص آدم عليه السلام على الحياة يذكرون أن الإنسان وثلاث حيوانات هم الحمار والكلب والقرد، قيل للجميع ان عمر كل منكم ثلاثون عاما.

فقال الإنسان أنا قليل علي ثلاثون عاما، فقال الحمار وأنا كثير علي ثلاثون عاما لما ألقى من المشاق والاتعاب، فالخمسة عشر عاما تكفيني فقال الإنسان زدها لي فزادها له، فصار للإنسان خمس وأربعون عاما، وقال الكلب وأنا ثلاثون عاما كثير علي تكفيني خمسة عشر، فقال له الإنسان زدها لي فصار له ستون عاما، وقال القرد وأنا كذلك ثلاثون عاما كثير علي تكفيني خمسة عشر عاما فطلبها الإنسان فزيدت له وأصبح له خمس وسبعون عاما، وها هو هذا الانسان الحريص على الحياة والعمر الطويل يعيش ما قدر له، ويعيش ما وهب له من هذه الحيوانات، فبعد أن أتم ثلاثين عاما شرع في الخمسة عشر عاما التي أعارها له الحمار، فصار ينقل الاثقال بعد أن كون عائلة من زوجة وأولاد ذكور وإناث، وبتجاوزه الخمسة والاربعين من العمر، وصل لمرحلة الكلب الذي شغله الشاغل النباح، فصار صاحبنا لا عمل له إلا الخصام والكلام وبنهاية ستين سنة، وصل الى المرحلة الرابعة وشرع في الخمسة عشر التي وهبها إياه القرد، وها هو جالس في ركن من الأركان ينظر بعينيه وقد تغيرت ملامحه، وجهه مجعد، وجلده تغير واسود، ينظر إليه الناس نظرة إكبار وإعجاب، وربما البعض من قرابته يتمنون رحيله، لأنه صار ثقيلا عليهم.

وقد سبق في صفحة 210

ما نسب للشيخ الإمام الصالح أبي شريف الاندلسي

قوله : ابن عشرين من السنين غلام   رفعت عن نظيره الأقلام

الابيات الخ.

موسى عليه السلام وجاره في الجنة :

قيل إن موسى عليه السلام حين كلم ربه ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ النساء 164.

قال يا رب : أرني جاري في الجنة، فأجابه رب العزة سبحانه : جارك في الجنة اسمه فلان وهو في المدينة الفلانية، وحرفته جزار، ... فارتحل إليه موسى عليه السلام، وبوصوله الى تلك المدينة سال عنه، فقيل له : أعوذ بالله إنه عاصي شارب للخمر ينقص في الميزان، فقال دلوني عليه، فلما وصل إليه سلم عليه، وقال له: ضيف الله، فقال الرجل مرحبا لكن بشرط الى أن انهي كامل أعمالي فرآه موسى عليه السلام كلما فصل اللحم، أخذ أحسن شيء منه ووضعه جانبا، وحين أنهى عمله، صحب ضيفه الى منزله، فوجد عنده مهدين اثنين معلقين في سقف المنزل، أحدهما فيه أمه، والآخر فيه أبوه، فأنزل الذي فيه أمه فغسل لها ونظف ما بها وأبدل لها لباسها وأطعمها مما كان يختاره من اللحم، ثم ردها الى مهدها، وأطلعها الى اعلى، ثم أنزل أباه وفعل به ما فعل بأمه، وعندما أنهى عمله هذا اشتغل بضيفه، وأقرى موسى وأكرمه، فقال له موسى أتعلم من أنا؟ قال : لا، قال أنا موسى نبي الله ورسوله، وكليمه، قد سألت الله أن يريني جاري في الجنة، فدلني عليك، فجئت لأتعرف عليك، فقال الرجل : آللَّهُ أخبرك بهذا ودلك علي، قال له موسى نعم، فقال الرجل : والله لا اعصيه بعد اليوم، وأنا تائب لله.

وفي الغد وجد أبويه قد قضيا نحبهما وماتا، فحضر موسى عليه السلام جنازتهما، وقد يصدق على مثل هذا الرجل قول النبي ﷺ : (...... فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها) رواه الشيخان البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وعنهما.

مثل هذا الرجل سبق عليه الكتاب أن يدخل الجنة، ويكون جارا لموسى عليه السلام، ورغم عصيانه، وعدم عبادته لله، من اين أتاه هذا الفضل؟، إنها الخدمة لوالديه، وطاعته أياهما، وصدق الله العظيم : ﴿وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾.

وقول رسول الله ﷺ : (الجنة تحت أقدام الأمهات) كشف الخفاء ج :1 ص: 335 رقم 1078.

أحمد، وابن ماجه، والنسائي والحاكم، عن معاوية ابن جاهمة السلمي.

كان يستأذن في الجهاد، فقال له رسول الله ﷺ أحية أمك؟ قال نعم ، فقال له: فقيها فجاهد.

قصـــة:
(سلطان غبي جائر وكاهن ذكي محتال)

قيل أن أحد السلاطين في من كان قبلكم من الأمم الغابرة، يملك شعبا مترامي الأطراف، واسع الأرجاء، وكان يؤمن بالكهانة والسحر، وصدفة اكتشف في شعبه وقومه رجلا يتعاطى هذه الحرفة الدنيئة الممقوتة، والمنبوذة شرعا، فاتخذه نديما وصاحبا، وصديقا ملائما له، يؤمن بأقواله وأفعاله، حتى حظي عنده بمكانة عالية، وصار لا يفارقه ليل نهار، يستشيره في كل صغيرة وكبيرة.

وها هوذا السلطان يطالب من كاهنه وساحره أن يخبره متى حلول أجله ونهايته، من هـذه الدنيا؟ ولذكاء هـذا الكاهن وتحايله، ونظره الخارق البعيد، طلب منه أن يمهلـه بعض الوقت لينظر في الأمـر بتبصر وفكـر جيدين، حتى يصل الى الحقيقة المطلوبة، ولعله، فهو على علم بالأمور الخمسة التي لا يعلمها إلا الله، ﴿إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الارحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾.

وبقول الشاعر كذلك : (ومن كانت منيته بأرض فلن يموت في أرض سواها).

وبقول آخر : (لو كنت أعلم أي بلد، وأي طريق أموت ما سلكت تلك الطريق؟).

وبعد أن فكر وقدر، ثم فكر وقدر، قال لملكه وسلطانه الذي يخدمه، ويفيض عليه من المال، ويغدق عليه من متاع الحياة الدنيا وزينتها : يا سيدي أخبرت أن

عمرك طويل وطويل جدا، لكن حيث الموت سنة في هذا الكون، إنك ستموت بعد موتي بثلاثة أيام، وإذا فرح شعبك لموتي، فسيحزنون لموتك لعدلك فيهم، وحبهم إياك، وقبرك سيكون الى جانب قبري، وسنسعد في أخرانا، كما سعدنا في دنيانا، ونحيا - هناك - حياة خالدة لا موت بعدها إنه التمني - البراق - إنه الخداع المبني على الأوهام.

وهنا زاد الكاهن - أو الساحر - عند سلطانه تقربا ومكانة وإيثارا، بل وحرصا على حياته ليعيش طويلا، كونه اعتقد قولته، واعتمد سحره وكهانته، لأن موتة كل منهما مرتبطة بموت الآخر، كما زعم الساحر في قولته ونظريته المختلفة، وكما اعتقد السلطان الغبي ذو النظر القصير، وسواء في أمور دنياه التي غرته، وتغر الكثيرين من أمثاله، أو عن أمور دينه الذي به سيلقى ربه، فيجازيه عليه وبه يدخل الجنة إن كان من عباده المومنين الصالحين أو يدخله النار إن هو من الكفرة الفجرة، وصدق الشاعر : وفي قول : أربعة شعراء، كل منهم قال بيتا :

(الموت باب وكل الناس داخلـه　　يا ليت شعري بعد الموت ما الدار
الدار دار نعيـم إن عملت بمـا　　يرضـي الاله وإن خالفـت فالنـار
هما محلان ما للمرء غيرهمـا　　فاختر لنفسك أي الدار تختـار
ما للعباد سوى الفردس منزلـة　　وإن هفـوا هفـوة فالرب غفـار)

ألم يقل ﷺ : (إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحرا).

خلاصة هذه القصة، هي من مجريات الاحداث، التي تقع بين أبناء البشر- أحيانا تقع صدفة، وأحيانا تقع قصدا ومتعمدة، فوق أديم هذا الكوكب الأرضي الذي أوجده الله للمخلوقات مهادا، وجعل له فيه سكنا ومقاما، ووفر له فيه راحة وسباتا، وفي حديث ضعيف: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا).

ما قيل في الاقتصاد :

الاقتصاد هو الاستقامة على نهج الاعتدال، بين طرفي الإفراط والتفريط، وهي الرتبة التي عناها ابن الوردي رحمه الله في لاميته الشهيرة :

(بين تبذير وبخل رتبة وكلا هذين إن زاد قتل)

أي لا تداوم على (الإعطاء، ولا على الإمساك).

وقال تعالى في محكم كتابه : ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾.

وفي الحديث : (ما عال من اقتصد) أي ما افتقر ولا احتاج.

وجعل القرآن المقتصدين من عباد الرحمن الممدوحين، فقال : (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ...).

ويحكى أن عبد الملك بن مروان الاموي الخليفة الخامس في هذه الدولة المولود عام 26 هـ والمتوفى عام 86 هجري حكم إحدى وعشرين سنة 65هـ 86هـ سأل يوما ابنته فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز ﷺ ما نفقة؟ أو كيف نفقة عمر؟ فأجابته: حسنة بين سيئتين، فحمد الله وشكره، فتلا قوله تعالى : ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾.

وفاطمة قال فيها احد الشعراء :

(بنت الخليفة والخليفة جدها أخت الخلائف والخليفة زوجها)

أراد بقوله : بنت الخليفة أبوها عبد الملك وجدها : مروان بن الحكم، وزوجها عمر بن عبد العزيز، والخلائف : الوليد، وسليمان وهشام ويزيد أبناء عبد الملك.

وقال المؤرخون : لا يصدق هذا البيت على امرأة سواها، سواء تقدمن أو تأخرن عنها. وأخبارها في كتب الأدب.

ما قيل في المال المتعامل به

الفلس، والدرهم، والدينار، والقرش.

قال أحدهم يصف طبائع الناس :

(الناس قد مالوا الى من عنده مال ومن ليس له مال فعنه الناس مالوا
الناس قد ذهبوا الى من عنده ذهب ومن ليس له ذهب فعنه الناس قد ذهبوا
الناس منفضة الى من عنده فضة ومن ليس له فضة فعنه الناس منفضة)

الأبيات الثلاثة تشمل الجناس، والجناس أحد أبواب البلاغة، وهن من المحسنات البديعية، وفي نفس الوقت، هن كذلك من باب اللف والنشر المعكوس.

وللإمام الشافعي رحمه الله في القناعة وعزة النفس :

(قنعت بالقوت من زماني وصنت نفسي عن الهوان
خوفا من الناس أن يقولوا فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا فلا أبالي إذا جفاني
ومن رآني بعين نقص رأيته بالتي رآني
ومن رآني بعين تم رايته كامل المعاني)

أتيت بهذه الابيات لقول الإمام الشافعي رحمه الله : (من كنت عن ماله غنيا).

ومما ينسب ليزيد بن حاتم الذي اختاره أبو جعفر المنصور واليا على إفريقيا والمغرب عام : 155هـ، وكان أديبا شاعرا جوادا.

قال في الدرهم :

(ما يألف الدرهم المضروب خرقتنا إلا لماما يسيرا ثم ينطلق
يمر مرا عليها وهي تلفظه إني امرؤ لم يحالف خرقتي الورق)

الورق بكسر الراء المال المتعامل به، قال تعالى : ﴿**فابعثوا أحدكم بورقكم هذه** ...﴾ الكهف 19.

وبالفتح القرطاس أو الكاغد الذي يخط ويكتب عليه.

ولأمير شعراء مصر، أحمد شوقي بك...

(المال حلل كل غير محلل حتى زواج الشيب بالأبكار
ما زوجت تلك الفتاة وإنما بيع الصبا والحسن بالدينار)

قيل أن أحدهم لما رأى الذين حجوا وزاروا، بعد عودتهم ورجوعهم من اداء مناسك الحج، ازداد جشعهم وحرصهم على جمع الدينار قال في شأنهم :

(حجوا وزاروا ... وعلى الدينار داروا
لو يرى فوق الثريا ولهم ريش لطاروا)

وفي المثل عند العرب : (خبئ قرشك الابيض ليومك الاسود).

أعط القيمة للقليل، وضمه حتى يصير كثيرا.

وعن علي كرم الله وجهه : (العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو عند الإنفاق، محبة العلم دين يدان، به يكسبه الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، منفعة المال تزول بزواله مات خزان المال، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، العلم حاكم والمال محكوم. ربيع الابرار ص : 83

وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه :

(من سعادة المرء خمسة أشياء : أن تكون زوجته موافقة، وأولاده أبرار، وإخوانه أتقياء، وجيرانه صالحين، ورزقه في بلده). ربيع الابرار ص : 86

قيل إنّ علياً رضي الله عنه وقف على قبور، ثم قال :

(يأهل القبور، أما الأزواج فقد نكحت، وأما الدار فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، فهذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟). ربيع الابرار ص : 87

قيل إن رجلا أتى علي بن ابي طالب ﷺ وكرم وجهه، فقال أخبرني عن القدر، قال : طريق مظلم فلا تسلكه، قال أخبرني عن القدر، قال بحر عميق فلا تلجه، قال اخبرني عن القدر، فقال سر الله فلا تكلفه. ربيع الابرار ص : 88

إشارات الى ما بعد الرحيل

ولأمير شعراء الأندلس يحيى بن الحكم الغزال 150-250 هـ :

(انظر إلي إذا أدرجت في كفني وانظر إلي إذا أدرجت في اللحد
واقعد قليلا وعاين من يقيم معي ممن يشيع نعشي من ذوي ودي
هيهات كلهم في شأنه لعب يرمي التراب ويحثوه على خدي)

ولسيدي أحمد بن المامون البلغيثي رحمه الله تـ 1348 هـ /1928م.

أثبت صورته في كتابه : تشنيف الاسماع وكتب عليها هذه الابيات :

(يا من يريد أن يرى شخصنا حيث يرى آثارنا ذات بالي
أن قدر الله فذاك وإن فاتك شخصنا فهاك المثال)

وللعلامة سيدي محمد بن عبد القادر بنسودة تـ 1949.

(وصفي فناء والبقاء لخالقي ولعجز في نادي النص بالزاد
والعمر مهما طال ليس بنافع فاركن لما ينجيك يوم معاد
وارفق بجسم قد يؤول الى الثرى واعبر هداك الحق بالاسعاد
وسل الإلاه وكن بربك واثقا فهو الرحيم لرائح أو غاد)

وللحاج أحمد بن شقرون في ذكرى 80 = 1414هـ /1994م.

(هاك صورتي تخلد شخصي إن يغب في الوجود عنكم وجودي
كل من في الوجود يفنى ويبقى ربنا دائما قديم الوجود)

توفي رحمه الله يوم الاحد 6 جمادى I عام 1421هـ / 6/08/2000م.

بعض أوصاف المرأة عند الشعراء

امرأة عربية تصف ابنتها وهي تتجول بين الخيام في لباس فضفاض وبدون حزام، والرياح تاتي من كل ناحية :

(أبت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح في العشي تناوحت هجن حاسدات وغضن غيورا)

تشير الى امرأتين ترمقانها وتتحدثان عنها، فإحداهما، حاسدة، وأخرى غيورة.

ولعبدا بن الحسحاس شاعر مخضرم.

(توسدني كفا وترفع معصما علي وتحنو رجلها من ورائي
أميل بها ميل النزيف وأتقي بها القطر والشقان من عن شماليا)

ولأعشى همدان أحد اصحاب القصائد العشر توفي 587م وعمر النبي ﷺ 16 سنة.

(غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوحي الوجل
كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل)

وأخيراً وليس أخيرا للقاضي أبي حفص بن عمر قاضي فاس وقاضي إشبيليا في عهد يعقوب المنصور الموحدي 580-595 هـ.

(مشت كالغصن يثنيه النسيم ويعدوه النسيم فيستقيم
لها ردف تعلق في لطيف وذاك الردف لي ولها ظلوم
يعذبني إذا فكرت فيه ويتعبها إذا رامت تقوم
وما حبي لها إلا عذاب عليه من نضارتها نعيم)

هذه الأوصاف وهذه الاقوال يجعلها شوقي سهلة المنال حصرها في ست مراحل :

(نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء)

لكن الشاعر الأندلسي ابن زيدون رأى غير ذلك لما كان في السجن، وكتب لمحبوبته : (ولادة)، قائلا :

(يا وحشة للغريب في البلاد النا   زح ماذا بنفسه صنعا...
فارق أحبابه فما انتفعوا   بالعيش من بعده ولا انتفعا
يقول في نأيه وغربته   عدل من الله كل ما صنعا)

ويحكى أنه ردت عليه مرة بقولها :

(أنا والله اصلح للمعالي   وأمشي مشيتي واتيه تيها)

ومرة تقول : بعد أن أبدلته بشاعر آخر هو ابن حمديس الصقلي.

(أمكن عاشقي من لثم خدي   واعطي قبلتي من يشتهيها)

وفي الطب النبوي لابن قيم الجوزية رحمه الله، ص : 108.

نسبها لعلقمة، وكذلك المرادي صاحب كتاب الجني الداني في حروف المعاني ص : 41.

وفي الكواكب الدرية، في تراجم الصوفية للمناوي نسبها لمحمد بن الموفق الخبوشاني ج : 3 ص : 703، وهي بلدة بنسابور. والبيتان هما :

(فإن تسألوني بالنساء فإنني   خبير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله   فليس له في ودهن نصيب)

ونفس المعنى للشاعر الفلسطيني عبد الرحيم رشيد يدعو المرأة أن تصون كرامتها فقال :

(ماذا يضرك لو سترت جمالا   وحجبت عنا رقة ودلالا
يامن تعرت للرجال غواية   ليس الجمال مع الحياء محالا
في البيت أنت بحالة لا ترتجى   فإذا خرجت أتيتنا تمثالا)

أخذت هذه الابيات الثلاثة من جريدة الميثاق عدد : 272

وللكاتب الشاعر مصطفى صادق الرافعي الطرابلسي اللبناني أصلا، المصري مولدا ووفاة، والفاقد لحاسة السمع رحمه الله في آخر عمره ولادته : 1297-1356هـ / 1880-1937م.

يذكر اعمال المرأة ولأي شيء خلقت :

(يا قوم لم تخلق بنات الورى ... للدرس والطرس وقال وقيل
لنا علوم ولها غيرها ... فعلموها كيف نشر الغسيل
والثوب والابرة في كفها ... طرس عليه كل خط جميل)

ولبعضهم ينفي على النساء العمل الذي هو من خصوص الرجال، فقال :

(ما للنساء وللكتابة ... والعمالة والخطابة
هذا لنا، ولهن منا ... أن يبتن على جنابة)

شاعر ينحي باللائمة على المرأة المتبرجة، ويرجوها أن تتحلى بالفضيلة، وتلتزم الحشمة والحياء فقال :

(صوني جمالك عنا إننا بشر ... من التراب وهذا الجسم روحاني
قومي اقصدي فلكا تأويله ملكا ... لا تنصبي شركا للعالم الفاني)

وهذا بيت من الشعر من قصيدة طويلة يردده القراء والادباء، ولا يعرفون فائله، وذكروا أن القصيدة ادعاها اربعون شاعرا كلهم يزعم أنه هو منشئها وقائلها :

(عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري)

وقيل إن قائلها دخل على أحد الخلفاء، في دولة بني العباس فسأله الخليفة: كيف حال الرعية مع راعيهم فاجابه العربي : (أنت عندنا كالكلب) قصد إنك وفي، لأن الكلب يوصف بالوفاء هم أحد حراس الخليفة بعقابه لمقولته، لكن الخليفة ادرك مغزى كلامه، فقال لهم : مدنوه مدنوه، أي أسكنوه المدينة ليتهذب ويتأدب، فإنه الآن لازال على بداوته، وحين تمدن أنشد القصيدة التي منها البيت :

(عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري)

وقصة صاحب هذه القصيدة، وهذا البيت، وقع مثلها على ما يذكره الشيوخ المسنون – عندنا في المغرب، قيل إن المولى الحسن الاول العلوي الذي حكم المغرب الفترة ما بين 1290هـ الى 1311 هـ، مدة 21 عاما، والذي يحكي عنه رحمه الله، أن كرسيه كان ظهر جواده، حيث قام بأربعين رحلة في أرجاء مملكته، عشرين منها الى الجنوب اثناء فصل الربيع، وعشرين منها الى الشمال اثناء فصل الخريف وفي احدى الرحلات الى الشمال، وعلم أهل القرى بمجيئه، وبدأوا يستعدون لملاقته والترحيب به، وشرعوا يختارون من بينهم من يكلمه ويجيبه عن أسئلته، فلم يجدوا إلا رجلا قصيرا بيده عصا، وعلى رأسه عمامة صفراء، وجلبابه مزركش بالنياشين، ويدعى عندهم: (عمي اعمر من قاع أدشر) ويوم وصول السلطان اصطفوا في صف متراص، يتقدمهم (عمي اعمر) فينحني الجميع ويقدمون البيعة، ويسألهم السلطان كيف أنتم في الطاعة، وها هو: (عمي أعمر) المختار من بينهم للإجابة: فقال: (نحن جيفة وأنت كلب) فلما سمع السلطان جواب عمي أعمر تبسم، وقال: الله يرضى عليكم، ولم يحقر الجواب ولم يستنقصه، لأنه رحمه الله ادرك مغزى الجواب.

حكم صدر من محكمة خيالية

أيام كنت جارا لشيخي واستاذي سيدي محمد الطاهري رحمه الله، في الفترة ما بين أواخر 1967 وأواخر 1975 دعاني انا وهذا الفقيه احد الأصدقاء أن نحضر عقد قران – قران زواج مبارك – وبعد أن تم هذا العقد علمنا أنهما سافرا من مدينة فاس الى مدينة مكناس، عند بعض اقارب الزوج، لقضاء ليلة أوليال، كما تجري به العادة في هذا الوقت الحاضر.

وحين أطلعت سيدي الفقيه على هذا السفر كونهما: لازالا لم يقيما حفل عرس، كتب سيدي محمد الطاهري – وهو يقصد الفكاهة والمزاح فقط لا غير – هذا الحكم الخيالي:

ومن محكمة لا وجود لها : وهو كما يلي:

نسخة الحكم صدرت في حق .... باسم ملك العشاق.

فاس 21 قعدة عام 1394هـ/6/12/1974م

نسخة الحكم، صدرت في حق ...

باسم ملك العشاق، اجتمعت محكمة الغرام، وأجمع جميع حكامها الكرام، على ان مقتضى القانون العائلي هو جماع ما يلي:

1) نظرا لما رأت المحكمة في السيدة، والسيد من أشواق.

2) ونظرا لما في السنة من أنهما كان لا يفترقان إلا عن ذواق.

سامحتهما المحكمة بالتحدث ليلة واحدة بلا عناق.

3)ونظرا لتجاوزهما الليلة الواحدة الى ليال، وجعلهم حكم المحكمة شبه خيال.

4) ونظرا لتعديهما ذلك الى سفرهما علنا بين الناس، إن لم يكن بإقرارهما فبشهادة اهل مكناس.

5) حكمت المحكمة عليهما بعدم التلاقي اربع ساعات على التوال من الساعة الثامنة الى الزوال.

6) وعلى السيدة بإقامة احتفال فيه كل ما يستطاب.

7) وعلى السيد أن لا يفتح الباب إلا بإذن من البواب.

8) وتنبهها المحكمة إلا أنه من الضروري عند جميع العشاق قبول حكم المحكمة، والقبول في تنفيذه على ساق، قبل التفاف الساق بالساق فينسى من كان سببا في الاتساق والالتصاق. هـ

أطلعني عليه، وأخذته عنه واحتفظت به من تاريخه 21 قعدة 1394هـ/ 16 دجنبر 1974م وقد مر على ذلك الى هذا التاريخ سبع وثلاثون سنة.

من الأجوبة المسكتة عند العرب
حوار حنظلة وابنه مرة

ومن أحسن أجوبة العرب المسكتة، ما حكاه الاصمعي، قال: (كان في بني تميم رجل اسمه (حنظلة وكان معروفا بسرعة الجواب المسكت حتى لا يكاد يغلبه أحد، فتزوج امرأة منهم اسمها (علقمة)، فولدت له عدة أولاد، ماتوا جميعا، ولم يسلم منهم إلا ولد اسمه (مرة) وكان أسرع من ابيه جوابا مع بشاعة منظره، فصدر يوما منه ما أوجب سب أبيه في قومه،

فقال له ابوه : «أنت خبيث كاسمك يا مرة»	فقال له : «أخبث مني من سماني به»
قال : «إنك مر يا مرة»	أجابه : «أعجبتني حلاوتك يا حنظلة»
قال : «تالله لست من الناس»	أجابه : «من أشبه أباه فما ظلم»
قال : «لا رضي الله عن بطن تقلبت فيه»	فأجابه : «أجل، ولا عن ظهر نزلت منه»
فقال : «ويلك ما تزداد إلا سوء أدب»	أجابه : «أتجني من الشوك عنبا؟»
قال : «لقد كنت شؤما على إخوتك، فماتوا جميعا وسلمت»	أجابه : «أعجبتني كثرة عمومتي يا مبارك»
فقال : «لا أفلحت أبدا»	أجابه : «كيف يفلح من أنت أبوه»
قال : «ما أحوجك الى تأديب !»	أجابه : «الذي نشأت على يديه أحوج مني إليه»
قال: «أراحني الله منك كما أراح إخوتك»	أجابه : «تختنق بحبل حتى تموت، فتستريح من وجهي»

قـال : «لأدعون الله عليك» أجابه : «الذي تـدعوه عالـم بـك»

قـال : «ما يعلم مني إلا خيرا» أجابه : «شاكر نفسه يقريك السلام»

فقال : «ما أجد خيرا من السكوت» أجابه : «يمنعك سوء خلقك الذميم»

قـال : «لولا فتوري عنك ما تجرأت علي» فأجابه : «إذن نفسك فلم»

قـال : «إن قمت إليك لأوجعتك ضربا» أجابه : «ما أنت أشد مني بطشا»

قـال : «أو تضربني إذا ضربتك؟» أجابه : «أو أنت في شك من ذلك؟»

قـال : «فإذن سود الله وجهك» أجابه : «إلا أنت بيض الله عينيك»

قـال : «ورم[1] الله منك الارض» أجابه : «إذن فرق الله بينك وبين العافية»

فقال : «يـا رب تـرزق الـنـاس أولادا حسانا، وأنا ترزق لي شيطانا» فأجابه : «أمـا علمت أن مـن العـصى العصية، والحية لا تلد إلا حيية».

فانقطع جواب أبيه ولم يعش إلا يوما وليلة، فمات.

(1) انتفخت بك حين صرت في بطنها.

افتخار سيدنا معاوية من فوق المنبـر

يحكى أن سيدنا معاوية رضي الله عنه، صعد يوما المنبر فقال : «أيها الناس، إن الله فضل قريشا بثلاث، فقال لنبيه ﷺ : (وأنذر عشيرتك الاقربين) ونحن عشيرته الأقربون، وقال تعالى : ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ ونحن قومه، وقال عز وجل: ﴿لإيلاف قريش﴾ ونحن قريش.

فقام رجل من الأنصار وقال لـه : «على رسلـك يا معوية، فإن الله تعالى قـال : ﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾ وأنتم قـومـه، وقال عـز من قائـل : ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون﴾ وأنتم قـومـه، وقـال تعالى : ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ وأنتم قومه. وهذه ثلاثة بثلاثة، لو زدت لزدتك، فأفحمه».

فما كان من سيدنا معاوية إلا أن غير حديثه.

ويحكى عنه أيضا أنه أرسل عيونه في الناس ماذا يقولون، فجاءوه، إنهم يقولون : «إنك جمعت أموال الصدقات ولم تقسمها بينهم» فنادى أن يجتمع الناس الى المسجد، فلما اجتمعوا صعد سيدنا معاوية المنبر وخطب قائلا : «علمت أنكم تقولون إني جمعت أموال الصدقات وجعلتها في خزائني ولم أقسمها بينكم، أما قرأتم قول الله تعالى : ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه، وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾، فقام إليه رجل وقال له: «نحن لا نلومك على ما في خزائن الله، ولكن نلومك على ما أنزله علينا وجعلته في خزائنك، ولم تقسمه بيننا».

قيل إن هذا الرجل هو شريك ابن الأعور، فقال له معاوية: «أسكت إنك شريك، وليس لله من شريك، وأبوك أعور، والصحيح خير من الأعور، وأنت ذميم، والوسيم خير من الذميم»، فقال شريك : «وأنت أيضا معاوية، وما معاوية إلا كلبة عوت، فاستعوت، فسميت معاوية، وابوك صخر، والسهل خير من الصخر، وجدك حرب والسلم خير من الحرب، وأزيد أنك ابن أمية، وما أمية إلا أمة صغرت، فسميت أمية».

قيل إن معاوية قال له : «أقسمت عليك إلا خرجت عني، فخرج وهو يقول هذه الأبيات :

(أيشتمني معاويـة بن حـرب وسيفي قاطع ومعي لساني
وحولي من ذرى يمن ليوث ضراغمة تهش الى الطعان)

سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما

بين معاوية وسيدنا الحسن ابن علي رضي الله عنهما

ورد سيدنا الحسن على معاوية في الشام، ودخل عليه وهو في ملإ من أهل ذلك البلد، فأراد سيدنا معاوية يعيره بوصف قد ألم به، فقال : «سبحان الله معشر بني هاشم، تمرضون من بصركم»، لأنه كان به رمد، فأجابه سيدنا الحسن : «وأنتم - سبحان الله - معشر بني أمية تمرضون من بصائركم».

ويحكى أنه قال له يوما: «شابت شواربك يأبا محمد»، فأجابه سيدنا الحسن: «ذلك من كثرة تقبيل عذارى قريش».

وورد أن سيدنا الحسن تزوج ثلاثا وسبعين امرأة، فقد قال فيه رسول الله ﷺ وهو صغير يلاعبه في حجره : «ابني هذا مزواج مطلاق»، ويحكى كذلك أنه مر على عين ماء فيها عدد من النساء يسقين الماء ويغسلن الأثواب، لم ينظر إليهن، ولكنه

سمعهن يضحكن فوقف، وقال: «هل فيكن من تتزوجني»، فأجبن بصوت واحد: كلنا مطلقاتك، وقيل أن عددهن كان - يومذاك - ثلاثة عشر امرأة.

وعلى ذكر لفظ عذارى قريش، ينسب لعنترة ابن شداد البيتين الآتيين:

(عيون العذارى[1] من خلال البراقع أحد من البيض[2] الرقاق القواطع

إذا جردت ذل الشجاع وأصبحت محاجره[3] قرحى بفيض المدامع)

(1) العذارى : جمع عذراء، فتاة لم تتزوج ولم يمسسها رجل

(2) البيض الرقاق : السيوف الحادة

(3) محاجره : مجمع الدمعة في العين

من حكايات العرب المستملحة

ومن حكايات العرب أن رجلا إسمه (شن) أراد أن يتزوج إلا أنه يشترط أن تكون المرأة التي يتزوجها موافقة له في الذكاء والفطنة والرأي، وكان يخرج الى أسواق العرب لعله يعثر على رغبته ومطلوبه، وفي إحدى هاته الاسواق، صادف رجلا خارجا من تلك السوق يريد العودة الى بلده فحياه وسلم عليه، وسأله الى أين يريد، فأخبره الرجل ثم قال له: «أرغب في صحبتك»، وكلاهما راكبا ناقته، فسار قليلا، فقال الرجل الغريب وهو السؤال الاول : «أتحملني أم أحملك؟» فقال له صاحبه: «كيف أحملك وكيف تحملني فكلانا راكب ناقته» فسكت عنه، وسارا قليلا فرأى جنازة تحمل الى مقرها الأخير، فقال الرجل : «أترى هذا حيا أم ميتا؟» فرد عليه : «أمرك غريب، الرجل يحمل الى قبره، وأنت تقول أحي؟»، ثم سارا كذلك، فوجدا قوما يحصدون زرعا فقال الرجل : «أترى هذا الزرع قد أكل أم لازال؟، فرد عليه أخرى، وهذه أيضا أغرب، الزرع لازال يحصد، وأنت تقول أأكل؟» فسكت عنه.

وبوصولهما الى مقر وسكنى الرجل، دعا صاحبه للضيافة عنده، ودخل على أهله امرأته وبنته الوحيدة، وقال لهما: «معي ضيف، إلا أن هذا الضيف غريب الأحوال»، فسألته ابنته : «وما أحواله يا أبي؟» فقال لها : «خرجنا من السوق فقال لي أتحملني أم أحملك؟»، قالت له : «يا أبي قصد تتكلم أم أتكلم، حتى لا نشعر بالطريق»، «وقال لي حين رأينا ميتا يحمل الى قبره، أترى هذا حيا أم ميتا؟»، قالت له: «يا أبي يقصد أترك عقبا أم لا؟ فإن ترك عقبا أولادا وبنات فهو حي، وإلا فلا»،

«وقال لي حين رأينا زرعا يحصد، أترى هذا قد أكل أم لازال لم يؤكل؟» قالت : «يا أبي أراد هل صاحب الزرع باعه وأكل ثمنه قبل حصاده، أم لا؟».

فما على الرجل إلا أن رجع الى ضيفه، وقال له : «سأجيبك عن أسئلتك الثلاثة، أردت بالأولى أتكلم أم تتكلم، لنطوي بذلك الطريق، وأردت بالثانية هل ترك الميت عقبا، أولادا وبنات؟ وأردت بالثالثة هل صاحب الزرع باعه وأكل ثمنه قبل حصاده؟.

فقال الرجل الضيف لمضيفه : «هذا ليس جوابك، إنه جواب غيرك»، قال: «نعم إنه جواب ابنتي (طبقة)»، تنفس الرجل الصعداء، وقال : «إني أخطبها منك، على مثلها كنت أبحث».

فزوجها إياه، والرجل كان اسمه (شن) فقالت العرب : (وافق شن طبقة) وقالوا : (الطيور على أفنانها تقع).

قصة الضيف والمضيف

يحكى أن أعرابيا قدم على رجل من أهل الحضر - في مدينة البصرة - فأنزله ضيفا، وكان عنده دجاج كثير، والمضيف من ستة أفراد، هو وزوجته وابنان وبنتان، فذبح للضيف دجاجة وطبختها المرأة وحين تناولها جلس الكل الضيف والمضيف وأسرته، وقال للضيف : «اقسم بيننا»، فقال لهم : «لا أحسن القسمة»، قال الرجل: «لابد أن تقسم بيننا»، فنظر الى الدجاجة في الصحن، ونظر الى من معه، فشرع يقسم :

أخذ الرأس واعطاه للرجل، وقال «الرأس للرئيس»، ثم أخذ العنق واعطاه للمرأة، وقال : «أنت في عنق الرجل»، ثم أخذ الجناحين وأعطاهما للبنتين، وقال لهما : «أنتما قريبا تطيران». وأخيرا أخذ الفخذين وأعطاهما للولدين، وقال لهما:

«عليكما يعتمد أبوكما وأمكما حين يكبران»، وأخذ الصدر وما يحيط به، وقال: «الصدر للصدر أي للضيف».

فلما رآهما ينظران إليه، قال لهما : «ألا ترون أني قد قسمت لكما بالتساوي والعدل؟»

وفي الغد ذبح الرجل المضيف خمس دجاجات وقال لزوجته : «اطبخيهن مجموعات، ولا تقسميهن». وحين جلوسهم لتناول الدجاجات، قالوا للضيف: «اقسم بيننا، واترك كل دجاجة كما هي عليه»، وظنوا أنه سيعطي لكل واحد دجاجة واحدة، ويبقى واحد منهم فيعطونه من نصيبهم، ويبقى هو بدون شيء - لكن الأعرابي بذكائه أدرك مغزى السر، ففكر ونظر - ثم قال: أتريدون القسمة فردا أم زوجا؟» قالوا : «نريدها فردا»، فجمع الدجاجات الخمس بين يديه وقال : «أنت وزوجتك إثنان، ودجاجة واحدة ثلاث»، ثم قال : «وولداك ودجاجة ثلاث، وبنتاك ودجاجة ثلاث، ودجاجتان وأنا ثلاث».

فنظر بعضهم الى بعض وكأنهم لم يرتضوا القسمة، وأدرك ذلك منهم، فقال لهم : «إن شئتم قسمت لكم زوجا»، قالوا : «نعم» فجمع الدجاجات الخمس أمامه وقال لهم : «إني لا أعيد القسمة ثالثة»، ثم قال : «أنت وولداك ثلاثة ودجاجة أربعة، وزوجتك وابنتاها ثلاث ودجاجة أربعة، وثلاث دجاجات وأنا أربعة».

ثم رفع بصره الى السماء، وقال: «الحمد لله، أنت فهمتها لي يا رب، وأسألك أن تجعلهم يقبلون القسة ويرضون بالحكم». وتلا قول الله تعالى : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ النساء 85.

نوادر وحكم جرت أيام بني العباس

1) قيل إن أحد خلفاء بني العباس خرج الى الفلاة متنكرا ومعه وزيره وحاجبه، فصادف شيخا مسنا يغرس نخلة، فخاطبه قائلا : يا شيخ أتأمل أن تأكل من هذه الشجرة وأنت في هذا السن؟ فأجابه الشيخ : (غرسوا فأكلنا، ونغرس فيأكلون) فأعجب الجواب الخليفة، فقال لحاجبه : أعط له مائة دينار، فأخذها الشيخ، وقال له : يا رجل الشجرة لا تطعم إلا بعد سنوات، وهذه أطعمتني في يومها، فأعجب الخليفة بجواب الشيخ، وقال لحاجبه ادفع له مائة دينار ثانية، فأخذها الشيخ، وقال له : يا رجل ، الشجرة تطعم مرة في العام، وهذه أطعمتني مرتين في يوم واحد، فقال الخليفة للحاجب ادفع له 100 دينار ثالثة وانصرف عنه، وحتى لا يضطر لدفع 100 دينار رابعة.

السقاء والخليفة

2) يحكى أن سقاء له جرة يملأها ماء ويسقي الناس متجولا في الأزقة والشوارع، وذات يوم رأى جماعة من الوجهاء سائرين ناحية قصر الخليفة، فقال: لاشك أن هؤلاء دعوا الى مأدبة، أتبعهم حتى أصيب معهم من الطعام ما دعوا إليه، فدخلوا الى قاعة وجلسوا، فإذا بالخليفة يبرز لهم، فقام الأول ومدح الخليفة بقصيدة، فكافأه الخليفة ببدرة من المال، وهكذا الثاني والثالث الى النهاية ولم يبق إلا السقاء، فقال له الخليفة، هات ما عندك فنظر وفكر ثم قال :

(ولما رأيت القوم شدوا رحالهم الى   بحركم الطامي أتيت بجرتي)

فقال الخليفة : املأوها له،

فأخذ السقاء المال وخرج، فأرسل الخليفة عيونه في أثره لينظروا ما يصنع بالمال الذي حصل عليه، فرجعوا الى الخليفة وأخبروه، إنه قد وزع المال، وعاد يسقي الناس، فقال إيتوني به ولما جاء، قال له : ما صنعت بالمال الذي أعطيناك؟ ففكر وقال :

(يجود الخيرون علينا بمالهم ونحن بمال الخيرين نجود)

فال الخليفة : املأوها له ولا تردوه، وفي رواية : (املأوها له عشر مرات).

الأدب العربي مشحون بغرائب أدبية، ونوادر مستملحة وقصتنا الاخيرة مع السقاء هي قريبة من قصة الحجاج ابن يوسف مع الفتيان الثلاثة.

الحجاج ابن يوسف الثقفي

قيل إن الحجاج ابن يوسف الثقافي أعطى أوامره لرجال شرطته إن كل من يجدوه يتجول ليلا فليقبضوا عليه، وفي صباح غده جاؤوه بثلاث فتيان فلما مثلوا بين يديه، سأل أحدهم قائلا : ابن من أنت؟ فأجاب :

(أنا ابن من دانت الرقاب له ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه وهي صاغرة يأخذ من مالها ومن دمها)

فقال : لعله ابن سادات العرب. وقال للثاني : ابن من أنت؟ فأجاب :

(أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره وإن نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره فمنهم قيام حوله وقعود)

فقال : لعله ابن أكرم العرب. وقال للثالث : ابن من أنت؟ فأجاب:

(أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه وقومها بالسيف حتى استقامت
ركاباه لا تنفك رجلاه منهما إذا الخيل في يوم الكريهة ولت)

فقال لعله ابن أشجع العرب. ولما استقصى البحث عنهم، وجد :

إن الأول ابن حلاق، يحلق للناس رؤوسهم، يجرح فيسيل الدم ويأخذ أجرة الحلاقة، والثاني ابن فوال، له قدر في الشارع يبيع الفول للمارين والثالث ابن حياك، يصنع الخلل من الصوف والقطن، إلخ عند ذلك تمثل الحجاج بقول الإمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه:

(كن ابن من شئت واكتسب أدبا   يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا   ليس الفتى من يقول كان أبي)

ثم قال علموا أبناءكم الأدب، فوالله لولا أدبهم لقطعت رؤوسهم.

نـــادرة

قيل إن أحد خلفاء بني العباس أصدر أمرا يمنع العمل في يوم الجمعة، وجعله يوم عطلة ويوم عبادة.

وفي يوم من ايام الجمعة نفسه، خرج متنكرا يتجول في ضواحي بغداد، فصادف رجلا يعمل في أحد البساتين فأمر بالقبض عليه وإيداعه في السجن، لمخالفته أمر الخليفة.

ثم سار قليلا، فوجد طفلا يقرأ القرآن، وسمعه يتلوا قول الله تعالى: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك...**﴾ إلا أن الطفل لما رأى الرجل سكت عن الآيات وغير قراءته، وشرع يقرأ ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك..**﴾ فوقف الخليفة عنده وسأله: يا ولدي سمعتك تقرأ عبس وتولى، ثم انتقلت الى ألم نشرح لك صدرك، فقال يا سيدي رأيتك مقبلا علي، فوددت أن تسمع مني الفأل الحسن، ولا تسمع مني ما يسوءك.

فتعجب الخليفة من ذكاء الطفل، وأخرج ورقة وأعطاها اياه، وقال له: متى أردت أمرا من الأمور، اسأل عن صاحب هذه الورقة، ليقضيه لك، ولما عاد الى منزله عند أمه، علم أن أباه ألقي عليه القبض لمخالفته أمر الخليفة، فقال لأمه: إن رجلا اعطاني هذه الورقة ووعدني بقضاء حاجتي، أذهب إليه ليطلق أبي من السجن، وأخيرا علم أن صاحب الورقة هو الخليفة نفسه، وبالمثول بين يديه، حاوره الخليفة قائلا له: إن أباك خالف أوامرنا التي أصدرناها للرعية، وقد استحق العقاب، فقال له الطفل: سيدي الخليفة إن الذي يستحق العقاب هو ابوه لأنه لم يعلمه – وأبوه قد مات – أما أبي فيستحق الإكرام كونه يعلمني، فتعجب الخليفة من جواب الطفل وذكائه، وأطلق له أباه، وأجازهما معا بصلة.

الرشيد وبهلول المجنون

يحكى أن هارون الرشيد كان ذات سنة في طريقه الى الحج، وبينما هو لا يزال في ضواحي بغداد إذ رأى رجلا راكبا على قصبة، والصبيان خلفه يطاردونه فقال من ذاك؟ قالوا له ذاك بهلول المجنون، قال إيتوني به، فإني في اشتياق إليه، فتوجه إليه بعض الحرس، وقالوا له : أجب أمير المؤمنين، إنه في اشتياق إليك، فأجابهم: وأنا لم اشتق إليه، فقال إيتوني به، لكن غير مروع، فرجعوا وقالوا له : أجب أمير المؤمنين، فجاء على حاله راكبا على قصبة، فلما وصل سلم، وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال الرشيد وعليك السلام يا بهلول، نحن في اشتياق إليك، فقال: وأنا لم اشتق إليك يا امير المؤمنين، فقال الرشيد : يا بهلول عظني، فقال: بم أعظك؟ هذه قصورهم وتلك قبورهم، فاشار أولا الى قصره، وأشار ثانيا الى الجبانة - قبور الأموات - فقال زدني، فقال : يأمير المؤمنين، من اعطاه الله مالا وجمالا فعف في جماله، وواسى من ماله، كتب في ديوان الابرار، لما سمع الرشيد هذه المواعظ البليغة، قال : أمرنا أن يقضى دينك، قال يأمير المؤمنين لا تقض دينا بدين، اقض دين نفسك من نفسك، ورد الحق الى أهله، فأدرك الرشيد أنه لا دين عليه، فقال : أمرنا أن يجرى عليك، فقال : يأمير المؤمنين، أتظن أن الذي أعطاك قد نساني؟ ثم كر على قصبته وفر هاربا، فالتفت الرشيد الى من حوله، وقال لهم : خذوا الحكمة من عقلاء المجانين.

للتعليق على لفظة (نساني)

فعله نسي من باب فعل المكسور العين.

لكن ابن مالك الأندلسي نص عليه في الكافية، بقوله :

(والكسر فتحا رد واليا ألفا لطيء كخفي اردده خفا)

إذن فبنو طيء ينطقون الفعل الناقص اليائي مفتوحا، فيقولون : نسى نسا - خفى خفا بقي بقا - رضي رضا - خشي خشا.

ذيل البيت الشريف سيدي محمد الطاهري رحمه الله قال :

(والكسر إن يعرض كذلك اردداً فتحا فقل في هدي المرء هدى
ولتنظر المصباح في باب بقا فمن رأى اهتدى به ثم ارتقى)

انظر عقد الجواهر الحسان ص : 424-425.

في اللغة العربية وقواعدها أسرار وأسرار.

عباسة أخت هارون الرشيد

هي علية بنت المهدي بن المنصور 160-210هـ

يحكى عنها إنها كانت شغوفة بفتى يدعى (طل) فعلم بذلك أخوها الخليفة هارون الرشيد فحذرها ومنعها أن تذكر اسمه أو تتحدث عنه، وذات يوم مر أمام بيتها، فسمعها تقرأ القرآن، وحين بلغت قول الله تعالى من سورة البقرة، الآية 265 ﴿فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير﴾ أبدلت لفظة (طل) بقولها : ﴿فإن لم يصبها وابل﴾ - فالذي نهى عنه أمير المؤمنين - ﴿والله بما تعملون بصير﴾.

فضحك الرشيد، وعذرها، وأجازها ذكر اسم من تحبه.

الأمـراء في خدمة العلمـاء

يحكى أن هارون الرشيد الخليفة العباسي 170-193هـ مدة حكمه خليفة للمسلمين ثلاث وعشرون عاما.

استدعى طائفة من العلماء لتناول الطعام عنده، وحين حان وقت الإطعام، قرر أن يصب الماء على أيدي العلماء بنفسه، تواضعا، منه وتكرمة للعلماء، وكان من بين الحاضرين عالم ضرير، فاقد لبصره، ولما تجاوزه الخليفة، وهو لا يدري من صب الماء على يديه، سأله أحد الحاضرين، قائلا : (من صب الماء على يديك؟) أجاب العالم الضرير : أحد خدم القصر، فقيل له : إنه الخليفة هارون الرشيد، فأجاب بديهة: (العامة تخدم الأمراء، والأمراء يخدمون العلماء).

وهارون الرشيد هو القائل : تواضعنا لعلم مالك، فانتفعنا بعلمه، وتواضع لنا علم سفيان، فلم تنتفع به،

لأنه – رحمه الله – أثناء تعلمه وهو خليفة كان يذهب بنفسه الى مالك ليتعلم منه العلوم.

وسفيان، (هو ابن عيينة) كان هو الذي يأتي الى قصر الخليفة، ليتولى تعليم الخليفة.

فأي شخص وأي إنسان مهما بلغ شأنه وحاله، فهو مطلوب منه أن يخدم ويطيع رجل التعليم، (من علمك آية من كتاب الله، فأنت له عبد).

موعظة بليغة
من نوادر الحكم على السنة السلف الصالح

يحكى أن عبد الرحمن بن الجوزي الواعظ 508-598 هـ وقف يعظ الناس فقال : (ويحك يا ابن آدم لو عرفت قدر نفسك ما أهنتها بالمعاصي، لقد لعن الله إبليس لأنه لم يسجد لك وأنت في صلب أبيك آدم عليه السلام، فكيف تصالح إبليس وتترك طاعة من رفع قدرك عليه، وأمره بالسجود لك؟).

إنها موعظة بليغة، وهداية منجية لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وصية المولى عبد السلام بن مشيش

ويروى عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله، ولد عام 591-656 هـ ما يلي، قال : دخل رجل على أستاذي - عنى المولى عبد السلام ابن مشيش - فقال له: (وظف لي وظائف وأورادا أذكر بها)، فغضب الشيخ، وقال له : (الفرائض معلومة، والمعاصي مشهورة، فكن للفرائض حافظا، وللمعاصي رافضا، واحفظ قلبك من إرادة الدنيا، وحب النساء، وحب الجاه، وإيثار الشهوات، واقنع من ذلك كله بما قسم الله لك، إذا خرج لك مخرج الرضا فكن لله فيه شاكرا، وإذا خرج مخرج السخط فكن عنه صابرا)، موعظة لها مغزاها العميق.

بعض قصص ملك الموت

قيل إن ملك الموت، والذي سمي في بعض الروايات (عزرائيل) وهو المشهور، قيل له : هل بكيت يوما؟ قال : نعم، مرة واحدة، ثم قيل له : وهل ضحكت يوما؟ قال نعم، مرة واحدة كذلك، فقيل له : أخبرنا عن بكائك وضحكك، قال : أما عن بكائي، فإن امرأة لها ولدان، فسافرت بهما، وصادفت أمامها نهرا عظيما، فلم تستطع أن تعبر بهما النهر معا، فوضعت أحدهما وعبرت بالآخر، فلما تجاوزت النهر وضعته وعادت لتعبر بالثاني، فأمرني الله أن أقبض روحها، فغرقت وماتت، فبكيت على مصير الولدين لفقدهما أمهما وفراقهما لها، فناداني الله : أتبكي عليهما؟ اعلم أن أحدهما سيملك الأرض التي وراء النهر ويحكمها، وهو سعيد، والآخر سيملك الجهة الثانية التي وراء النهر ويحكمها وهو شقي.

أما عن ضحكي، فإن الشقي من الاثنين سأل الله أن يريه صورتي حين آتي لقبض روحه، فأراه الله إياي، وأنا على فرس راكبا، وخلقتي وصورتي مخوفة شديدة عند ذلك هيأ جنودا أقوياء أشداء، وأحاطهم بقصره ووصفني إياهم، وأوصاهم أن لا يتركوني أدخل عليه يوم مجيئي لقبض روحه، فلما دنا أجله ركبت الفرس كما أراني الله إياه، فتخطيتهم ودخلت عليه وأخذت روحه وخرجت من عنده بعد أن تركته جثة هامدة، وتركتهم كما هم واقفين، فضحكت منهم وانصرفت.

وصدق الله العظيم : ﴿... **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة**﴾ النساء بعض الآية : 78، وقوله سبحانه : ﴿**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون**﴾ السجدة الآية : 11.

والثالثة : ﴿**الله يتوفى الانفس حين موتها** ...﴾ الزمر بعض الآية 42.

وصية رجل من ذوي الغنى واليسار لابنه الوحيد

قيل إن رجلا أوصى ولده الوحيد عند وفاته، قائلا له: «يا ولدي إني تركت لك من المال ما لا ينفد إن عملت بوصيتي».

أولا : أن لا تأكل الخبز إلا بالعسل.

ثانيا : أن لا تنام إلا على الحرير.

ثالثا : أن لا تضرب المرأة إلا بعد وثاقها وتكتيفها.

رابعا : وأن لا تسير إلا في الظل.

وحين توفي أبوه، طبق الوصية بالحرف. عمل على جمع العسل من الفيافي والقفار، والجبال والوهاد. كما أوصى البزازين أن يأتوه بافرشة وأغطية الحرير لكي ينعم بها.

أما المرأة فلا يشرع في ضربها إلا بعد وثاقها وتكتيفها، فإذا أطلقها فرت منه ولن تعود إليه، وهكذا مع كل امرأة تزوجها.

وفي فترة وجيزة نفد ماله الذي تركه له أبوه، ولم يوفق في وصية أبيه، فدلوه على رجل حكيم يسأله عن سر الوصية، فأجابه هذا الأخير:

«أما عن الأولى، أن لا يأكل إلا بعد أن يجوع، لأن الخبز وحده آنذاك، كمن يأكل العسل.

وعن الثانية، أن لا ينام إلا بعد العمل الشاق والتعب الشديد، وحينذاك، وكأنه على الحرير.

وعن الثالثة : أن لا يضرب المرأة إلا بعد أن يكون له معها أولاد، فإنها آنذاك - ولو ضربها - لا تغادره ولا تترك أولادها.

أما عن الرابعة والأخيرة، أن يخرج قبل طلوع الشمس، ولا يعود إلا بعد غروبها. وهنا - فقط - أدرك مغزى وصية والده، لكن بعد فوات الأوان.

للتعليق فقط :

بالنسبة للوصية الأخيرة، كان شيخنا سيدي محمد الطاهري رحمه الله، يقص علينا هذه القصة الطريفة.

قيل أن رجلا مسنا، زوج كامل أولاده من الذكور والإناث، والكل قد استقل بنفسه، وما بقي معه أحد، وذات يوم، عاد الى منزله بعد أن أدى صلاة المغرب وصلاة العشاء في الجماعة فوجد إحدى بناته قد جمعت أولادها الذين يفوق عددهم أصابع اليد الوحيدة - ولعله في تلك الليلة لم يكن عنده ما يتعشى به هو وزوجته الهرمة - فسأل ابنته عن سبب مجيئها، فأجابته إن زوجها قد خاصمها وإنها تريد الطلاق منه، فكر هذا الشيخ قليلا ثم قال لزوجته : «اعط لي الحزام لأشد به وسطي، واعط لي الطاقية الصوفية أضعها على رأسي، واعط لي العصا أو الهراوة الغليظة»، فأعطته زوجته ما طلب منها وخرج، وغاب فترة من الزمن وعاد وهو يلهث، وكأنه كان في عمل شاق، وهو يقول : «لقد أشبعته ضربا وتركت دمه يسيل»، فقالت له ابنته : «أو ضربته يا أبي؟:، قال : «نعم، فقد تركت دمه يسيل»، يا أبي إنه ضعيف لا قوة له، ولا يتحمل الضرب»، فجمعت أولادها وخرجت، وألتحقت بزوجها بعد أن غادرت منزل أبيها، وهذا الأخير قام وسد الباب خلفها.

أما هي فحين وصلت الى منزلها وجدت زوجها جالسا وحده يفكر، فسألته: «هل جاء عندك أبي قبل قليل؟»، أجابها : «لا»، فأدركت أن أباها صنع ما صنع ليتخلص منها، ولكي تعود الى منزلها وبدون حوار أو مشادة.

وبعد مرور يومين أو ثلاثة أيام، اشترى نفقة لحما وخضرا، وزارهما في منزلهما، فوجدهما بخير وليس بينهما خلاف أو مشادة أو خصام.

وهكذا يتصرف العقلاء وذووا الرأي والتفكير السديد.

وقصة اخرى، لكن فيها بعض المبالغة. قيل إن أحد أغنياء مدينة فاس له فلاحة خارج المدينة، وله فيها شريك وعامل يعمل فيها بحصة مقابل عمل يديه، وصدفة خرج صاحب الضيعة الى ضيعته، فوجد الفلاح قد حصد الزرع، وشرع يدرس الحبوب، وأثناء عودته، دخلت حبة قمح بين الشعر وجسمه الطري، فنام عليها ليلا، فأثرت في جسمه، مما جعله يلزم الفراش، وها هو شريكه الفلاح جاء يطلب منه أن يصلح له السكة التي يحرث بها، لأنه توسدها فاعوجت، وقد أثر عليها بجسمه القوي.

انظر لهذا التناقض، فالرجل المدني أثرت في جسمه حبة القمح، والرجل البدوي بجسمه الخشن القوي أثر على السكة حتى اعوجت . بعض الحكايات يبالغون في صنعها.

قصة الباشا التازي

ويذكرون كذلك إن الباشا التازي الذي حكم مدينة فاس بعد حكم ابن بوشتى البغدادي، قيل إن هذا الباشا في آخر حياته، أصابه الورم وأصبح لا يستطيع الوقوف، فصنعت له عربة يخرج فيها الى رياض منزله، وكان له في هذا الرياض عامل يعمل فيه، يحفر الأرض ويغرس الاشجار، فيراه يعمل بقوة وجهد كبيرين والعرق يتصبب من جبينه، فإذا حل وقت الزوال رآه يغسل يديه ويخرج من جرابه خبز الشعير، وحبات الزيتون الأسود المرقد، فيشرع في تناول طعام الغذاء، وكما يراه يشرب الماء البارد من الأنبوب المار مع الحائط، ثم يراه يضع رأسه على حجر

بعد أن يستلقي على ظهره، وفي فترة وجيزة يأخذ النوم بعينيه، ويشرع في الشخير، وكأنه أزيز طائرة.

ويذكرون أن الباشا المذكور، تمنى لو كان مكان العامل في صحته وفي تصرفه كما رآه وشاهده، ولكن هيهات، فالشيخوخة وتقدم السن، والأمراض المتلاحقة، قد قطعت عليه الطريق، (إن العطار لا يصلح ما أفسده الدهر).

حكايـة رجليـن مسافريـن

وهذه قصة أخرى قريبة مما ذكر.

قيل إن رجلين اثنين من بلد واحد، سافرا كلاهما الى بلاد بعيد، وبعد مرور عام أراد أحدهما الرجوع الى وطنه، والآخر لم يتيسر له ذلك، فاراد هذا الأخير أن يحمله وصية الى أهله وذويه، وقال : «أبلغهم السلام، وقل لهم : وجع في جسمه، وصداع في رأسه، وخفقان في قلبه ومغص في بطنه، وورم في رجليه»، وقبل أن يتم وصيته، أجابه الآخر : «يا سيدي، إنني أحب الاختصار، وأكره الثرثرة، ولذا أقول لهم مات والسلام».

المكتوب على تاج كسرى انوشرون

ومن الحكم والأمثال المشهورة عند العرب، قيل : إنه كان مكتوبا على تاج كسرى أنوشرون (الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه إلا المرضى)، وقيل إنه مكتوب عليه كذلك : (الفقر جذام أحمر، والأعمى ميت ولم يقبر، ومن لم يخلف ولدا لم يذكر).

من نوادر الصالحين

يذكر أن والد الدكتور المهدي بن عبود كان رجلا صالحا عابدا متدينا، منتسبا للقوم، أي لرجال الصوفية، وكان يقطن مدينة سلا توأمة الرباط، وكان محترما

معظما بين اهله وذويه، وقومه وساكني مدينته، جاءه يوما، رجل وقال له : «سيدي، ازداد لي طفل، وازدان فراشي بمولود، وليس لي ما أعق به - من العقيقة - لأني فقير مسكين» فقام السيد الرجل الصالح وقال له : «انتظر»، وحمل في يده (صينية) وشرع يتجول بين الدكاكين والمنازل في الأسواق ويقول : «اديال الله» أي حق الله، فما خيبه أحد، ولا امتنع من الإعطاء، وفي لحظة وجيزة رجع الى الرجل وصب له في حجره ما جاد به المحسنون، وكان خيرا كثيرا، ولعل ذلك من بركة المولود الذي ولد للرجل.

ومرت أيام وشهور وربما سنون فإذا بالرجل نفسه ياتي لصاحبنا الرجل الصالح، يعيد الكرة لكسب المال ثانية، وادعى ما ادعاه أولا، فقام الرجل، بعد أن أمره أن ينتظر بعض الوقت، وجعل يطوف على الدكاكين كما فعل في المرة السابقة، فإذا قال : «أديال الله»، ولا يسمع إلا : «الله يسهل» ولم يعطه أحد شيئا، فرجع الى الرجل وقال له : «أنت الذي أتيت عندي سابقا، وادعيت ومنحك الناس وأعطوك، وجئت هذه المرة بنفس الطريقة ومنعوك وما «أعطاك أحد، اصدقني يا ولدي، ولا تخفي عني شيئا»، فأجابه الرجل : «المرة الأولى كنت صادقا، وهذه المرة لست كذلك».

وصدق الله العظيم : ﴿فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم﴾ سورة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الآية 21.

ويقال إن السيد - الرجل الصالح اخرج بعضا من ماله وأعطاه إياه، استجابة للحديث» (اعطو السائل ولو جاء على فرس).

هذه بركة الرجال الصالحين، وهذه بعض كرامة أولياء الله العابدين المخلصين.

... ولله في خلقه شؤون.

بعض أخبار الحجاج بن يوسف

حكى الأصمعي (عبد الملك بن قريب) 122-216هـ

إن الحجاج بن يوسف بعث الى يحيى بن يعمر الوشقى العدواني، فقال له: أنت الذي تقول : إن الحسين بن علي بن أبي طالب، هو ابن رسول الله ﷺ، والله لتأتيني بالمخرج من القرآن الكريم، أو لأضربن عنقك!

قال له ابن يعمر : إن جئت بالمخرج فأنا آمن - لا يلحقني منك أذي - قال نعم.

قال : اقرأ قوله تعالى : ﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه، نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم، ووهبنا له اسحاق ويعقوب، كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون، وكذلك نجزي المحسنين وزكرياء ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا، وكلا فضلنا على العالمين﴾ الانعام 83-85.

فقال يحيى بن يعمر للحجاج : فمن أبعد عيسى من إبراهيم أو الحسين من محمد ﷺ. وإن الحسين - رضي الله عنه، إنما هو ابن ابنته.

فقال الحجاج : ووالله لكأني ما قرأت هذه الآية قط. ويقال إنه ولاه قضاء بلده حتى مات ويذكرون أن يحيى بن يعمر هو الذي نقط المصحف الشريف حديقة الأزاهر ص : 82.

ومن الحكايات التي تنسب الى الحجاج بن يوسف

هيء له يوما طعام الغداء، فقال لافراد حاشيته : انظروا من يتغدى معي، فبحثوا فوجدوا عربيا، فدعوه، وقالوا له : أجب الأمير، فلما حضر، قال له الحجاج مرحبا بك يأعرابي اجلس وتغد معي، فأجابه الأعرابي : أنا ضيف عند من هو خير منك، فبادره رجل من رجال الحرس، وقال له : ويلك من هو خير من الأمير؟ فأجابه الأعرابي دعاني الله للصوم فانا صائم، فقال له الحجاج: كل اليوم وصم غدا، فقال الأعرابي : أتضمن لي أن أعيش الى غد، قال الحجاج ذلك ليس من شأني، فشرع الحجاج يتغدى وهو يردد : إن الطعام لذيذ وطيب، فقال الاعرابي : والله ما طيبته ولا طيبته أمك، وإنما طيبته النار.

ويذكرون أنه قبض على شاب عالم، وكان من أعمال وسلوك الحجاج قتل العلماء الذين يخالفونه في الرأي إذن فالشاب العالم هو أقرب الى الموت من الحياة، إلا إن أمه الرحيمة بولدها الشفوقة على فلذة كبدها، قد صدحت في وجه الحجاج قائلة، وهي تخاطبه ثائرة : أطلق ولدي، فإن لم تطلقه، نزع الله الرحمة من قلبك، كما نزعت لفظة : (كلا) من نصف القرآن الاعلى، ويذكرون إنه كان قد وضع رجله اليسرى في ركاب السرج ليركب فرسا، وبسماعه لدعاء المرأة العجوز لم يرفع رجله اليمنى ليستوي على ظهر الفرس، حتى أتى على النصف الاعلى من القرآن بدء من سورة البقرة الى نهاية سورة الكهف فلم يعثر على لفظة : (كلا) لأنه كان يحفظ القرآن، ويستظهره عن ظهر قلب، قبل أن يوليه عبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير في مكة، وتوليه إمارة بلاد العراق.

وإدراكه لمغزى دعوة العجوز، قال لحراسه ومعاونيه أطلقوا لها ولدها، فإن المرأة أعلم بالقرآن، ونظمها أحدهم قائلا :

(وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ولا جاءت في القرآن، في نصفه الاعلى)

ولننتقل - (الآن) الى الحديث عن لفظة : (كلا).

لفظة : (كلا) وردت في القرآن الكريم ثلاثا وثلاثين مرة، ولها أربعة معان :

الاول : للردع والزجر، بمعنى : (انته).

الثاني : للرد والنفي.

الثالث : أن تكون بمعنى : (ألا) التي يستفتح بها الكلام للتنبيه، كما في قوله تعالى : ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ العلق : 6

الرابع : أن تجيء جوابا، بمعنى : حقا.

وتكون مع القسم في قوله تعالى : ﴿وما هي إلا ذكرى للبشر كلا والقمر﴾ المدثر: 32.

وخلاصة القول : أن كل آية، وكل سورة وردت فيها لفظة : (كلا) فهي من القرآن المكي، وهو ما نزل قبل الهجرة وعدد السور التي جاءت فيها لفظة (كلا) خمسة عشر سورة.

الحجاج يستحم في نهر دجلة

ومن حكايات الحجاج، وهو وال بالعراق لخليفتين من خلفاء بني أمية، وهما عبد الملك بن مروان 65-86 هـ وولده الوليد بن عبد الملك 86-96 هـ قيل إن الحجاج توجه الى نهر دجلة ليستحم في أحد أيام القيظ - قيظ الصيف الحار، فكان يعتلي صخرة على احدى ضفتي النهر، ويرمي بنفسه الى قاع النهر، ورجل من مبغضيه وأعدائه، جالس يرمقه من بعيد. فإذا بالحجاج يبطأ داخل النهر، ولا يخرج بسبب بعض الصخور التي منعته وسببت له ذلك الإبطاء.

فما كان من الرجل الذي كان يتفرج على مجريات الأحداث إلا أن اسرع وخلع ملابسه، ورمى بنفسه لينقذ عدوه الحجاج، فخرج وهو في حالة نفسية شديدة، كادت أن تؤدي بحياته، فاستراح قليلا، وقال للرجل المنقذ له: ألست عدوا لك؟ قال: بلى، قال الحجاج لم أنقذتني؟ من الغرق؟ قال الرجل: خفت أن تموت غارقا، فتلحق بالشهداء، ففضلت أن تبقى وتعيش حتى تموت موتة طبيعية، ويجازيك الله على ما فعلت إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

وأشهر أعمال الحجاج الاجرامية، قتله لعبد الله بن الزبير، - أحد العبادلة الأربعة - ورميه للبيت الحرام بالمنجنيق، ثم أفعاله الأخرى الشنيعة في بلاد العراق، ينسب إليه أنه قتل أيام توليته للعراق خمسين ألفا من الرجال وثلاثين ألفا من النساء، ووجد في سجنه بعد موته نفس الكم، خمسون ألفا، وثلاثون ألفا، ينتظرهم نفس المصير، لكن هؤلاء عليهم منة الرجل الكبير، والتابعي العظيم سيدنا سعيد بن جبير رضي الله عنه، الذي دعا دعوته في الحجاج فاستجاب الله له.

قتل الحجاج لسعيد بن جبير

قيل إنه لما طلب الحجاج سعيد بن جبير، وجيء به إليه، خاطبه بقوله : (أأنت شقي بن كسير) - غير اسمه فأجابه : «لا» أنا سعيد بن جبير، فقال الحجاج : اختر بما تموت، قال سعيد: اختر أنت لنفسك، قال اقطعوا رأسه، قال سعيد : أمهلني أصلي ركعتين، قال الحجاج : صل ما شئت، فتوضأ سيدنا سعيد بن جبير وصلى ركعتين لله، وأثناء سجوده، دعا الله قائلا : (اللهم اجعلني آخر من يقتل هذا الظالم) فاستجاب الله دعاءه، وها هو الحجاج قد جن، ومسه طيف من الشيطان، فصار داخل قصره يفر من بيت الى بيت ومن غرفة الى غرفة، وهو يردد : سعيد، أبعدوا عني سعيد، مالي ولسعيد؟ ولم يعش إلا ثلاثة أيام، ومات.

ويذكر الذين تتبعوا سيرته في حياته وبعد موته قيل إنه سمع بعد دفنه، وهو يصيح في قبره صيحات من يعذب، فجاءوا الى رجل كان منادما وملازما ومستشارا

له، قالوا له : تعال لتسمع صيحات صاحبك فلما جاء، وسمع ذلك يقينا، لم يرض بذلك - ولكنه نطق قائلا : ما فتئت يأبا محمد تقرأ القرآن حيا وميتا، دفاعا عنه، وهذه الحكاية إن وقعت حقا، فهي خارقة من الخوارق، التي هي قليلا ما تقع.

ليلى الأخيلية والحجاج

روي أن ليلى الأخيلية الشاعرة دخلت على الحجاج يوما وهو في ملإ من جلسائه، فقالت له ايها القاسط العادل، وبعد خروجها قالوا له : أيها الأمير، إنها قد مدحتك، ظنوا أنها قد قصدت القسط والعدل، قال لهم : لا، وصفتني بالظلم والجور، عنت بالقاسط : ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ الجن 15، وعنت بالعادل : قوله تعالى : ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ الأنعام : 1.

وأشهر ما يردده عامة الأدباء والمؤرخين من قراء العربية في ولاية الحجاج، فحين وصوله الى العراق واليا لعبد الملك بن مروان عام سبعون من الهجرة، وصعوده الى المنبر في مسجد الكوفة، وهو ملثم الوجه حيث جلس طويلا، يتفحص الحاضرين، وهم ينظرون إليه، وينتظرون ماذا سيبديه لهم، حتى صار بعضهم يسأل بعضا، وقيل إنه كثر لغطهم، وعلا ضوضاؤهم وصخبهم.

وهنا وقف الحجاج وأزال اللثام عن وجهه، وصاح فيهم قائلا :

(أنا ابن جلا وطلاع الثنا   يا متى أضع العمامة تعرفوني)

وجعل يخاطبهم، ويتوعدهم: يأهل العراق، يأهل الشقاق والنفاق، إني رأيت رؤوسا قد أينعت، وحان قطافها وإني لصاحبها، وإنني ووالله، وكأني أرى الدم يسيل بين العمائم واللحى.

الرؤية الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، حديث

وحكي أن رجلا أتي سعيد بن المسيب رضي الله عنه، فقال رأيت على شرفات المسجد الجامع حمامة بيضاء، فعجبت من حسنها، فأتى صقر فاحتملها، قال ابن

المسيب إن صدقت رؤياك، تزوج الحجاج بنت عبد الله بن جعفر، فما مضى يسيرا حتى تزوجها.

فقيل له : يأبا محمد، بم تخلصت الى هذا؟ فقال : لأن الحمامة امرأة، والبيضاء نقية الحسب، فما أرى أحدا من النساء أنقى حسبا من بنت الطائر في الجنة، وتظرت في الصقر، فإذا هو طائر عربي ليس هو من طير الأعجام، ولم أر في العرب أصقر من الحجاج بن يوسف. تفسير الاحلام لابن سيرين ص 236.

رؤية ثانية :

قيل إن بعضهم رأى في منامه غرابا على الكعبة، فقص رؤياه على ابن سيرين، فأولها : إن رجلا فاسقا سيتزوج امرأة شريفة، فتزوج الحجاج بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

والعرب تتشاءم من الغراب.

وورد أن عمر بن عبد العزيز ﷺ قال : (ولو أن الأمم تخابثت يوم القيامة، فأخرجت كل أمة خبيثها ثم أخرجنا الحجاج لغلبناهم.

وهذا تعبير من سيدنا عمر بن عبد العزيز، وهو أدرى بمساوئ الحجاج وافعاله السيئة.

وقال ﷺ : (ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء، حسدي إياه على حبه القرآن، وإعطائه أهله) - أي اكرامه إياهم - وقوله: حين حضرته الوفاة : (اللهم اغفرلي، فإن الناس يزعمون إنك لا تفعل) وهذا رجاء وأمل من الحجاج في الله.

وصدق الله العظيم : ﴿**ولا تيأسوا من روح الله، إنه لا ييأسوا من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾، يوسف 17.

بسم الله الرحمن الرحيم 6 جمادى II عام 1421 /5/ 9 / 2000م

- (في كتاب التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول الجزء الخامس ص: 307، كتاب الفتن وعلامة الساعة.

- قال الزبير بن عدي ﷺ شكونا الى أنس بن مالك ما نلقى من الحجاج، فقال : (اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) سمعته من نبيكم ﷺ، رواه البخاري والترمذي.

- وفي هامشه [1] :

وللطبراني: (أمس خير من اليوم، واليوم خير من غد كذلك حتى تقوم الساعة، وشرية الزمن بالنسبة لأهله، فإن الشر من الناس لا من الزمن، فكل يوم خير مما بعده، أي غالبا، فلا ينافي أن أيام عمر بن عبد العزيز كانت خير أيام الأمويين الذين قبله والذين بعده، رضي الله عن الجميع. انتهى بلفظه.

ويروى أن سليمان بن عبد الملك لما أمر بخراب كنيسة مريم بدمشق، كتب إليه ملك الروم هرقل من القسطنتينية، قائلا له : وبعد، فإنك أمرت بخراب كنيسة، رأى أبوك تركها صوابا، فإن كنت أصبت في هدمها، فقد أخطأ أبوك في بقائها، وإن

---

(1) وفي صحيح الإمام البخاري المجلد 3 الجزء 9 ص : 62-61 باب : لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان عن الزبير بن عدي (ض) قال : أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: اصبروا .... الحديث.

- وفي مسند الإمام أحمد ج : 3ص : 132 وصفحة 177.

- ولم أقف عليه عند الترمذي.

كان قد أصاب، فقد أخطأت أنت، فكتب الخليفة سليمان في طرة كتابه: ﴿ففهمنا سليمان وكلا آتيناه حكما وعلما﴾ وصدق الله العظيم : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾.

نـــادرة عجيبـة

ذكر بعض المفسرين منهم صاحب تفسير الجواهر، الشيخ طنطاوي جوهري 1870 – 1940هـ رحمه الله.

عند قوله تعالى : ﴿وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون﴾ الآية : 9 من سورة القصص، قال : إن قارئا كان يقرأ هذه الآية، وصدفة وقف عند قوله : (لي) وعند قوله : (ولك لا)، وهي عجيبة، وكأنها تشير: فموسى قرة عين (لي) ولك يا فرعون (لا) لأنك بمخالفته وعصيانه، يلحقك أنت وقومك الغرق فتهلك فأغرقناه ومن معه أجمعين.

حكايات أشعب الطماع الطفيلي

في كتاب (الاذكياء) لعبد الرحمن بن الجوزي ص: 203
قال الاصمعي : «الطفيلي الداخل على القوم من غير أن يدعى.»
وقال الطفيـلي : «من سمع بقوم عندهم دعوة، أتاهم فأكل طعامهم».

واستدل بحديث، نصه : (روى ابن مسعود قال : «كان فينا رجل يقال له أبو شعيب، فقال لغلامه : «اجعل لي طعاما لعلي ادعو النبي ﷺ»، فدعا النبي ﷺ خامس خمسة، فتبعه رجل، فقال النبي ﷺ للرجل : «إنك دعوتني خامس خمسة وإن هذا اتبعنا، فإن أذنت وإلا رجع»، قال : «بل إئذن له».

نسبـــه:

هو أشعب بن جبير من ظرفاء اهل المدينة، كان مولى لعبد الله بن الزبير، وكان يجيد الغناء، ويضرب المثل بطمعه، عمر طويلا، توفي عام 154 هجرية.

ومن نوادر أشعب هذا :

قيل إن أشعب دخل على جماعة من الناس وهم يتناولون طعاما، فسلم عليهم، فلم يردوا عليه السلام، فجلس معهم، وشرع يتناول الطعام، فقالوا له : «هل تعرف أحدا منا؟» قال لهم : «نعم أعرف هذا»، وأشار الى الطعام، وصار يزدرده بشراهة.

ويوما دخل على قوم، فوجدهم يأكلون طعاما، فسألهم : «ماذا تأكلون؟»، فأجابوه : «نأكل سما (ترياقا)»، فجلس وجعل يأكل معهم، فقال لهم : «الحياة بعدكم حرام».

قيل له يوما : «الى أين بلغ طمعك؟»، قال لهم :

1 - **الأولى :** ضايقني بعض الصبيان بشغبهم، فأردت أن أبعدهم عني، فقلت لهم: «إن في تلك الدار عرس»، وأشرت الى دار بعيدة في أحد السفوح، فانطلقوا، فلما رأيتهم قد وصلوا، قلت في نفسي: «لا شك أن العرس هناك حقيقة»، فلحقتهم في الحين، وقلت في نفسي: «حتى لا يفوتني الحضور».

2 - **الثانية :** إنني كلما رأيت عروسا تزف الى بيت زوجها، إلا وأسرعت الى بيتي أهيئها وأصلحها، وأقول: «ولعلهم يغلطون فيأتون بها الى بيتي».

3 - **الثالثة :** «إذا رأيت جنازة تشيع الى مقرها الأخير، حضرت دفنها، وعدت مع المشيعين الى بيت الراحل وأنا أقول: «لعل يكون أوصى لي بشيء من تركته».

ويحكى عنه أنه حضر هو وولده مأدبة، فجعل أشعب يأكل بشراهة، ولا يشرب الماء، بينما ولده يأكل ويخلل أكله بشرب الماء. وحين غادر تلك المأدبة فبض ولده، وجعل يضربه ويقول له : لم كنت تشرب الماء؟ اجعل معدتك كلها للطعام، والماء حتى تغادر المأدبة»، فقال له ولده : «يا أبي إن الماء ساعدني على أن أكلت أكثر منك»، فجعل يضربه ثانية ويقول له: «لم لم تخبرني قبل ذلك، لأكل مثلك، وأكثر منك».

قيل لأشعب : «هل تحفظ من القرآن؟»، قال : «نعم أحفظ آية واحدة، وهي أعظم آية وأفيد آية» قيل : «اقرأها لنا»، فتعوذ من الشيطان وبسمل وقال : ﴿**أتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**﴾ الكهف 62.

حضر أشعب مأدبة ولم يدع لها، فقال له صاحب المأدبة : «من أنت؟ ومن دعاك؟»، فأجابه «أنا الذي لا يحتاج الى إرسال رسول، وإن كنتم لا تدعوننا، ونحن لا نأتي إليكم، فإنها القطيعة وهو الجفاء بعينه».

حكايات سي الطاهر التسولي

فإذا كان المشارقة يتسلون بحكايات وقصص جحا الغريبة، فالمغاربة عندهم ما يشابه نوادر جحا، ألا وهي قصص (سي الطاهر التسولي).

ولفظة: التسول هي اسم قبيلة بربرية، تقع هذه القبيلة في شمال مدينة تازة يحدها من جهة الشرق قبائل البرانس، ومن الجنوب قبيلة غياثة، ومن جهة الشمال قبائل صنهاجة، ومن الغرب لحياينة، وقراها بني فراسن وبللنت وأولاد الزباير.

وتشتهر قبيلة التسول بزعيمها موسى بن أبي العافية الذي ظهر فيها نهاية القرن الثالث، وبداية القرن الرابع الهجريين، وموسى بن أبي العافية هذا هو الذي أنهى مملكة الأدارسة الذين حكموا المغرب مدة 133 عاما بدء من 172هـ الى 305هـ حسبما عند المؤرخين، ومدة حكم هذه الأسرة قريبا من مائة عام، القرن الرابع بكامله.

ولنشرع الآن في حكايات ونوادر (سي الطاهر التسولي) يحكى عنه، إنه كان يجتهد في حفظ القرآن الكريم، ولكنه صعب عليه ولم يستوعبه كاملا، وكان أمله عظيما أن يدعوه الناس : (سي الطاهر) والمغاربة عادة - لا يطلقون لفظه (سي) إلا على من يحفظ القرآن ويستظهره عن ظهر قلب، فعزم أن يغادر قريته وبلده و (يخنش) عند آخرين، ولا يعود إلا وهو قد حصل على لفظة (سي) ويقال إنه مكث في غربته ثلاث سنوات، ويوم عودته الى بلدته عند أمه وأخته، نبحه الكلب، لأنه لم يتعرف عليه، فأسرعت أخته لترى من الطارق. فلما عرفته نادت على أمها قائلة: أمي هذا الطاهر، عند ذلك ولى راجعا، ولم يلتفت خلفه، فلحقته أمه وأخته قائلتان ما لك رجعت؟ فاجابهما ثلاث سنين غائب عنكما، ولم أحصل بعد على لفظة (سي) يقصد: (أن ينادى عليه سي الطاهر).

الحكايــة الثانيــة

لما كان (مختشا) بعيدا عن بلده، كان قد ألف أن يتناول الطعام من (النوبة - والمعروف) النوبة طعام معين يصنعه أحد السكان بالتناوب، والمعروف ما يأتي به الطلبة المخنشون من دور المحسنين.

وحين عاد الى بلدته، هيأت أمه العشاء وهو عبارة عن طعام واحد، فبقي ينظر ويفكر وقال إن كان هذا هو المعروف فأين النوية؟ وإن كانت هذه النوبة فأين المعروف؟ ثم قال لأخته: (قومي واحملي أمي لتاكل التحميلة) أي تضرب على رجليها، حيث قصرت في ما يجب عليها.

الحكايــة الثالثــة

قيل إن سي الطاهر التسولي، كان في سفر وحين عودته الى بلده، وصل ليلا، فرأى أن يقضي بقية ليلته في المسجد، فبدأ يبحث عن وسادة يضع عليها رأسه، والوسادة هي عبارة عن حجر التيمم، أو الشطابة التي تكنس بها الارض، فلم يجد ولو واحدا منهما، وكان هناك أحد الطلبة نائما في ركن من أركان المسجد، فوجده قد وسدهما معا: (التيمم والشطابة) فأيقظه، وخاطبه قائلا: (صرت قائدا توسدهما معا) فأزالهما من تحت رأسه، وجرده منهما.

ويحكى عنه إنه بلغ قرية، ودخل مسجدا فيها، فانتظر أن يقروه - أي يضيفوه - ولم يفعلوا، فبات ضاويا - جوعا - فأنزل الالواح من معالقها، وفرشها، ونام عليها، وفي الصباح جاء بعض الناس ووجدوه قد فرش الألواح، فخاطبوه قائلين: ألا تخشى الله تنام على القرآن؟ فأجابهم : ماذا؟ إن ستين حزبا فرشت الأثمان، وما في ذلك ضير؟

يقصد أنه هو ستون حزبا، أو هو مصحف يكون اعلى وأجزاؤه أسفل.

وقصة أخرى يطعم فيها لحم كلب لرفاقه من الطلبة المخنشين قيل إنه دعي أولئك الطلبة الى وليمة في بلدة عند رجل ميسور يريد إكرام أولئك الطلبة، ويقيم لهم كما يدعى في العرف : (التبيتة) يقرؤون له بعض القرآن، وينشدون له بعض الأناشيد الدينية فيطعمهم أولا، ثم يزودهم ببعض الدريهمات، إلا أن هؤلاء الطلبة قرروا فيما بينهم أن يخفوا عنه هذه الدعوة، فانسلوا واحدا واحدا دون أن يعلم سي الطاهر التسولي، لكنه لما علم بما بيتوه ضده، قرر أن ينتقم منهم، وشرع يفكر، وهو مغتم حزين، وأخيرا اهتدى الى نوع الكيد الذي اراده بهم، فرأى كلبا سمينا مارا أمام المسجد، فما كان منه إلا أن دعاه وقدم له بعض الأكل وتحيل عليه الى أن أدخله الى المسجد، فقبضه وذبحه، وسلخه، وشرع يطبخه الى أن نضج جيدا، وحين عودة أولئك الطلبة بعد نصف الليل فتلقاهم سي الطاهر، وقال لهم : لولاي لفاتتكم (زردة) إن رجلا محسنا جاء بكبش إكراما لكم، فسلمه لي وذبحته وطبخته لكم، والآن اجلسوا أقدم لكم طعام هذا الكبش السمين اللذيذ، فجلسوا وهم في غاية من النشاط والسرور، فجعلوا يأكلون، وكان هو مستعدا لمغادرة المكان قبل أن يتعرفوا الحقيقة، وخاطبهم قائلا: إني ذاهب لأسقي لكم الماء من العين القريبة، وزاد قائلا لهم : عند نهاية أكلكم لهذا الكبش، خذوا الرأس والجلد وبيعوهما وقسموا ثمنهما، إنهما وراء الباب، ولما غادرهم، أخرجوا الرأس والجلد، فوجدوهما لكلب أسود فجعلوا يتقيؤون، ويخرجون من جوفهم ما كانوا قد أدخلوه الى بطونهم، فقاموا يبحثون عنه لضربه وعقابه على ما فعل بهم، لكنهم لم يعثروا له على أثر واخيرا أدركوا أنهم أخطأوا وأساءوا التصرف مع سي الطاهر التسولي، حيث لم يصحبوه معهم، كادوا له فكاد لهم، (وجزاء سيئة سيئة مثلها).

بعض قصص جحى

جحا أهو شخصية حقيقية أم خيالية؟

ففي القاموس المحيط ج: 4 ص: 312، وجحى كهدى لقب أبي الغصن دجين بن ثابت الطبعة الاصلية، فصل الجيم، باب الواو والياء، وفي الطبعة المعدولة على حروف المعجم، وعلى نسق المصباح، والمختار، ومنجد اللغة، والمعجم الوسيط الذي رتبه السيد أحمد الزاوي مفتي الجمهورية الليبية، والمتوفى رحمه الله 1985م في الجزء الثاني ص : 153 (ودجين ابن ثابت كزبير أبو الغصن جحى، أو جحى غيره.

وفي لسان العرب المجلد 14 ص: 133 العمود الاول : (وجحا اسم رجل، قال الاخفش : لا ينصرف، لأنه مثل عمر، قال الأزهري إذا سميت رجلا بجحا، فالحقه بباب : زفر، وجحا معدول من جحا يجحوا إذا خطا هـ.

وفي المعجم الوسيط ج 1 ص : 109، جحا يجحو، رجل تضاف إليه حكايات مضحكة، وهو أبو الغص دجين بن ثابت.

وفي مجمع الامثال للميداني ج 1 ص : 223 رقم : 1191، (أحمق من جحا، وقال هو رجل من فزارة، وكان يكنى أبا الغصن فمن حمقه أن عيسى بن موسى الهاشمي، مر به وهو يحفر بظهر الكوفة موضعا، فقال له : مالك يأبا الغصن؟ فقال إني دفنت في هذه الصحراء دراهم، ولست أهتدي الى مكانها، فقال عيسى : كان يجب أن تجعل عليها علامة، قال قد فعلت، قال ماذا؟ قال سحابة في السماء، كانت تظلها، ولست أرى العلامة، وزاد قائلا : قلت : وجحا اسم لا ينصرف، لأنه معدول من جاح، مثل عمر من عامر.

وفي حياة الحيوان الكبرى المجلد 1 ص: 454.

جحا رجل من فزارة، كنيته أبو الغصن، وهو من أحمق الناس، وذكر ما عند الميداني في مجمع الامثال بالتمام والكمال ج :1 ص: 223 رقم : 1191.

ومن أشهر المؤلفين والكتاب، الذين كتبوا عن (جحا).

1) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، في كتاب (البغال) وفي كتاب (البيان والتبيين).

2) الحصري، أبو اسحاق ابراهيم بن علي: في كتابه : جمع الجواهر في الملح والنوادر، وفي كتاب زهر الآداب.

3) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي تـ 597هـ في كتابه الشهيرة: (كتاب الأذكياء) وكتاب : (أخبار الحمقى والمغفلين)، وكتاب (أخبار الظراف والمتماجنين).

4) عبد الوهاب النجار، (جحا العربي).

5) عباس محمود العقاد، (جحا الضاحك المضحك).

6) النويري احمد بن عبد الوهاب (نهاية الأدب في فنون الأدب).

7) الراغب الأصفهاني حسين بن محمد (محاضرة الأدباء).

8) الأبشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد (المستطرف في كل فن مستظرف).

9) ابن المقفع عبد الله ت 142 هـ في كتابه: (كليلة ودمنة).

10) وأخيرا كتاب : (جحا ونوادره) تاليف الدكتور فاروق سعد، عدد صفحات الكتاب 284 صفحة.

الطبعة الأولى منه : 1982م الثانية 1984م الثالثة 1986م وقد جمع فيه صاحبه: الدكتور فاروق سعد، ما تفرق في أمهات الكتب قديمها وحديثها.

جحا شخصية لها وزنها في التاريخ العربي وآدابه، كل ما تذكر نادرة من النوادر، أو حادثة من الحوادث إلا وتنسب إليه ولو لم يفعلها جحا، وتعتبر قصصه

ونوادره من المسليات ذكر عباس محمود العقاد، في (كتاب الهلال) العدد 65 الصادر 1956م ص: 192-191م نادرة تقول:

إن تيمو لنك التتري حينما استولى على بلاد الأناضول في أرض تركيا، راح يحضر العلماء والفضلاء، ويسألهم: أعادل أنا أم ظالم؟ فإن أجابوا إنك عادل ذبحهم وإن قالوا إنك ظالم قتلهم، فضاقوا بحكمه ذرعا وجاءوا الى خوجة - وهو اسمه بالتركية - للمشورة والمعونة، فتوجه خوجة (جحا) الى قصر تيمورلنك ودخل عليه، وبادره بالقول: أنت لست مالكا، ولا باغيا ظالما فالظالمون نحن، وأنتم سيف العدل الذي سلطه الواحد القهار على الظالمين، فسر تيمورلنك بجوابه وشجاعته، واتخذه نديما له.

وهذه بعض قصص جحا ونوادره :

1) قيل إن جحا تماوت يوما، وجعل نفسه جثة هامدة، لا حراك به، فغسلوه وكفنوه، وجعلوه على النعش وحملوه على أكتافهم متوجهين الى مقره الأخير، فبلغوا به الى طريقين اثنين كلاهما يبلغ الى المقبرة، فاختلفوا أي الطريقين يسلكون واشتد بينهم الخلاف، فما كان من جحا، إلا أن أطل عليهم برأسه من فوق النعش قائلا لهم : لما كنت على قيد الحياة كنت أمر على هذه الطريق، وأشار الى احداهما، فما كان منهم أن رموا بالنعش الى الأرض، وهموا بضربه، لكنه اعتذر لهم قائلا، والله ما أردت بهذه الموتة ألا أن أركب على أكتافكم وأنا على قيد الحياة.

وهذه قصة أخرى، قيل إن جماعة من الناس جلسوا يتحدثون واشتد بينهم الخلاف، وكان الحديث فيما بينهم، هل الافضل والاكثر ثوابا، أن يسير المشيع أمام الجنازة أم خلفها؟ فطلبوا منه أن يعطي رأيه في هذه المعضلة فقال لهم : احذر أن لا تكون فوق النعش، ثم سر حيث شئت، فالثواب حاصل لا محالة.

****

ونادرة أخرى من نوادر جحا، قيل إنه كان في سفر هو وولده الصغير، وكان لهما حمار، فركب جحا، وولده يسير الى جنبه، فمر على جماعة من الناس فسمعا يقولون: ما أقسى قلب هذا الشيخ يركب الحمار، وولده الصغير الضعيف يسير الى جنبه، فنزل وقال لولده اركب يا ولدي، فسارا، حتى مرا على جماعة أخرى: فسمعهم يقولون ما أعق - من العقوق- هذا الولد؟ يركب الحمار وأبوه شيخ كبير يمشي على رجليه، فرأى جحا أن يردف ولده خلفه، فسارا حنى مرا على جماعة ثالثة، فسمعهم يقولون: ما أقسى قلبا الرجلين - الشيخ وولده، يركبان معا، حيوانا ضعيفا بلا شفقة ولا رحمة، فقال جحا لولده انزل يا ولدي، ونزلا وسارا يمشيان معا، والحمار يسير الى جنبهما، فمرا على جماعة رابعة، فسمعهم يقولون: ما راينا أحمق من هذين؟ الحمار معهم ولا يركبونه، فقال جحا لولده بقي أن يركبنا الحمار، ونجعله على أكتافنا، فلما فعلا ذلك مرا جحا وولده بجماعة فضحكوا منهما ضحكا شديدا وقالوا بدل أن يركبا الحمار، ها هو يركبهم. عند ذلك، قال جحا لولده: يا ولدي فإنك لن تستطيع أن ترضي الناس مهما حاولت.

وهذا مصداق ما روي من آثار وحكمة متناولة، قيل إنه مكتوب على ساق العرش : (لا راحة في الدنيا، ولا سلامة من الخلق، ولا هروب للموت).

الاستشهاد بهذا الآثار : المسألة الثانية (لا سلامة من الخلق).

وللإمام الشافعي رحمه الله : (ليس الى السلامة من الناس سبيل ، فانظر الذي فيه صلاحك فإلزمه) سير اعلام النبلاء ج 10 ص : 42.

وقصة اخرى نسبت لجحا

سئل جحا يوما هل تحفظ شيئا من أحاديث رسول الله ﷺ؟ قال نعم، أحفظ حديثين صحيحين، قالوا له : اذكرهما لنا، فقال : روى الإمام البخاري عن ..... عن ..... عن..... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ ..... هذا الحديث الأول.

وقال : روى الإمام البخاري عن ...... عن ...... عن ...... عن أبي هريرة ﵁ قال، قال رسول الله ﷺ ...... وهذا الحديث الثاني، ولم يذكر الحديثين اللذين يدعي إنه يحفظهما، فقالوا له : ولكنك لم تذكر لنا الحديثين، فقال لهم : أحدهما نسيته أنا والآخر نسيه أبو هريرة، فضحكوا منه، وعلموا أن جحا يمزح.

* * * * * * * *

وقصة أخرى قيل إن جحا تعاقد مع جماعة في بلد أن يشترط عندهم - كونه فقيها - يتولى الإمامة وخطبة الجمعة فتمت الصفقة بين الطرفين، وفي الجمعة الأولى، صعد جحا المنبر، وجلس، وبعد الأذان قام وتناول العصا وشرع يخطب فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ، ثم قال : أيها الناس هل تعلمون ما أقول لكم، اجيبوني بنعم أو لا؟ فاتفقوا جميعا أن يجيبوه بلا، عند ذلك نزل من على المنبر، وقال لهم : حيث لا تعلمون ما اقول لكم لا فائدة في وعظكم وإرشادكم، وصلى بهم.

وفي الأسبوع الثاني، فعل مثل ما فعل في الاسبوع الأول ثم قال : أتعلمون ما أقول لكم؟ فاتفقوا أن يجيبوه بنعم فنزل من المنبر، وقال لهم : حيث إنكم تعلمون ما اقول لكم، لا فائدة في الإعادة والتكرار.

وفي الأسبوع الثالث، فعل ما فعل في الاسبوعين الأولين، وقال لهم : هل تعلمون ما اقول لكم : فاجمعوا على أن يجيب النصف بنعم والنصف بلا، فقال لهم: النصف الذي يعلم، يعلم النصف الذي لا يعلم فنزل، فما على أهل هذه القرية إلا أنهم طلبوا من جحا فسخ هذه العقدة وهذه الصفقة، لكن بعد أدائهم للجعل الذي وقع عليه الاتفاق عند بدايته.

* * * * * * * *

ونادرة ليست بغريبة مما سبق ومضى، قيل إن جحا عزم أن يتوجه الى السوق لشراء حمار، وفي طريقه سئل من بعضهم الى اين يا جحا؟ فقال لهم الى السوق أشتري حمارا، فقالوا له : قل إن شاء الله، فأجابهم : لم أقل إن شاء الله، الحمار في السوق والنقود في قبي - قب الجلباب - وفي الطريق عطش، وعزم أن يشرب من بئر هناك، فانحنى على شفير البئر، فسقطت منه الدراهم، وضاعت، وعاد جحا خائبا، فسألوه: أين الحمار يا جحا، فأجابهم ضاعت الدراهم أن شاء الله، سقطت الدراهم في البئر إن شاء الله.

من نوادر حجا مع امرأته

قيل إن جحا كان في سفر، وحين عودته، وصل الى داره ليلا، وصدفة وجد امرأته خارج الدار تتجول، وهي لا تبالي فقال لها يا شقية، أتخرجين في مثل هذا الوقت؟ فأجابته من اخشى، فأنا لا أبالي، إن لقيني شيطان فأنا في طاعته وإن لقيني رجل فأنا في طلبه، فكر في طلاقها، لكنها قالت له: إن طلقتني فأنت الخاسر فإنك لا تجد من يخدمك ويقوم بشؤونك، فعدل، ولم يطلقها.

* * * * * * *

وقصة أخرى، استيقظ جحا ليلا من نومه فلم يجد امرأته الى جنبه، فقام وأغلق الباب، وجلس خلفه، ولما عادت قبل الفجر، وجدت الباب مغلقة، فجعلت تستعطفه ليفتح لها الباب، ولكنه أسر، أن لا يفتحها حتى يطلع النهار، ويعلم الجيران بخروجها ليلا ليجعلهم شهودا عليها، عند القاضي ليطلقها.

فلما أيست منه، قالت له من خارج الباب، ها أنا سأرمي بنفسي في البئر، وكان لجحا بئر في صحن داره .

وكانت هناك صخرة كبيرة، فأخذتها، ورمت بها في البئر: فسمع جحا صوت الصخرة، وظن أنها هي التي رمت بنفسها، ففتح واسرع ليرى ما وقع، فما كان منها

إلا أن دخلت الى الداروأغلقت عليه الباب، فجعل هو يستعطفها لتفتح له، ولكنها أسرت أن لا تفعل حتى يطلع النهار، وتقيم عليه الجيران شهودا، أين يذهب ليلا ويتركها، وهذا أشبه بالمثل الذي يقول : (انقلب السحر على الساحر).

جحا وزوجته الثانية

قيل إن جحا توفيت له امرأته الأولى، فبقي أياما يبحث عن زوجة جديدة، فوجد امرأة مات عنها زوجها فخطبها وتزوجها، فكانت تكثر من ذكر المرحوم، وكان هو بدوره يكثر من ذكر المرحومة، ولكنه أخيرا ضاق به الأمر، ففكر في حيلة فذهب عند النجار ليصنع له سريرا يصعد إليه بالأدراج، وفي الليل حين ناما ذكرت المرحوم، فما كان منه إلا أن دفعها عن السرير وسقطت فتكسرت يدها ورجلها، فعلم أهلها بذلك أبوها وأخوها وعمها، وجعلوا يلومونه على فعلته، فقال لهم: اسمعوا يا قوم، إن السرير جعل لاثنين لا لأربعة فقالوا له ومن الاربعة؟ قال لهم : هي والمرحوم، وأنا والمرحومة، اطلبوا منها أن تنسى المرحوم ولاتذكره، وأنسى المرحومة ولا أذكرها أنا، عند ذلك يسعنا السرير. وبهذا لا يتكرر سقوطها.

جحا يعمل واعظا للكبار في المساجد

وحين عاد يوما من وعظه، قالت له امرأته إن ولدنا يكثر البكاء ولا ينام، لو كتبت له حرزا نعلقه له لكي ينام ويدع البكاء فأخرج لها كتابا، وقال لها ضعي هذا الكتاب عند راسه، فإنه ينام بإذن الله في حينه، فغضبت وقالت له انت تمزح، فأجابها انا لا أمزح، فهذا الكتاب حين أعظ به الناس في المسجد ينامون كلهم، وبعضهم يعلو شخيره، وكثيرا ما أغادرهم وأتركهم نائمين، الكتاب يؤثر ببركته في الكبار، فكيف لا يؤثر في الصغار.

حكايات مختلفة عن جحا

قيل أن جماعة من الناس كانوا يتحدثون عن وسط الارض أين يقع، - مركز الدنيا - فاختلفوا في ذلك اختلافا كبيرا، فاتفقوا أن يسألوا جحا لعله يكون على علم من ذلك، فلما سألوه، أجابهم: وسط الدنيا حيث يقف حماري الساعة، وحين رآهم لم يقتنعوا بجوابه، قال لهم : إن لم تصدقوني فقوموا واشرعوا في القياس، وستجدون ما قلت لكم هو الحق.

****

وقصة أخرى قريبة من هذه الأخيرة، حيث أن جماعة من الناس اختلفوا في عدد نجوم السماء، وكل منهم يذكر عددا مخالفا لما يدعيه الآخرون، وكان جحا حاضرا معهم، فقال لهم : أنا على علم بعدد نجوم السماء، قالوا وما عددها قال لهم عدد الشعرات التي في حماري، فإن لم تصدقوني فقوموا واشرعوا في الحساب وحماري ها هو أمامكم.

فأدركوا أن جحا يشير أن عدد النجوم في السماء لا يعلم عددها إلا الله.

يذكر البعض أن جحا كان مغفلا

وقالوا إنه ذهب الى السوق فوجد رجلا يبيع ظبيا كان قد اصطاده، فاشتراه جحا منه بأحد عشر درهما وجاء يسوقه، فمر بجماعة من الناس، فسألوه : بكم اشتريت الظبي يا جحا؟ فأراد أن يعبر لهم حسيا لا لفظا، فأطلق أصابع يديه العشرة واخرج لسانه ليقول لهم: ب (أحد عشر) فانفلت منه الظبي ونجا، فضحكوا منه، واستدلوا بذلك على غباوته.

ويذكر البعض الآخر أن جحا كان ذكيا

قيل أن جحا كان يملك دارا يسكنها هو وعائلته، فاحتاج الى المال فعزم على بيعها، للانتفاع بثمنها، فجعلها في المزاد العلني، فبيعت الدار بألف درهم، إلا انه

اشترط على المشتري أن لا يبيع معلقا في حائط من حيطانها، فقبل المشتري وقال في نفسه ما يفيده المعلق؟ ولما تم البيع وتمت الصفقة بين الطرفين، وأصبح لجحا الحق في عيادة وزيارة ذلك المعلق كل يوم شرع يبحث عن الجياف الميتة الملقاة في المزابل والطرقات، وجعل يحملها ويعلقها في ذلك المعلق، فاضطر المشتري لتلك الدار أن يتنازل عن نصف الثمن، ويرد الدار لجحا، وقد حصل جحا على 500 درهم مجانا وبدون مقابل.

موازنة الارض

كانت جماعة من الناس يتحدثون عن سير الناس وتوجههم الى جهات مختلفة، يذهبون شمالا وجنوبا، شرقا وغربا، لو انهم يسيرون الى جهة واحدة، فقال لهم جحا، لوأنهم يسيرون الى جهة واحدة، فقال لهم جحا، لو فعلوا ذلك لاختلت موازنة الارض، وانقلبت بهم، وصار اسفلها عاليها، وعاليها أسفلها، فالحكمة في سيرهم متعاكسين ومختلفين.

الهلال الجديد والهلال القديم

تحدث الناس يوما، وقالوا : حين يظهر الهلال الجديد، أين يذهب الهلال القديم؟ - وكان جحا حاضرا - فقال لهم : إنهم يقطعونه قطعا صغيرة، ويجعلونها نجوما في السماء. وستزداد هذه النجوم كلما ازداد الزمن.

العقلاء والمغفلون

سئل جحا هل لك أن تعد لنا ما تعداد المغفلين في بلدكم؟ فاجاب : إن شئتم أعد لكم العقلاء يقصد أن المغفلين كثيرون، وإن العقلاء قليلون.

قيل إن حمار جحا ضاع منه، ولا يدري من أخذه، وما مصيره، ولكنه صار يردد الحمد لله، الحمد لله، فقيل له : لم صرت تكثر من الحمد لة؟ فأجابهم أحمد الله حيث لم أكن راكبا عليه، ولو كنت راكبا عليه لكنت ضائعا كما ضاع الحمار.

وحكاية أخرى تنسب لجحا، فإن كانت حقيقية فهي قريبة الى الغباوة منها الى الذكاء

قيل إن جحا عزم أن يعمل في التجارة واختار أن يعمل في تجارة الحمير، فتوجه الى أحد الاسواق واشترى عشرة حمير، وجاء يسوقها ليذهب بها الى سوق آخر بعيدا، فركب أحد هذه الحمير، وعد ما أمامه فوجدها تسعة فقط، فنزل، وعدها فوجدها عشرة، فركب ثانية حمارا منها، فعد ما أمامه، فوجدها تسعة، فنزل وعدها ووجدها عشرة، فركب أحدها كذلك فعد الباقي ووجدها تسعة، وبقي على هذا الحال من الصباح الى ما بعد الزوال، وقد ذهب نصف ذلك اليوم، وبوصوله الى السوق التي يقصدها ووجد زوار تلك السوق في ذلك اليوم قد تفرقوا، وعادوا الى قراهم، فما باع ولا اشترى، اذن فالحكم على جحا ليس ذكيا، إن لم يكن يتصنع الغباء متعمدا، وقد قال أحد الشعراء :

(ليس الغبي في قومه سيدهم   إنما السيد في قومه المتغابي)

أراد الشاعر بالسيد : من يغمض عينيه عن سلوك الآخرين ما تعمدوا فعله قصدا أو عن غير قصد.

ليلـــى فـي الشعـــــر

وينسب لقيس بن الملوح، المدعو مجنون ليلى

(واهـا لليلـى ثـم واهـا واهـا   هـي المنى لـو أننـا نلناهـا)

وينسب إليه ايضا كذلك :

(أمـر على الديـار ديـار ليلـى   أقبـل ذا الجـدار وذا الجـدارا
وما حب الديـار شغفن قلبـي   ولكن حب من سكن الديـارا)

ويحكى عنه أنه لما جن بليلى أجمع أهله أن يأتوا به الى مكة للزيارة وطلب الشفاء، فأنشد وهو يطوف بالبيت :

(ذكرتك والحجيج لهم ضجيج   بمكـة والقلـوب لهـا وجيـب
فقلت أتـوب يا رحمـان ممـا   جنيـت فقد تكاثرت الذنـوب
فأمـا مـن هـوى ليلـى وتركـي   زيارتهـا فإنـي لا أتـوب)

وقد رآه بعضهم يكرم كلبا، والكلب يبصبص له فقال :

(رأى المجنون في البيداء كلبا   فجـر عليـه للاحسـان ذيـلا
فـلامـوه على ما كـان منـه   وقالوا لم منحـت الكلب نيـلا
فقال دعوا المـلام فإن عينـي   رأتـه مـرة فـي حـي ليلـى)

وكأن كلا من الكلب والمجنون ألف صاحبه.

وقال آخـر :

(كـل يـدعـي وصـلا بليلـى   وليلـى لا تقـر لهـم بـذاك)

وفي كتاب العواصم من القواصم ص : 21 وتنسب الأبيات للإمام الغزالي :

(تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل   وعدت لتصحيح أول منزل
ومادت بي الاشواق مهلا فهذه   منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا فلم أجد   لغزلي نساجا فكسرت مغزلي)

وفي قصيدة تنسب للشاعرة ليلى الأخيلية، تصف ابنتها في مقتبل عمرها :

(ليلى ألا احمر الشفق   نامي فلا عاش الأرق[1]
هذي أناملك الصغر   تحث عينيك في نزق)

الى أن قالت :

(ليلى وما ليلى سوى   زهر شميم بل أرق[2]
أما أفقت فأنت شغلي   أو رقدت ففي الحدق
أترى عناقك يا ملاك   يعيد للمضني[3] الأرق
ولو أن صلد الصخر قد   سمع الندى ماما لرق[4]
وعلا[5] الخزامى[6] أديمه   يذكي برياه[7] الأفق)

(1) الأرق : الاستيقاظ وعدم النوم.
(2) أرق : أخف وألطف.
(3) المضنى : المتعب.
(4) لرق : لأشفق وحن.
(5) علا : فعل ماض.
(6) الخزامى : نبات ذكي الرائحة.
(7) برياه : برائحته الذكية.

وهذه أبيات من الزجل ينشدها أهل تلمسان في ما يدعى بالطرب الأندلسي أو الطرب الغرناطي :

(ضربتني بخنجر ملتقاها   تركتني مخضبأ في دمائي
طرحتني على الطريق وقالت   من يصلي على قتيل هواي)

مقلتاها : فاعل ضرب، ومقلتاها شبهتا بخنجر.

وهذا أشبه كثيرا بما قاله يزيد بن معاوية في قصيدته:

(قد خلفتني طريحا وهي قائلة   تأملوا كيف فعل الضبي بالاسد)

والقصيدة طويلة من إحدى وعشرين بيتا، استهلها بقوله:

(نالت على يدها ما لم تنله يدي   نقشا على معصم أوهت به جلدي
كأنه طرق نمل في أناملها   أو روضة نصعتها السحب بالبرد)

وفيها بيت يستدل بها علماء البلاغة في باب الاستعارة، وهو:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت   وردا وعضت على العناب بالبرد)

وفي آخر بيت من هذه القصيدة:

(إن يحسدوني على موتي فوا أسفي   حتى على الموت لا أخلو من الحسد)

وقالوا كذلك، إن الشعر بدئ بملك وانتهى بملك، أرادوا بالأول امرو القيس بن حجر، وبالثاني يزيد بن معاوية.

أبو الأسود الدؤلي وامرأته عند القاضي

يحكى أن أبا الأسود الدؤلي وامرأته، جرى بينهما كلام في ابن لهما - بعد فراقهما - واراد أخذه منها.

فشكته الى زياد والي البصرة، فقالت : «أصلح الله الامير، هذا ابني، كان بطني وعاءه، وحجري فناءه وثديي سقاءه وطعامه، أكلؤه اذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل كذلك سبعة أعوام، وحين أملت نفعه ورجوت خيره أراد أخذه مني قهرا، فقال أبو الاسود : «أصلح الله الأمير، أنا حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه»، قالت المرأة : «صدق أيها الأمير ولكن حمله خفا، وحملته ثقلا وضعه شهوة، ووضعته كرها»، فقال زياد : «اردد على المرأة ولدها، فهي أحق به منك ودعني من سجعك».

وفي الحديث : «أمك، قيل ثم من؟ قال أمك، قيل ثم من؟ قال أمك، قيل ثم من؟ قال أبوك».

أعطاها الشرع ثلاثة حقوق، وأعطى الرابع للأب.

قال شراح الحديث : «عنى رسول الله ﷺ، حملته كرها، الأولى، ووضعته كرها، الثانية، وفصاله ثلاثون شهرا، الثالثة».

من بركة القرآن الكريم

ذكر أحد الصالحين أن هذه الآيات المباركات، من قرأهن على مال أو طعام باركه الله وزاد فيه، وهن :

1 - ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ الاعراف 54.

2 - ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ المومنون 14.

3 - ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ الفرقان 1.

4 - ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا﴾ الفرقان 10.

5 - ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا﴾ الفرقان 61.

6 - ﴿ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين، هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾ غافر 64.

7 - ﴿وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون﴾ الزخرف 85.

8 - ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ الرحمن 78.

9 - ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ الملك 1 .

وعلى المسلم المؤمن أن يتوضأ ويصلي ركعتين، ويقرأ هذه الآيات المباركات، فيستجيب الله له، ولا يخيب ظنه في الله.

لمن عزم أن يستيقظ من النوم

ذكر أحد الصالحين إن من عزم أن يستيقظ من النوم في ساعة معلومة من الليل أو النهار، فليقرأ هذه الآيات من سورة الأعراف (56-55-54) وهن:

﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين(54) ادعوا ربكم تضرعا وخفية، إنه لا يحب المعتدين(55) ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين(56)﴾.

الجملة الأخيرة يكررها ثلاث مرات. فإنه يستيقظ بإذن الله في الوقت الذي يريده، وفضل الله على العباد عظيم.

حكاية الاصمعي، ودعاء الاعرابي

الحلية لأبي نعيم ج : 7 ص : 275

حدثنا الاصمعي، قال : (قال سفيان بن عيينة : «رأيت اعرابيا يطوف بالبيت، فتبعته، فقلت : لعله لا يحسن الدعاء، فأعلمه ما يقول» قال : «فرأيته متعلقا بأستار الكعبة، فقال» : «اللهم إليك خرجت، وأنت أخرجتني، وإليك جئت وأنت جئت بي، وبفنائك أنخت، وأنت حملتني، اللهم فقد عجت إليك الأصوات بصنوف اللغات، يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك أن تذكرني على طول البلى[1] إذا نسيني أهل الدنيا»).

(1) البلى : إذا كسرت الباء كتبت مقصورة، وإذا فتحت الباء كتبت ممدودة، وزيد في آخرها همزة.

حديث الرسول ﷺ وخلفاؤه الأربعة

جاء أن رسول الله ﷺ كان جالسا مع جماعة من أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، فقال : «أحب الي من دنياكم الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة».

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : «صدقت يا رسول الله، وحبب إلي من الدنيا ثلاث : النظر الى وجه رسول الله ﷺ، وإنفاق مالي على رسول الله، وأن تكون ابنتي تحت رسول الله».

فقال عمر رضي الله عنه : «صدقت يا ابا بكر، وحبب إلي من الدنيا ثلاث : الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والثوب الخلق (البالي)».

فقال عثمان رضي الله عنه : «صدقت يا عمر، وحبب إلي من الدنيا ثلاث : إشباع الجيعان وكسوة العريان، وتلاوة القرآن».

فقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه : «صدقت يا عثمان، وحبب إلي من الدنيا ثلاث : الخدمة للضيف، والصوم في الصيف، والضرب بالسيف».

فبينما هم كذلك، إذ جاء جبريل عليه السلام، وقال : «أرسلني الله تعالى، لما سمع مقالتكم وأمرك أن تسألني عما أحب إن كنت من اهل الدنيا»، فقال رسول الله ﷺ : «ما تحب يا أخي يا جبريل إن كنت من أهل الدنيا؟» قال جبريل عليه السلام: «أحب إرشاد الضالين ومؤانسة الغرباء القانتين ومعاونة أهل العيال المعسرين».

وقال جبريل (ع- س) : «يحب رب العزة جل جلاله من عباده، ثلاث خصال: بذل الاستطاعة والبكاء عند الندامة، والصبر عند الفاقة.»

مصدر هذه الحكم :

الاستعداد ليوم المعاد ص : 33-34.

كتاب صغير الحجم نفيس في بابه يشتمل على حكم ونوادر.

أحادية، وثنائية، وثلاثية، ورباعية الى عشارية.

حكمــــة :

وعن بعض الحكماء :

من اعتصم بعقله : ضل.

ومن استغنى بماله : قل.

ومن عز بمخلوق : ذل.

التوسل إلى الله

شاب توسل الى الله من وساوس إبليس، فقال: «اللهم إنك سلطت علينا شيطانا، وهو عدو لنا، بصيرا بعيوبنا، مطلعا على عوراتنا، يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه.

اللهم أيسه منا كما أيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين مغفرتك وجنتك، إنك على كل شيء قدير.»

آيات الشفاء في القرآن الكريم

آيات الشفاء في القرآن العظيم، من داوم على قراءتها، يشفيه الله من جميع الأمراض:

1 - ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم، ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين، ويذهب غيظ قلوبهم، ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم﴾ التوبة 15-14.

2 - ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين﴾ يونس 57.

3 - ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ النحل 69.

4 - ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين﴾ الاسراء 82 .

5 - ﴿الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين﴾ الشعراء 80.

6 - ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ الشورى 44.

هذه الآيات الستة في القرآن العظيم، هن آيات الشفاء، من داوم على قراءتهن، مع قراءة آية الكرسي، وسورة الكافرون، وسورة الإخلاص، وسورتي المعوذتين، مع سورة الفاتحة بداية ونهاية، يشفيه الله من كافة الأمراض، «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرى ما نوى». الحديث.

قـــراءة اللطيـــف

أولا بحسب حروفه (لطيف) = 129 (لـــ[30] طـــ[9] يـــ[10] ف[80]).

طريقة الأداء(1)، الطهارة بأنواعها كاملة(2)، الخلوة(3) صلاة ركعتين بالفاتحة وألم نشرح في الأولى، وبالفاتحة وألم تر كيف فعل ربك في الثانية.

ثم تقرأ الآيات السبعة.

1 - ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ 3 مرات الآية من سورة الأنعام 103.

2 - ﴿إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾ 3 مرات الآية من سورة يوسف 100.

3 - ﴿فتصبح الارض مخضرة إن الله لطيف خبير﴾ 3 مرات الآية من سورة الحج 63.

4 - ﴿فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾ 3 مرات الآية من سورة لقمان 16.

5 - ﴿إن الله كان لطيفا خبيرا﴾ 3 مرات الآية من سورة الاحزاب 34.

6 - ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز﴾ 3 مرات الآية من سورة الشورى 19.

7 - ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ 3 مرات الآية من سورة الملك 14.

ثم تقرأ هذا الدعاء، وتشرع في اللطيف هكذا:

(اللهم إني اسالك بحق اسمك اللطيف ونبيك الشريف سيدنا محمد ﷺ الطف بنا يا لطيف يا لطيف 9 مرات).

ثم تعيد قراءة : (اللهم إني أسألك بحق اسمك اللطيف و ...... وسلم الطف بنا يا لطيف يا لطيف 20 مرة).

ثم تعيد قراءة : (اللهم إني أسألك بحق اسمك اللطيف و.......... وسلم الطف بنا يا لطيف يا لطيف 100 مرة).

ونختم بقولنا : (يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير مرتان، والثالثة بقولنا : يا حفيظ نسألك الحفظ فيما جرت به المقادير).

ويختم بالاستغفار فيقرأ الآية من سورة آل عمران رقم 135 ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾.

ثم يقول : (أستغفر الله العظيم إن الله الغفور الرحيم) 100 مرة، ثم يقرأ بعد ذلك آية الكرسي، والكافرون، والاخلاص والفلق والناس وأم القرآن الفاتحة، ثم يدعو بما يشاء مع النية الخالصة) لقول النبي ﷺ : «إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...» الحديث.

الترغيب في صلاة الحاجة

عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه، أن أعمى أتى الى رسول الله ﷺ، فقال «يا رسول الله : ادع الله أن يكشف لي عن بصري»، قال : «أوأدعك»، قال يا رسول الله إنه قد شق علي ذهاب بصري، قال : «فانطلق فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم قل : (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه الى ربي بك أن يكشف لي عن بصري، اللهم شفعه في، وشفعني في نفسي). فرجع وقد كشف الله بصره».

رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وابن خزيمه، والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم.

لرجل حاجة عند سيدنا عثمان

وورد كذلك أن رجلا كان يختلف الى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، وكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف، فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف : «إيت الميضأة فتوضأ ثم إيت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك الى ربي، فيقضي حاجتي وتذكر حاجتك، ورح إلي، حتى أروح معك»، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان، ثم جاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة وقال : «ما حاجتك؟» فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة وقال ما كانت لك من حاجة فأتنا»، ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان بن حنيف، فقال له : «جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في» فقال عثمان بن حنيف : « والله ما كلمته، ولكن شهدت

رسول الله ﷺ وأتاه رجل ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ : أو تصبر؟ فقال : يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي، فقال له النبي ﷺ : ايت الميضأة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات، فقال عثمان بن حنيف : فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى عاد علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط».

قال الطبراني بعد سرده، والحديث صحيح

المصدر :

الترغيب والترهيب، ج 1 ص (241-242)
الأذكار للإمام النووي ص (166-167)
تحفة الذاكرين ص (137)

دعاء رسول الله ﷺ

ورد أن أم المومنين عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول في سجوده : «سجد لك سوادي، وآمن بك فؤادي، هذه يدي التي جنيت بها على نفسي يا عظيم، اغفر الذنب العظيم، فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم، أقول كما قال أخي داود : (أعفر وجهي بالتراب لسيدي، أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقابك، وأعوذ بك منك سبحانك لا احصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك جل وجهك وعز جاهك)».

فلما انصرف من الصلاة قال يا عائشة : «أما تدرين ما هذه الليلة؟» قالت: «الله ورسوله اعلم» قال : «هذه ليلة النصف من شعبان، يطلع الله فيها على جميع خلقه، فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويدع الكافرين ويترك أهل الحقد كما هم».

حوار بين محمد بن واسع ومالك بن دينار

قال الفضيل بن عياض : (اجتمع محمد بن واسع، ومالك بن دينار، فقال مالك بن دينار : «ما هو إلا طاعة الله أو النار» قال محمد بن واسع : «ليس كما تقول : ولكن ما هو إلا عفو الله أو النار» ثم قال مالك بن دينار : «إنه ليعجبني أن تكون للإنسان معيشة قدر ما يقوته». قال محمد بن واسع : «ولا هو كما تقول : ولكن يعجبني أن يصبح الرجل ليس له غداء، ويمسي وليس له عشاء، وهو مع ذلك راض عن الله» قال مالك بن دينار : «ما أحوجني لمن يعلمني مثلك»).

حديقة الازاهر ص: 85

ذكر الله بلسان الحال

قال سهل بن عبد الله التستري : (قال لي خالي محمد ابن سوار : «ألا تذكر الله تعالى الذي خلقك؟» فقلت : «كيف أذكره؟» فقال : «قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك، ثلاث مرات، من غير أن تحرك لسانك، (الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي) (ثم سبع مرات) (ثم إحدى عشر مرة) قال إلى أن تدخل القبر).

الرسالة القشيرية ص : 400/401.

عبد الله ابن رواحة وزوجته

عبد الله ابن رواحة يوهم زوجته بأنه يقرأ القرآن قال :

(شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرين
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين
وتحمله ملائكة كرام ملائكة الإلاه مسومين)

فقالت زوجته : «أما أنت فلا تقرأ القرآن وأنت جنب».

سفيان ابن عيينة

قال سفيان ابن عيينة رضي الله عنه:

«كل ما في القرآن من قوله : (وما أدراك) فقد أدراه، وكل ما فيه : (وما يدريك) فلم يدره»، يعني المخاطب قيل : اراد بألف شهر، جميع الدهر، لأن العرب تذكر الألف على كثير من الاشياء على طريق المبالغة. والألف شهر : 83 عاما وأربعة أشهر.

وقال الإمام القشيري : «﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ إستفهام على وجه التفخيم».

القاضي عبد الوهاب

عبد الوهاب بن علي بن نصر التغلبي البغدادي، أبو محمد، قاض من فقهاء المالكية، له تآليف، وله نظم ومعرفة بالأدب، من كتبه (التلقين) خ، و(عيون المسائل)، و(النصرة لمذهب مالك)، و(شرح المدونة)، و(الإشراف على مسائل الخلاف)، و(غرر المحاضرة، ورؤوس مسائل المناظرة) خ، و(إختصار عيون المجالس) خ، و(شرح فصول الأحكام) خ. وهو صاحب الابيات المشهورة :

(بغداد دار لأهل المال طيبة   وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران أمشي في أزقتها   كأنني مصحف في بيت زنديق)

في مروج الذهب، ج1 ص : 297

كان أنو شروان يقول :

(الملك بالجند، والجند بالمال، والمال بالخراج، والخراج بالعمارة، والعمارة بالعدل، والعدل بإصلاح العمال، وإصلاح العمال باستقامة الوزارة، ورأس الكل تفقد الملك أمور نفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه).

وينسب إليه : (الصحة تاج على رؤوس الاصحاء، لا يراه إلا المرضى). وينسب إليه كذلك : (الفقر جذام أحمر، والأعمى ميت ولم يقبر، من لم يخلف ولدا لم يذكر).

للتعليق على الجزء الأخير، ففي قصة (شن وطبقة)، (أترى هذا حيا أم ميتا؟).

بختنصر الجبار، كان يدعى «مرزبان العراق والمغرب»، وهو الذي وطئ الشام، وفتح بيت المقدس وسبى بني اسرائيل.

أخباره طويلة انظر مروج الذهب ج : 1 ص : 252

لإبن رشيد، وهو على المنبر يوم الجمعة

«أيها الناس، رحمكم الله، إن الواجب لا يبطله المندوب، وإن الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب، فتأهبوا لطلب العلم وانتبهوا، وتذكروا قول الله تعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾. وقد روينا عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قال لأخيه والإمام يخطب أنصت فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له «جعلني الله وإياكم ممن علم فعمل وعمل فقبل، وأخلص فتخلص».

ثم نزل وتقدم للصلاة، وكان ذلك مما استدل به، على قوة جنانه وانقياد لسانه لبيانه.

ذكريات مشاهير المغرب عدد 18 ص:9.

****

قول رسول الله ﷺ في بعض صحابته(1)

قال ﷺ : «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر.
وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان.
وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب.
وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت.
ألا وإن لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح».

الحديث رقم 9859 في فيض القدير

(لا تكرهوا البنات، فإنهن المؤنسات الغاليات - المجهزات).

---

(1) سنن ابن ماجه ج: 1 ص 55 رقم الحديث 154. وانظر خلفاء الرسول ﷺ ص : 277 لخالد محمد خالد.

قال عمرو بن العاص لمعاوية، وقد دخل عليه، وفي حجره صبية: «انبذها، فإنهن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء» قال سيدنا معاوية ﵁: «لا تفعل، فما ندب الموتى، ولا تفقد المرضى ولا أعان على الحزن مثلهن». (حم - طب) عن عقبة بن عامر.

فيض القدير ج : 6 ص : 420

نظم أحدهم البيتين فيما يلاقيه الإنسان :

(ثمانية تجري على المرء دائما ... ولابد للمرء أن يذوق الثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة ... وعسر ويسر ثم سقم وعافية)

وللإمام علي ﵁ يرثي زوجته فاطمة ﵂ :

(لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وإن الذي دون الممات قليل
وإن افتقادي واحدا بعد واحد ... دليل على أن لا يدوم خليل)

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ :

«يا علي، ألا أعلمك كلمات، إذا قلتهن غفر الله لك، مع أنك مغفور لك، قلت بلى، قال :

قل : لا إله إلا الله الحليم العليم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش العظيم».

عمر ابن الخطاب وأبو حذيفة

لقي سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ سيدنا أبا حذيفة رضي الله عنهما، فقال له: كيف أصبحت يا ابا حذيفة؟ فأجابه قائلا : أصبحت أكره الحق، وأحب الفتنة، وأصلي بدون وضوء، ولي في الأرض ما ليس عند الله في السماء، فقال له سيدنا عمر: لو لم أعرفك أبا حذيفة لسللت سيفي وقطعت رأسك، وإذا بالإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قادم، فقال عمر : يا أبا الحسن، اسمع لما يقول أبو حذيفة، قال علي : ماذا يقول؟ قال عمر أعد ما قلت، قال أبو حذيفة : سألني قائلا : كيف أصبحت؟ فقلت له : أصبحت أكره الحق، قال علي كرم الله وجهه: إنه يكره الموت، لقوله تعالى : ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾، وقلت له: أحب الفتنة، قال علي : إنه يحب المال والولد، لقوله تعالى : ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾، وقلت : أصلي بدون وضوء، قال علي : إنه يصلي على النبي ﷺ، لقوله تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾، فلم ترد الطهارة في الصلاة على وسول الله ﷺ، وقلت له: عندي في الأرض ما ليس عند الله في السماء قال علي : يقول لك: عندي في الأرض الزوجة والولد، وليس لله في السماء من زوجة ولا ولد.

فلما سمع أمير المومنين عمر ابن الخطاب ﷺ جواب هذه المسائل الاربعة، قال : (معضلة ولا أبا حسن لها)، وصدق رسول الله ﷺ : (أنا مدينة العلم، وعلي بابها)، رواه الحاكم في المستدرك، والطبراني في الكبير، وأبو الشيخ في السنة عن ابن عباس مرفوعا.

سؤال اليهودي، وجواب الإمام علي رضي الله عنه

وعلى ذكر حديث رسول الله ﷺ : (أنا مدينة العلم وعلي بابها) ذكر المحشي سيدي إدريس الوزاني على شرح الشيخ بن كيران على المرشد المعين أن يهوديا جاء الى مسجد رسول الله ﷺ ، وقال : جئت لأسأل عن مسائل لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي، فأشاروا له على سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقال اليهودي : جئت أسألك عن مسائل لا يعلمها إلا نبي أو وصيه، قال سيدنا أبو بكر : ما هن؟ قال اليهودي : 1 - ما لا يعلمه الله؟ 2 - وما ليس لله؟ 3 - وما ليس عند الله؟

فقال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه : هذه مسائل الزنادقة : وهم بقتله، وكان سيدنا عبد الله ابن عباس حاضرا، فقال : ما أنصفتموه، أجيبوه أو اصرفوه لمن يجيبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في حق علي ابن أبي طالب: (اللهم أهد قلبه، وثبت لسانه)، فقام أبو بكر معه الى علي رضي الله عنه، فأجاب، اليهودي :

1 - ما لا يعلمه الله، قولكم : ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾، يونس الآية : 18؛

2 - وما ليس لله، فهو الشريك : ﴿ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك﴾، الفرقان الآية : 2؛

3 - وما ليس عند الله، فهو الظلم، ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ يونس الآية : 44، لأن الظلم أن تأخذ ما ليس لك ظلما وتعديا، والله مالك كل شيء، فهو سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء، وليس بظالم لأحد.

إحدى كرامات سيدنا عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما

في كتاب (تحفة الالباب ونخبة الإعجاب) لأبي حميد القيسي الغرناطي.

وقد روي في الخبر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أراد سفرا، فخرج وحده على ناقته زمن النبي ﷺ، فعبر على بدر، في الموضع الذي قتل فيه كفار مكة، قال عبد الله بن عمر : فانشقت الارض، وخرج منها آدمي أسود يشتعل نارا من قرنه الى قدمه، وفي عنقه سلسلة يجرها خلفه، وهو يصيح : يا عبد الله اسقني، اسقني، فلا أدري هل عرفني، أم كان ينادي على غير معرفة، ففرت ناقتي منه، وخرج في أثره رجل في يده طرف السلسلة، وجعل يجره إليه، ويقول : يا عبد الله لا تسقه، هذا عدو الله أبو جهل، وجعل يضربه بسوطه حتى أدخله القبر، وانطبقت الارض عليه، ففزع عبد الله بن عمر، ورجع عن سفره، وأخبر النبي ﷺ بما رأى، فنهى النبي ﷺ أن يسافر الإنسان وحده، وقال عليه السلام : الواحد شيطان، واثنان شيطانان، والثلاثة ركب.

قصة أروى بنت الحرث بن عبد المطلب

مع الخليفة سيدنا معاوية رضي الله عنه.

أروى هذه كانت فريدة زمانها، وبليغة عصرها وأوانها، إذا خطبت أعجزت، وإن تكلمت أوجزت، قيل إنها وفدت على سيدنا معاوية في الشام وهي عجوز كبيرة، فلما رآها معاوية قال : مرحبا بك واهلا يا عمة، فكيف

كنت بعدنا؟ فقالت : (يا ابن أخي لقد كفرت يد النعمة، وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك، من غير دين كان منك، ولا من آبائك، ولا سابقة في الاسلام، بعد أن كفرتم برسول الله ﷺ فأتعس الله منكم الجدود، وأضرع منكم الخدود، ورد الحق الى أهله ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا، ونبينا ﷺ هو المنصور فوليتم علينا من بعده تحتجون بقرابتكم من رسول الله ﷺ، ونحن أقرب إليه منكم، وأولى بهذا الأمر، فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون وكان علي بن ابي طالب رحمه الله بعد نبينا ﷺ بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام، فغايتنا الجنة، وغايتكم النار)، فقال لها عمرو بن العاص - وكان حاضرا - كفى أيتها العجوز الضالة واقصري عن قولك، مع ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك، فقالت له : وأنت يا ابن النابغة - وفي رواية : يا ابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة تغني بمكة، وآخذهن لأجرة، أربع على ظلعك واعن بشأن نفسك، فوالله ما أنت من قريش في اللباب، من حسبها ولا من كرمها، ولقد ادعاك خمسة نفر من قريش، (كلهم يزعم أنه أبوك)، فسئلت أمك عنهم فقالت : كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب عليك شبه العاص ابن وائل، فلحقت به، فقال مروان بن الحكم: كفى أيتها العجوز، واقصدي لما جئت له، فقالت : وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم، ألم يقل فيك رسول الله ﷺ : أبعدوا عني الوزغ ابن الوزغ، ثم التفتت الى معاوية، فقالت : والله ما جرأ علي هؤلاء غيرك، وإن أمك - تقصد هند بنت عتبة - القائلة في قتل حمزة : يوم أحد

(نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لي عن عتبة من صبر فشكر وحشى علي دهري
حتى ترم اعظمي في قبري)

فأجابتها بنت عمي وهي تقول :

(جزيت في بدر وبعد بدر يا ابنة جبار عظيم الكفر)

فقال معاوية : عفا الله عما سلف يا عمة، هات حاجتك، قالت : ما لي إليك حاجة، وخرجت عنه، وبعد خروجها التفت سيدنا معاوية الى أصحابه فقال لهم: والله لو كلمها كل من في مجلسي لأجابت كل واحد منهم بجواب خلاف الآخر بدون توقف، فإن نساء بني هاشم أصعب في الكلام من رجال غيرهن وامر لها سيدنا معاوية بجائزة تليق بمقامها، توفيت رحمها الله بالمدينة[1].

(1) 1 - العقد الفريد ج : 1 ص: 303-304.
2 - الدر المنثور في طبقات ربات الخدور : ص : 25-26.
3 - بلاغات النساء ص : 43.

من كرامات سيدنا عبد الله ابن المبارك

يحكى أن سيدنا عبد الله بن المبارك ولد 118هـ وتوفي 181هـ، كان يحج سنة، ويجاهد سنة، وفي أحد الأعوام الذي كان سيحج فيه استعد وشرع يودع أصدقاءه وأحبابه، وذات يوم كان يتجول في أحياء مدينة بغداد، أبصر امرأة في ظلام الليل تنحني في مزبلة على دجاجة ميتة وتأخذها وترجع بها الى بيتها، فتبعها وقرع عليها الباب، وقال لها: ما تفعلين يا أمة الله؟ أجابته قائلة : اترك شؤون الخلق للخالق، واعن بشؤون نفسك، لله تعالى في خلقه شؤون، فقال لها : سألتك بالله أن تخبريني ماذا فعلت؟ فقالت : أما وقد أقسمت علي بالله فلأخبرنك، أنا امرأة أرملة ولي أربع بنات يتامى، ثلاثة أيام لم يأكلن طعاما، وقد أحل الله لنا أكل الميتة، وهنا فاضت عينا عبد الله ابن المبارك بالدموع، واخرج الصرة التي كان فيها المال الذي سيحج به، وقال لها : ارم عنك الدجاجة وأطعميهم بهذا المال، ثم قرر أن يختفي في بيته فترة من الزمن ريثما يغادر الحجاج أرض الرافدين، وها هو يأتي الى المسجد لأداء الصلوات، فقال الناس: عجبا، عبد الله ابن المبارك كان يستعد للحج، وهو بين أظهرنا، وحين عاد الحجاج من أداء المناسك شرعوا يتحدثون ويقولون : إن عبد الله ابن المبارك كان يصلي بنا، ويطوف بنا، ويرينا مناسك الحج، ولولاه لما حججنا، فقال بعضهم يا عبد الله أنت كنت بيننا أثناء موسم الحج، والناس يتحدثون أنك كنت معهم، فقال لهم : إن كانوا قد قالوها فقد قالوها، وحين نام ليلا، سأل الله أن يريه في منامه ما يطمئن به قلبه، وفي نومه رأى رجلا يتلألأ وجهه نورا وجمالا، يقول له : السلام عليك يا عبد الله ابن المبارك، هل تدري من أنا؟ أنا رسول الله ﷺ، حبيبك في الدنيا، وشفيعك يوم القيامة، يا عبد الله ابن المبارك، أكرمك الله كما أكرمت المرأة الأرملة

وبناتها اليتامى، سترك الله كما سترت عليهن يا عبد الله ابن المبارك، إن الله تعالى خلق ملكا من الملائكة على صورتك ينتقل بين اهل بلدك أينما كانوا وأينما حلوا وارتحلوا إكراما لك، وإن الله تعالى كتب لكل حاج هذا العام ثواب حجة واحدة، وكتب لك أنت ثواب سبعين حجة. القصة في كتاب الحلية لأبي نعيم.

إن هذا لهو الفضل العظيم.

هكذا يولد عبد الله بن المبارك

قصة يجب أن يقف عندها الموسرون الذين وسع الله عليهم في الدنيا، ولا يعرفون أين يضعون من المال الذي رزقهم الله إياه، وصدق الله العظيم : ﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾. الأنفال : 60.

ونتعرض من جديد لحياة عبد الله ابن المبارك، قيل إن رجلا من أهل البصرة كان من أهل اليسار والغنى، يملك بساتين وحقول، وله تجارة واسعة، وكان قد اشترى من سوق النخاسين عبدا تركيا، وصار هذا العبد يخدمه ويطيعه، فأطلق عليه المبارك، وكان لهذا التاجر ابنة جميلة فاتنة، وبدأ الناس يخطبونه أغنياء وأمراء يريدون مصاهرته، فحار في أمره لمن يزوجها، فتوجه الى الإمام الحسن البصري عام 21 - 110هـ يستشيره قائلا له : سيدي، لي ابنة ذات حسن وجمال، وفي نفس الوقت ذات أدب وخلق كريم، خطبني إياها أمراء وأغنياء، إن زوجتها هذا أغضبت هؤلاء، أشر علي، فقال الإمام الحسن البصري : زوجها لمن يتق الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها قال : فإن كان الذي يتق الله، والله لا أجد أفضل من هذا المبارك، فزوجها إياه، فأنجبا ولدا هو سيدنا عبد الله ابن المبارك.

والشيء بالشيء يذكر، قيل إن هذا التاجر كان له بستان فجعل فيه عبده المبارك يحرسه، فمرض التاجر وأرسل إليه أن يبعث له بعض فاكهة الرمان، وحين جاءه

الرمان وجده من النوع الحامض، وأرسل عليه ولامه قائلا له: أترسل لي الرمان الحامض؟ فأجابه المبارك : يا سيدي وأين أعرف أنا الحلو من الحامض؟ قال له : ألم تأكل منه منذ كنت هناك؟ قال : نعم لأنك بعثتني لأحرس، ولم تأذن لي في الطعام منه، فعظم هذا العبد في عينه، وصار عنده موضع ثقة.

عبد الله ابن المبارك ولد 118هـ، وتوفي 186 هـ عاش 68 عاما، محدث زاهد، لقب ودعي بطبيب القلوب، ومن أقواله :

(رأيت الذنوب تميت القلوب   وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب   وخير لنفسك عصيانها)

حكمة على لسان الطير

قيل إن رجلا اصطاد قبرة، فلما أخرج السكين ليذبحها كلمته، وقالت له: ما تريد أن تصنع بي؟ قال : أذبحك وآكلك، قالت: لا تذبحني أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلي، لكن على شرط، الأولى على يدك، والثانية وأنا على الشجرة، والثالثة وأنا على الجبل، قال : هات الأولى : قالت : 1 - لا تندم ولا تأسفن على ما فاتك، فخلى عنها، ولما صارت على الشجرة، قال : هات الثانية، قالت : 2 - لا تصدقن بكل ما تسمع، أو بما لا يكون، فانطلقت الى رأس الجبل، قال : هات، الثالثة قالت : 3 - يا شقي، لو ذبحتني لوجدت في حوصلتي درة وزنها عشرون مثقالا ذهبا، فعض الصياد على شفته السفلى وتلهف عنها، وقال : هات الثالثة، فقالت : كيف آتيك وقد نسيت الثنتين الأولين، قلت لك لا تندم ولا تأسفن على ما فاتك، وقد فتك، وقلت لك : لا تصدقن بكل ما تسمع وبما لا يكون، وقد صدقت، فإنك لو جمعت عظامي ولحمي وريشي لم يبلغ عشرين مثقالا ذهبا، فكيف يكون ذلك في حوصلتي.

والعاقل من بني الإنسان من يزن الأمور بموازين العقل والتعقل، والعقل أحصن معقل للإنسان.

حكمة حول صحة الانسان

من كتاب : أنت وصحتك ج : 2 ص : 243 (وإليك حكمة بهذا الصدد، ورثناها عن الاسلاف : (من باكر في الغداء، ولم يتهاس في العشاء، ولم يمتليء من الطعام، ولم يأكل عند المنام، ونقى الفضول في معتدلات الفصول، لحري به أن لا تطرقه علل، إلا إذا جاء الاجل.)

وفي الحديث (ما ملأ ابن آدم وعاء شـرا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن لم يفعل، فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس) كشف الخفاء ج : 2 ص: 199 رقم : 2270 حديث حسن.

وفي بعض الأثـر : (نحن لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لم نشبع).

وفي الطب النبوي لابن قيم الجوزية رحمه الله، ص 157 قال ثابت بن قـرة.

(راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة الروح في قلة الآثام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب :

(المعـدة بيت الـداء، والحميـة رأس الـدواء) وليس بحديث كما يرويـه بعضهم.

وللإمام الشافعي رحمه الله:

(ثلاث هن مهلكة الأنام — وداعية الصحيح الى السقام
دوام مدامة، ودوام وطء — وإدخال الطعام على الطعام)

وقال السيد الجليل ذو المواهب والمعارف، إبراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه :

دواء القلب خمسة أشياء :

1) قراءة القرآن بالتدبر.
2) وخلاء البطن من كثرة الطعام.
3) وقيام الليل بالركوع والسجود.
4) والتضرع عند السحر، بالدعاء والاستغفار.
5) ومجالسة الصالحين، والاخذ عنهم[1].

(1) المصدر : التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام النووي رحمه الله. ص: 42.

الغني والفقير، وتشميت العاطس

قال شاعر :

(حياك من لم تكن ترجو تحيته   لولا الدرهم ما حياك إنسان)

فعلق أحدهم قائلا :

قيل إن رجلا غنيا - ذو مال - عطس فشمته جماعة من الحاضرين قائلين له: يرحمك الله يا عبد الله، وهذه إحدى الستة اللائي هن من حق المسلم على المسلم[1].

وعطس آخر، ولم يشمته أحد، لأنه فقير، فقال له ابنه - الذي كان حاضرا - (يرحمك الله يأبي، أما عمي فقد شمته غنمه الكثيرة.

شبه الذين شمتوا الغني، ولم يشمتوا الفقير بالغنم.

ومن عطس وشمته الحاضرون بقولهم:

(يرحمك الله يا عبد الله) عليه أن يرد عليهم غفر الله لنا ولكم.

---

(1) 1 - أن يسلم عليه إذا لقيه.
2 - أن يشمته إذا عطس.
3 - أن يعوده إذا مرض.
4 - أن يتبع جنازته إذا مات.
5 - وأن يجيب دعوته إذا دعاه.
6 - وأن ينصحه إذا استنصحه أو استشاره.

المواهب اللدنية ج 1 ص : 189

وقال الاسماعيلي :[1]

(كان عند عائشة (ض) من الفهم والذكاء، وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه).

ثم قـال : لكن لا سبيل الى رد روايـة الثقـة إلا بنص مثلـه، يـدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكن.

لأن قولـه تعالى : ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ النمـل : 80 لا ينافي قوله عليه السلام : (إنهم الآن ليسمعون) لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت النبي ﷺ بذلك، وأما جوابها بأنه إنما قال : إنهم ليعلمون، فإن كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون، بل يؤيدها.

---

(1) الاسماعيلي محمد بن اسماعيل بن مهران النيسابوري ت 295هـ.

أبو بكر المعروف بالاسماعيلي من حفاظ الحديث ثقة، جمع حديث الزهري، وحديث مالك، وحديث يحيى بن سعيد وحديث عبد الله بن دينار وحديث موسى بن عقبة. الاعلام ج 6 ص: 259 الرسالة المستطرفة ص:83.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

بتاريخ 21 قعدة عام 1425هـ موافق 2005/1/3م
وأنا في مكناس بالمستشفى

رثى الإمام علي كرم الله وجهه زوجه فاطمة رضي الله عنها وهي مسجاة، وقبل نقلها الى قبرها فقال :

(لكل اجتماع من خليلين فرقة   وإن الذي دون المهات قليل
وإن افتقادي واحدا بعد واحد   دليل على أن لا يدوم خليل

الجوهرة ص : 19

****

الحسن المثنى بن الحسن السبط أمه : خولة بنت منظور ابن زبان الفزارية، والحسن المثنى ولد عبد الله الكامل. ص : 33 الجوهرة.

وعبد الله الكامل هو والد إدريس الملتجئ الى المغرب والمؤسس للخلافة والملك به.

وهذا البيت زعموا : لا يدرى قائله :

(أترى بني أمية قتلت حسينا   شفاعة جده يوم الحساب) ص : 48

وقال سيدنا الحسين رضي الله عنه في ابنته سكينة وأمه الرباب بنت امرئ القيس

(لعمرك إنني لأحب دارا   تحل به سكينة والرباب) ص : 50

علي الاصغر وهو علي زين العابدين، ليس للحسين عقب إلا منه أمه فارسية معروفة النسب، واسمها : سلافة بنت يزدجرد ابن شهريار بن كسرى أنوشروان بن قباذ.

وكانت سلافة من خيرات النساء وكان علي بن الحسين من أبر الناس بها، وكان لا يأكل معها في صحفة واحدة، فسئل عن ذلك، فقال : أكره أن تسبق يدي الى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها.

ص : 50

قال رسول الله ﷺ : (يا علي ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك مع أنك مغفور لك؟ قلت بلى، قال : (قل : لا إله إلا الله الحليم العليم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش العظيم). كتاب الجوهرة ص : 66

من كتاب قواعد التحديث ص : 162

6 - ما جاء في نهج البلاغة من وجوه اختلاف الخبر وأحاديث البدع.

سئل أمير أمير المومنين على بن ابي طالب كرم الله وجهه عما في أيدي الناس من أحاديث البدع واختلاف الخبر، فقال:

(إن في أيدي الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما، ولقد كذب على سول الله ﷺ على عهده، حتى قام خطيبا، فقال : (من كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار) .

وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

1 - رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالاسلام ... لو علم الناس...

2 - رجل سمع من رسول الله ﷺ شيئا ولم يحفظه على وجهه ...

3 - رجل سمع من رسول الله ﷺ شيئا يأمره به، ثم نهى عنه وهو لا يعلم.

4 - رجل لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفا من الله وهذا مقبول.

وفي لسان العرب م4 ص : 174

وحيدرة : الأسد، قال الأزهري، قال أبو العباس أحمد بن يحيى، لم تختلف الرواة، في أن هذه الأبيات لعلي ابن أبي طالب، رضوان الله عليه:

(أنا الذي سمتني أمي الحيدرة   كليث غابات غليظ القصرة
أكيلكم بالسيف كيل السندرة   أضرب بالسيف رقاب الكفرة)

«الشطر الثاني من البيت الثاني زاده ابن برى»

وقال : السندرة الجرأة، ورجل سندر، على فعنل إذا كان جرئا، والحيدرة الأسد، قال : والسندرة مكيال كبير، وقال ابن الاعرابي: الحيدرة في الأسد مثل الملك في الناس قال أبو العباس: يعني لغلظ عنقه، وقوة ساعديه.

وقال : أراد بقوله : أنا الذي سمتني أمي الحيدرة :

أنا الذي سمتني أمي أسدا، فلم يمكنه ذكر الأسد لأجل القافية - في البيتين - فعبر بحيدرة، لأن أمه لم تسمه حيدرة، وإنما سمته : أسدا، باسم أبيها لأنها فاطمة بنت أسد وكان أبو طالب غائبا حين ولدته وسمته أسدا فلما قدم كره أسدا وسماه عليا، فلما رجز علي هذا الرجز يوم خيبر سمى نفسه بما سمته به أمه.

أما السؤال المتعلق بالدعاء :

الله حي صمد وباق، سبحانه

أحفظه ولا أعرف قائله، عرضته على شيخنا وأستاذنا العلامة الشريف سيدي محمد بن عبد السلام الطاهر رحمه الله قال لي : لا أعرف قائله كذلك، أحفظه مع أهل بلدنا حين يتلونه في الليالي.

والدعاء ألفاظه جميلة يشتمل على عدة أسماء، من اسماء الله الحسنى، والدعاء به مقبول شرعا، ليس فيه ما يقتضي الحرمة أو الكراهة، فقول الداعي به : (الله حي صمد وباق) يعترف الداعي به أن الله جل جلاله حي لا يموت، صمد دائم، باق لا يلحقه الفناء، وقوله : (سبحانه ذوا الكاف وواق) ينزهه عن النقائص صاحب

وواق الإنسان المومن من الشرور

وقوله : (يا رب نجنا من الوباء الطان والطاعون والبلاء الياء حرف نداء والرب منادى، ومعناه المالك لأمور العباد يطلب فيه النجاة من الوباء الذي هي الأمراض التي تعترض الإنسان الا وهي الطان، في الاساس للزمخشري : (هذه حية لا تطني أي لا تنجي من الهلاك، (أي لا تقبل الرقى) مادة (طنن)

والطاعون ما يسمى بالكوليرا والبلاء أنواع المصائب وقوله (يا رافع السماء بلا عماد يا من له القدرة بأن رفعت السماء وبنيتها من غير أن تحتاج الى أعمدة تعتمد عليها أو ترتكز إليها، وقوله : (الطف بلطفك على العباد هذا طلب العبد من ربه أن يلطف به، وينجيه مما فيه الضرر له ولكافة العباد، وقال له يا ربنا يا مجيب الدعاء انزل العفو من السماء) نداء الى الله تعالى الذي يجيب دعاء المضطر ولا غيره، لأنه القادر وحده مالك أمور العباد.

الإصابة في معرفة الصحابة

في م الأول ص : 237 رقم الترجمة 1166

جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصى **أبو عبد الله**، ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحد السابقين الى الإسلام، **وأخو علي شقيقه**، قال ابن إسحاق : أسلم بعد خمسة وعشرين رجلا وقيل بعد واحد **وثلاثين، قالوا** : وأخي النبي ﷺ.

بينه وبين معاذ بن جبل، قال أبو هريرة : كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وكان رسول الله يكنيه : أبا المساكين، وقال له : «اشبهتني خلقا وخلقا» رواه البخاري ومسلم، وهاجر الى الحبشة، وبسببه أسلم النجاشي، وهاجر الى المدينة.

استشهد بغزوة مؤتة عام ثمان هـ قال رسول الله ﷺ : رأيت جعفرا يطير في الجنة مع الملائكة، وكان ﷺ إذا رأى ولده عبد الله بن جعفر، قال : السلام عليك يا بن ذي الجناحين، وعن عبد الله بن عمر قال : كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ فرفع رأسه الى السماء، فقال : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال الناس يا رسول الله ما كنت تصنع هذا؟ قال : مر بي جعفر بن أبي طالب في ملإ من الملائكة فسلم علي، وعن ابن عباس قال بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ وأسماء بنت عميس قريبة منه إذ قال يا أسماء هذا جعفر قد مر مع جبريل وميكائيل فردي عليه السلام» وفي الحديث، وقيل : فعوضه الله من يدين جناحين يطير بهما حيث يشاء في الجنة باختصار.

وفي الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر ص 210.

لن تسأل عن اعمال الناس، ولكن تسأل عن الفطرة

عن ابن عائذ، قال : خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل، فلما وضع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تصل عليه يا رسول الله ! فإنه رجل فاجر، فالتفت رسول الله ﷺ الى الناس، فقال: «هل رآه أحد منكم علي عمل الإسلام؟ فقال رجل نعم يا رسول الله، حرس ليلة في سبيل الله، فصلى عليه رسول الله ﷺ، وحث عليه التراب، وقال : «أصحابك يظنون أنك من اهل النار، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة» وقال يا عمر : إنك لا تسأل عن أعمال الناس، ولكن تسأل عن الفطرة».

البيهقي والحاكم - مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني رقم الحديث 3860.

أنشد أحدهم لما قرأ سورة الضحى، فقال :

(قرأنا في الضحى ولسوف يعطي   فسر قلوبنا ذاك العطاء
وحاشا يا رسول الله ترضى   وفينا من يعذب أو يساء)

وقال آخر :

(كفاك بالعلم في الأمي معجزة   في الجاهلية والتأديب في اليتم)

الصاوي ص 229 ج 4

ما قيل في الجويني إمام الحرمين

إمام الحرمين : (419 - 478 = 1028 - 1085م)

عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، ابو المعالي، **ركن الدين** الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من اصحاب الشافعي، ولد في : (جويه) من نواحي نيسابور، ورحل الى بغداد فمكة حيث جاور اربع سنوات وذهب الى المدينة فأفتى ودرس جامعا طرق المذاهب ثم عاد الى نيسابور........

له مصنفات كثيرة.

قال عنه الباخرزي في دمية القصر يصفه:

(الفقه فقه الشافعي، والأدب أدب الاصمعي وفي الوعظ الحسن البصيري)

قال عنه الخطيب في قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين، جاور بمكة والمدينة أربع سنين فلقب بإمام الحرمين.

توفى بقرية تسمى (باشتغال) من اعمال نيسابور : هـ ملخصا.

الاعلام ج 4 ص: 306

القائــف

القائف: هو الذي يعرف النسب بفراسته ونظره الى اعضاء المولود المصدر التعريفات للجرجاني الحنفي بنو مدلج رقم 1118 صفحة 121.

ترجمة زهير بن ابي سلمى ... - 13 ق هـ / ... - 609 م

زهير بن ابي سلمى هو : ربيعة بن رباح المزني، من مضر حكيم الشعراء في الجاهلية، وفي أيمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة، قال ابن الأعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعرا، وخاله شاعرا، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، ولد في بلاد مزينة» بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر «من ديار نجد» واستمر فيه بنوه بعد الإسلام قيل: كان ينظم القصيدة في شهر، وينقحها ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمى «الحوليات» أشهر شعره معلقته التي مطلعها:

«أمن أم أو في دمنة لم تكلم ....»

ويقال إن أبياته التي في آخر هذه القصيدة تشبه كلام الأنبياء، له ديوان مطبوع، ترجم كثير منه الى الألمانية، ولفؤاد أفرم البستاني كتاب: (زهير ابن أبي سلمى) مطبوع وثانيه لحنا نمر. الاعلام ج 3 ص 87.

من الشعراء الجاهليين

1) طرفة بن العبد توفي نحو 60 ق هـ = 546 م
2) امرؤ القيس 130 - 80 ق هـ = 497 - 545 م
3) السموأل ... نحو 65 ق هـ.

جاهلي حكيم من سكان خيبر، وهو القائل

(إذا المرء لم يدنس من اللم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل)

4) لبيد بن ربيعة عاش عمرا طويلا وأدرك الإسلام وتوفي عام 41 هـ فهو مخضرم وهو أحد أصحاب المعلقات.

القاضي عبد الوهاب الثعلبي البغدادي

القاضي عبد الوهاب 362 - ت 422 هـ و 973 - ت 1031 م

عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي أبو محمد، قاضي من فقهاء المالكية، له نظم ومعرفة بالادب.

من كتبه: (التلقين) خ و(عيون المسائل) و (النصرة لمذهب مالك) و(شرح المدونة) و(الاشراف على مسائل الخلاف) ط جزآن، و(غرر المحاضرة ورؤوس مسائل المناظرة) خ، و(اختصار عيون المجالس) خ و(شرح فصول الأحكام) خ وهو صاحب الأبيات المشهورة :

(بغداد دار لأهل المال طيبة   وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران أمشي في أزقتها   كأنني مصحف في بيت زنديق)

لا شك إنه عبر عن نفسه لما وصل إليه في آخر حياته.

في كتاب الفقه على المذاهب الاربعة ج : 2 ص : 33

ما يطلق على أطعمة المناسبات

الـوليمـــة : خاصة بطعام العرس أو الدخول بالعروس.

الإمـــلاك : الطعام الذي يصنع عند العقد ويقال له شندخ.

قياسا على : فرس مشندخ أي متقدم على غيره.

إعـــــذار : طعام الختان، وهو قطع الغرة للصبي.

نـقيـعـــة : الطعام الذي يصنع للقدوم من السفر مأخوذ من النقع وهو الغبار، قال تعالى : ﴿فأثرن به نقعا﴾.

الحـذاق : الطعام الذي يصنع للصبي عند ختمة القرآن.
وضيمـة : طعام المآتم، وهو ليالي الجنائز.
وكـيـرة : الطعام الذي يصنع لبناء الدار، المسكن الجديد
العقيقـة : طعام العقيقة معروف، ويكون يوم أسبوع الولادة، أو يوم الرابع عشر منه، أو يوم الحادي والعشرين. ثم ينتهي.

هذا جواب سؤال رجل لآخر، وجوابه باختصار

قيل إن رجلا مات زوج أخته، فسئل من طرف أحدهم، قائلا له : (كم ورثت أختك منه؟ فأجاب : أربعة أشهر وعشراً ولعله لم يترك ما يورث)

حديقة الأزهار: 134

يحملونك الى بيت لا فراش فيها ...

قيل إن رجلا يتسول في أزقة بغداد وشوارعها، وهو حامل لولده الصغير، فمرت جنازة، وخلفها امرأة تصيح قائلة انهم يحملونك الى بيت لا فراش فيها ولا غطاء، ولا غداء ولا عشاء، فقال الولد الصغير لأبيه: لعلهم يريدون أن يأخذوه الى بيتنا، (يقصد أن لاشيء فيها مما تذكر).

كلمة (ولا يأتل)

(ولا يأتل) هو يفتعل من أليت : أي حلفت، ويقرأ يتأل على يفتعل، وهو من الآلية أيضا.

(إملاء ما من به الرحمن، من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن). ج 2 ص 155

أتل = أتلا وأتلالا وأتلانا - قارب الخطو في غضب . منجد ص 2

أتل : الفراء: أتل الرجل يأتل أتولا، وفي الصحاح : أتلا، وأتن يأتن أتونا، إذا قارب الخطو في غضب، وأنشد لثروان العكلى :

(أراني لا آتيك إلا كأنما أسأت، وإلا أنت غضبات تأتل
أردت لكيما لا ترى لي عثرة ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل)

وقال في مصدره : الأتلان والأتنان قال ابن بري، وأنشد أبو زيد من ماضيه:

(وقد ملأت بطنه حتى أتل غيظا فأمسى ضغنه قد اعتدل)

وفي ترجمة كرفأ :

(ككر فئة الغيث ذات الصبيـ ـر، تأتى السحاب وتأتا لها)

تأتال تصلح، وأصله تأتول ونصبه بإضمار أن. لسان العرب ج 11 ص 9-8

(ولا يأتل أولو الفضل منكم) الآية، فيه النهي عن الحلف أن لا يفعل خيرا وأن من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فيستحب له الحنث، وفيه الأمر بالعفو والصفح، الإكليل في استنباط التنزيل ص 161 .

(ولا ياتل) أي لا يحلف أهل الفضل في الدين وأصحاب الغنى واليسار. صغوة التفاسير ج 2 ص 333.

أبـو تمـــام

ولد في 188هـ - 804م توفي : 231هـ - 846م

حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الشاعر الاديب، أحد أمراء البيان، ولد في جاسم من قرى حوران بسورية ورحل الى مصر، واستقدمه المعتصم الى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء عصره، فأقام في العراق، ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها، كان أسمر طويلا، فصيحا، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب، غير القصائد والمقاطيع، في شعره قوة وجزالة، واختلف في التفصيل بينه وبين المتنبي والبحتري له تصانيف منها: فحول الشعراء خ وديوان الحماسة ط ونقائص جرير والاخطل(ط)، والوحشيات (ط) وكتب عنه عشرون ممن اهتموا بحياته ج 2 ص: 171 ع.

المعتصم العباسي

ولد في 179هـ - 795م توفي : 227 هـ - 841م

محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي أبو إسحاق، خليفة من أعاظم خلفاء هذه الدولة بويع عام 218 هـ بعد وفاة أخيه المامون وبعهد منه، كان قويا في جسمه يكره التعليم في صغره، نشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أميا، وهو فاتح عمورية من بلاد الروم، وهو باني مدينة سامرا (سر من رأى) سنة 222 هـ وهو أول من أضاف اسم الله الى اسمه من بني العباس فقال : (المعتصم بالله)

وكان له سبعون ألف مملوك خلافته 8 سنين و8 أشهر وخلف 8 بنين و8 بنات وعمره 48 سنة توفي بسامرا، كان أبيض اللون طويل اللحية الأعلام ج 7 ص 351.

من كتاب الأعلام ج II ص 211 ترجمة أبي هلال العسكري

المتوفى عام 395هـ = 1005م

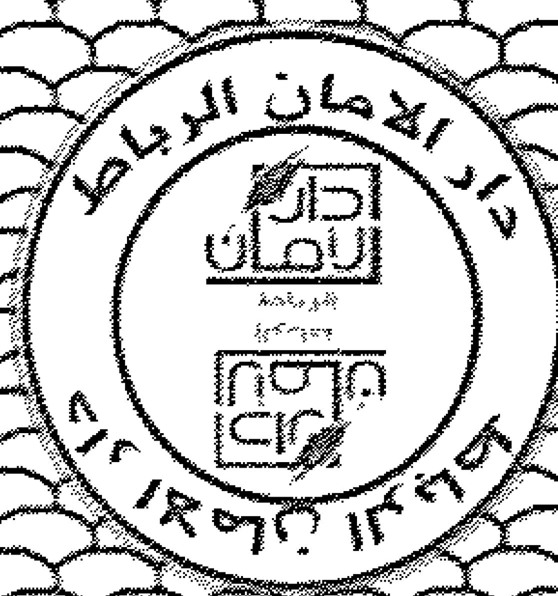
هو : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مهران العسكري أبو هلال عالم بالادب، له شعر، نسبته الى عسكر مكرم من كور الاهواز.

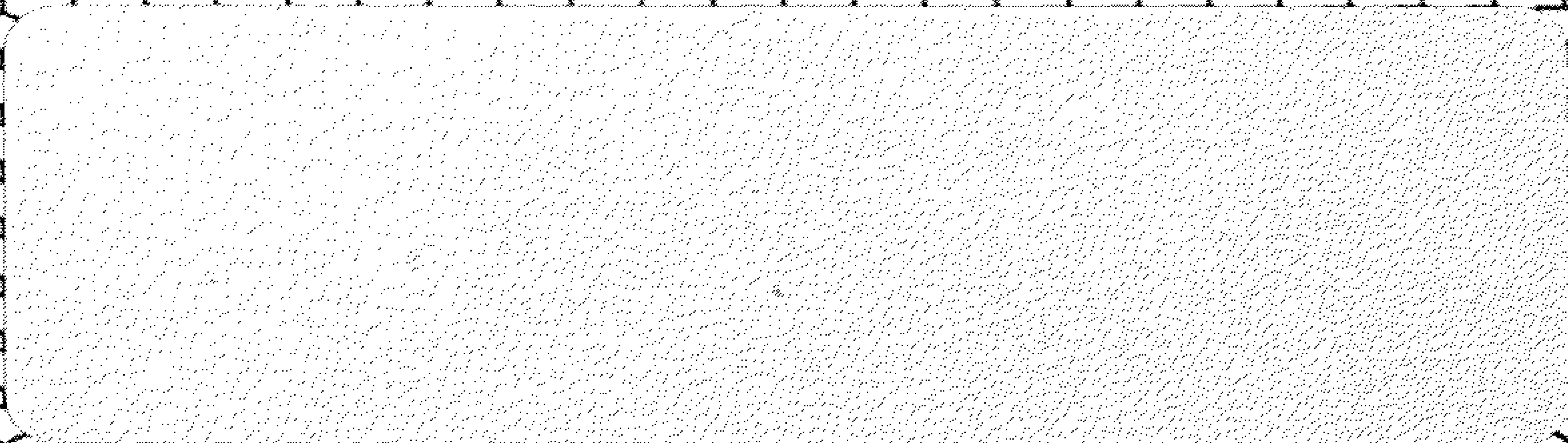
ومن مستطرف الاسجاع، ما كتبه عنه الباخرزي في دمية القصر، قال : (بلغني أن هذا الفاضل كان يحضر السوق، ويحمل إليها الوسوق، ويجلب در الرزق ويمتري، بأن يبيع الأمتعة ويشترى، فانظر كيف يحدو الكلام ويسوق، وتأمل هل غض من فضله السوق، وكان له في سوق الفضلاء أسوة، أو كأنه استعار منهم لأشعاره كسوة، وهم : نصر بن أحمد الخبزرزي، وأبو الفرج الوأواء الشامي، والسري الرفاء الموصلي.

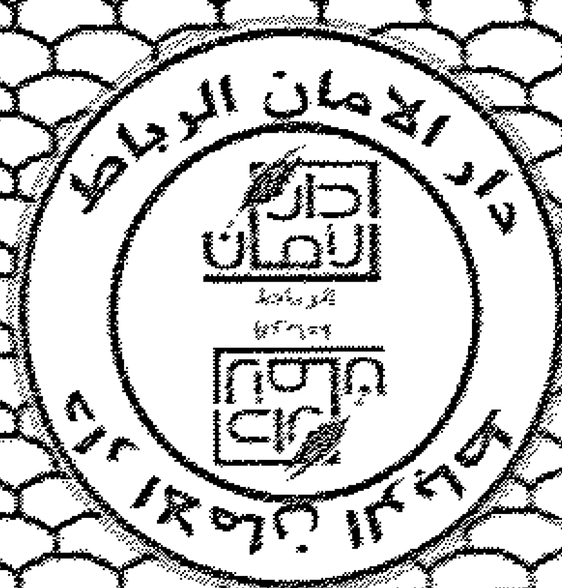
أما نصر فكان يدحو الرقاقه الأرزية، ويشكو في أشعاره تلك الرزية، وأما أبو الفرج فكان يسعى بالفواكه رائحا وغاديا، ويتغنى عليها مناديا، وأما السرى فكان يطري الخلق، ويرفو الخرق، ويصف تلك العبرة، ويزعم أنه يسترزق بالإبرة، وكيف كان فهذه حرفة لا تنجو من حرقة، وصنعة لا تنجو من ضرعة، وبضاعة لا تسلم من إضاعة، ومتاع ليس لأهله استمتاع.

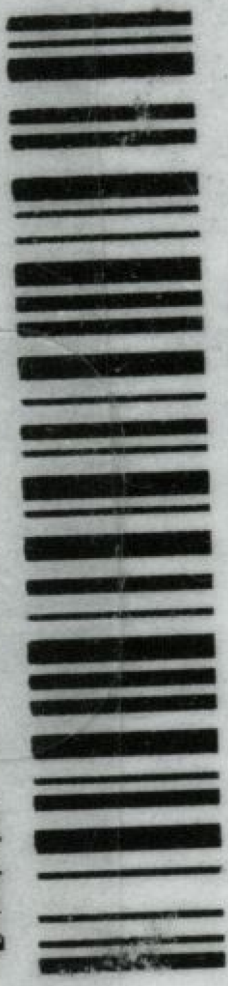
المصدر : الدمية ج I ص 509

هذا فهرس حصاد القلم


دار الامان الرباط




دار الامان الرباط
دار الأمان


Bibliotheca Alexandrina
1152915
